مختصر الجزء الأول

موسوعة مصر القديمة

تأليف الدكتور سليم حسن

إعداد عريان لبيب حنا



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٧

حسن ، سليم .
موسوعة مصر القديمة/ تأليف سليم حسن؛ إعداد عريان لبيب حنا . ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
مج ١ ؛ ٢٤ سم
تدمك ٧ ٥٧٨ ٤١٩ ٩٧٧
١ - مصر القديمة - تاريخ .
(أ) - حنا، عريان لبيب. (معد)

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٦٧١/ ٢٠٠٧

I.S.B.N 977 - 419 - 578 - 7

ديوى ٩٣٢,٠٣

الإهداء

إلى أبناء النيل الذين شربوا من مائه العذب وارتوى الوادى بمائه فتحولت التربة السمراء إلى أرض خضراء، أنتجت المحاصيل الزراعية المختلفة والفاكهة، فقدمت الأمن الغذائى إلى سكان الوادى، ولكن وفرة المحاصيل جذبت الطامعين إلى أرض الخيرات، فعانى سكانه من الاحتلال الأجنبى، عندما ضعفت القوة العسكرية أمام جحافل الغزاة.

إلى أصحاب أول حضارة أخلاقية فى العالم الذين وضعوا شعارهم الدائم أمامهم وهو "النهضة بعد الكبوة"، والذين لم يستسلموا لمحاولات مسخ القومية المصرية، عليكم الآن أن تتكاتفوا وتحاربوا أعداءكم المندسين وسط المواطنين المسالمين غير المدركين بخطورة سموم التخلف التى يقذف بها أعداء الوطن المتنكرون لفضل الوطن عليهم، ولنبدأ جميعًا بتخطى الكبوة لكى ننهض ببلادنا ونستعيد أمجادنا.

تصميم الغلاف : صبرى عبد الواحد

الإخراج الفنى : مادلين أيوب فرج

تقديم

إننى أمام مائدة فاخرة ثرية بالمعلومات والاكتشافات والآثار، لم يدخر كاتبها - شيخ المؤرخين - الجهد لنقل أمجاد أجدادنا من علوم وفنون وآداب لأحفادهم ليعرفوا لماذا يأتى الناس من كل البقاع فى الكرة الأرضية ليشاهدوها وينبهروا بها.

وقد أكد الدكتور/ ناصر الأنصارى على ضرورة عدم بتر أى جزء.. وأنا ملتزم بتوجهات سيادته فأنا شخصيًا استفدت من هذه الموسوعة عندما قمت بتغيير هذا البحث الذى تقدمت به عام ١٩٨٩ إلى المجلس الأعلى للثقافة فى مسابقة لجنة التاريخ والآثار وموضوعها «الشخصية المصرية فى ضوء مختارات من الفنون والآداب والعقائد المصرية القديمة» دراسة تاريخية وأثرية والتى فزت فيها بالمركز الثالث ثم قمت بتغييره إلى كتاب كامل يتناول هذا الموضوع تفصيليًا مع كتابة الحواشى اللازمة التى تُبيِّن الفقرات التى استخلصتها من الكتب المختلفة وذكر الصفحات التى يمكن الرجوع إليها عند التأكد من أية معلومة.

وقد تكرمت الهيئة العامة للكتاب بنشر هذا الكتاب عام ٢٠٠٣ تحت اسم «الشخصية المصرية فى مصر القديمة» كانت قراءتى للموسوعة السبب فى تعلقى الروحى بالدكتور سليم حسن؛ لذلك عندما قرأت اقتراح كاتبنا الكبير أنيس منصور باختصار الموسوعة حتى يستطيع الشباب والرجل العادى قراءتها..

تقدمت بطلبى للدكتور ناصر الأنصارى بالقيام بهذه المهمة الوطنية لأنه يسعدنى أن يقرأ الجميع تاريخ أجدادنا العظام الذين قدموا للعالم أول حضارة أخلاقية مازالت تجد أصداءها فيما يكتبه العلماء من مختلف الجنسيات عنها.. وتجذب الملايين من كل بقاع العالم ومن مختلف ثقافات العالم.

وكان لزامًا علىَّ أن أحدد كيف أقدم هذا العمل الخالد للناس مع محاولة عرضه بطريقة جذابة شيقة دون الإخلال بأى ترابط للأحداث وبدون إنقاص أية معلومة تهم أى مصرى مع ضرورة السير على نهج الدكتور سليم حسن وهو اهتمامه بتاريخ الشعب وبالعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فهو لم يحصر نفسه فى الحقائق الجافة، وهو الذى كتب فى مقدمة الجزء الرابع من الموسوعة «إن التاريخ الصادق هو حياة الشعب وما تنطوى عليه تلك الحياة من تقدم ورقى أو انحطاط أو تدهور، وإن إسعاد الشعب يتوقف على ما تنطوى عليه نفوس القادة وفق ما أوتوا من ثقافة حقة وجهتها خير الإنسانية». وفى الجزء الأول من الموسوعة وفى صفحة (٣٤٣) حكى قصة المهندس المعمارى «وشبتاح» والملك «كاكاو» من ملوك الأسرة الخامسة، وسأذكر الموقف مع تعليق الدكتور سليم حسن ليدرك القارئ المعانى الجميلة فى العلاقة بين الحاكم ورجال شعبه العاملين معه مع جلال المشاعر الإنسانية الفياضة: وقع المهندس المعمارى «وشبتاح» مغشيًا عليه (على ما يظهر نتيجة نزيف فى المخ نتج عن الإجهاد فى العمل) وكان قلب جلالته فى شدة الحزن، وعاد إلى حجرته حيث صلى للإله «رع». ولما جاءت النهاية أمر جلالته بأن يُصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع، وهذا لم يُصنع لواحد مثله من قبله. وكذلك أمر بتحنيطه أمام جلالته، وحبس على مقبرة وشبتاح «أوقافًا»، وعلق شيخ المؤرخين الإنسان الرقيق «بأنها وقائع رحمة وإخاء تؤثر فيها الأرواح وليست وقائع حرب تقتل فيها النفوس».

وفى موقف إنسانى آخر نجده يذكر ما قاله الأثرى «ويجول» عن المصريين بأنهم .. كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمةً وإنسانية من تصرفات قائدهم «تحتمس الثالث» عندما استسلم الأمراء السوريون خاضعين مسلِّمين متاعهم ومقدمين طاعتهم لاسم جلالته . طالبين النفس لأنوفهم بعد حصار «مجدو»

الذى استمر سبعة أشهر. وكان قد أصدر «تحتمس» أوامره لجنوده: «لاتجعلوا واحداً منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتيًا ليسلم باب الحصون (أى يلقى سلاحه) وعندما استسلموا وخرجوا قائلين: هيئ لنا الفرصة لنسلم لجلالتك الفرامة «تعطف الفرعون وأمر أن يوهبوا نفس الحياة».

وهذا منهجه فى كتابة التاريخ عندما يقول: «هذا هو التاريخ الحى حق، ذلك التاريخ الذى يعنى بالشعب وحياته من كل الوجوه.. ولا غرابة فى ذلك فقد عرف أحد المؤرخين المحدثين علم التاريخ بأنه هو علم الاجتماع» .

إن قارئ المختصر الشاب أو المواطن العادى يختلف عن قارئ الموسوعة المتخصص أو على الأقل لديه خلفية تاريخية أو أثرية تجعله يتتبع ما كتب المؤلف الباحث العلامة. لذلك يجب إضافة العديد من الملاحق والصور والخرائط والصور التوضيحية من أجل هدفين:

أولاً : التوضيح والتشويق وثانيًا: استيعاب ما جاء بالموسوعة فمثلاً «تقسيم مانيتون للأسر الحاكمة إلى ثلاثين أسرة والتقسيم إلى ثلاث دول: الدولة القديمة ثم الثورة الشعبية وعصر الاضمحلال الأول، ثم الدولة الوسطى يتبعها عصر الاضمحلال الثانى وفيه تعرضت البلاد إلى غزو أجنبى بواسطة الهكسوس، ثم تحرير البلاد على يد أحمس الأول الذى أنشأ أول إمبراطورية مصرية عندما قام بتكوين الأسرة الحديثة، ثم الانقسامات بوجود حاكمين فى الأسرة الواحدة والعشرين فحكم الملك «سمندس» فى «تانيس» بشرق الدلتا وكان الكاهن الأعظم لطيبة «حريحور» حاكمًا للجنوب من طيبة (الأقصر). ثم حكم الليبيين والسودانيين والفرس والآشوريين ثم العهد البطلمى والذى تنتهى الموسوعة عند منتصفه ببطليموس السابع؛ لذلك سأقوم بعمل ملاحق توضيحية فى نهاية الموسوعة، بهدف استكمال الأجزاء الناقصة فإننى أدرك الصعوبات التى لاقت الدكتور سليم حسن وقت كتابة الموسوعة من ناحية نقص المعلومات والاكتشافات بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية مع عدم وجود تراجم للغة الديموطيقية التى كُتبت بها الأحداث الخاصة بالسكان الوطنيين (الشعب المصرى) فى حين أن تاريخ الحكام البطالمة كتب باللغة اليونانية وتم ترجمته بسهولة. فمثلاً أوراق

زينون التى تناولت تاريخ السكان الوطنيين مكثت فترة طويلة دون ترجمتها رغم أهميتها لكاتب الموسوعة المهتم بتاريخ الشعب.

وكان علىَّ التفكير فى المنهج الذى سأتبعه فى تناول المختصر، فكان هناك أولاً «المنهج التاريخى» وهو يقوم بالدراسة الرأسية والمتابعة والترتيب الزمنى وهو مفيد فى عرض الأحداث من بدايتها. وهناك «المنهج العلمى التحليلى» القائم على الاستقراء، والاستنباط، والنقد وهو سائد فى الدراسات التاريخية، وهناك «المنهج الاجتماعى والسيكولوجى» وهو مفيد عند تناول الشخصيات التى لعبت دوراً مهماً فى خلق الأحداث وفى عرض المشاكل وتناولها وفى التفاعل مع مجريات الأمور. وهناك «المنهج السببى» وهو مفيد فى المقارنة بين الأحداث وفى إصدار أحكام لموقف معين أو سياسة معينة. ويهتم بالبحث عن جذور الظاهرة وفى الأسباب الحقيقية للأزمات. وفى التحليلات التى تكشف عن العلاقة بين الحدث التاريخى وأسبابه، وهناك أخيراً «المنهج المقارن» وهو منهج موضوعى يعطينا أوجه الشبه والاختلافات بالنسبة للأحداث وتفسيرها. وتركت تحديد المنهج طبقاً لكل موقف حتى يتم توصيل الصورة واضحة للقارئ.

أما عن دراسة الديانة المصرية القديمة فقد ذكرتها كما هى متضمنة فى الموسوعة وكتبت ملحقاً عنها فى آخر الجزء الأول من المختصر فقد كان الأساتذة الذين يحاضروننا . نحن المرشدين السياحيين . فى الدورة التدريبية التى كانت تعقد كل خمس سنوات قبل تجديد الترخيص . يكررون مراراً وتكراراً بأن بعض الزملاء المرشدين لم يدرسوا جيداً هذا الموضوع بالرغم من أنه موضوع استفسار دائم من السائحين الذين يصاحبونهم. وإذا كان هذا هو الحال مع بعض الزملاء فما بالنا بالقارئ العادى. وأود الإشارة إلى جملتين مهمتين ذكرهما الدكتور سليم حسن فى الجزء الأول من الموسوعة ففى صفحة (٢٦٦) قال: «إن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين منذ الأسرة الأولى» والجملة الثانية فى صفحة (٢٦٢) هى: «ضمَّنَ الأستاذ» بدج Budge «فى كتاب» من مذهب الفتيشية إلى «الله» فى مصر القديمة كل آرائه وانتهى إلى أن المصرى يعتقد فى إله واحد وأن الآلهة الأخرى ما هى إلا من خلق هذا الإله الأكبر .

ولحساسية وأهمية هذا الموضوع تضمن الملحق الخاص بالديانة مختلف الآراء التى قيلت وكتبت عنه. وقد تجنبت مناطق الاختلافات فى التفسير فهى لن تفيد بل قد تسبب بعض الغموض خصوصًا أن المجال ليس خاصًا بالوعظ بل هى دراسة تاريخية لحقبة زمنية، فيكفى أن يلم القارئ بنظريات الخليقة عمومًا بدون الدخول فى تفاصيل لاتعينه على الفهم.

ويهم القارئ العادى أن يعرف فكرة «الخالق الأعظم - نترعا - فى المدارس اللاهوتية المختلفة وإن اختلفت المسميات ففى «منف» وفى الأشمونين - بالقرب من ملوى بمحافظة المنيا - «الثامون» ولابد للقارئ أن يعرف عنّ «الديان الأعظم» ويوم الحساب حيث تتم محاكمة المتوفى بوضع «القلب» الذى يمثل الضمير فى إحدى كفتى ميزان العدل وتوضع الريشة أو «ماعت» إلهة الحق والصدق والعدالة فى الجانب الآخر مع توضيح الفكرة المهمة التى ذُكرت فى كتاب الموتى بأن «رع» [الخالق] هو نفسه «أوزيريس» [الديان].

ولوجود العديد من الآلهة المحلية فى كل إقليم قمت بإعطاء بعض الأمثلة لثالوث بعض الأماكن مثل «أوزوريس وإيزيس وحورس». ويمتاز المصرى القديم بالتسامح ونجد أنه لم تقم أية حروب محلية بسبب اختلاف الآلهة وكانت الصراعات سياسية بين الحكام مثلما حدث بين تحتمس الثالث وحتشبسوت وقام أنصار كل منهما بتدمير صور كل منهما فى الدير البحرى مثلاً.

ومن أجل محاولة تحديث الموسوعة وأقصد استكمال الأحداث المهمة منذ تم كتابتها منذ حوالى ستين عامًا فإننى ذكرت أهم ما تم إضافته أواكتشافه فى هذه الفترة، بل وأشرت إلى بعض الكتب الحديثة والتى تلقى توضيحًا على ما يهمنا كمصريين لمعرفته.. وسأجمع فى الملاحق أيضًا المعلومات التى تساعدنا على فهم المجتمع، فسأجمع الألقاب الخمسة للملك وسأذكر القوائم التى تضمنت خراطيش الملوك مثل قائمة سقارة وقائمة تورين. كما أنه يهم القارئ أن يعرف الكهنة فى بعض الفترات المهمة من التاريخ فمنهم من أخفى الجثث الملكية والكنوز ليحميها من العبث مثل «خبيئة الكرنك»، ومنهم الانتهازى الذى سار فى طريق الفساد والتملق مثلما فعلوا مع بطليموس الخامس والذين كتبوا له

«حجر رشيد» تملقاً ومنهم من كون الثروات ومنهم من حكم البلاد مثل «حريحور» فى طيبة (الأقصر).

وعن تدين الشعب المصرى فإنه صفة موجودة منذ القدم وحتى الآن. لقد أشار هيرودوت بأن الشعب المصرى من أكثر شعوب العالم تديناً وكتب عنهم «إدولف إرمان» مؤلف كتاب ديانة مصر القديمة: «كثيراً ما تحدث المصريون عن «إله عام» وحتى فى الأمثلة والحِكم كانوا يعبرون عن إيمانهم به فى جمل مثل «ما يحدث هو أمر الله» «دون ذكر أى اسم والأمثلة ستوضح النصوص الأساسية مثلما تقوم الخرائط التوضيحية بتحديد المواقع المختلفة التى تمت فيها أحداث معينة أو أقيمت فيها المدن المهمة والعواصم مثل «منف» و«طيبة» أما الملاحق المختلفة فستقوم بتوضيح الفروق بين متون الأهرامات فى الدولة القديمة ونصوص التوابيت فى الدولة الوسطى بعد القيام بالثورة الشعبية، وكتاب الموتى الذى ظهر فى الدولة الحديثة. لقد عرفنا من هذه النصوص «الديانة المصرية القديمة» وعرفنا عن الحياة الأخرة من كتب مثل «ما هو موجود فى العالم الآخر» (امى دوات) وكتاب «الطريقين» وكتاب «البوابات».

وسأعطى أمثلة عن عقود الزواج. فى الملاحق أيضًا. لنعرف العلاقات الاجتماعية ومكانة المرأة المصرية. كما سأعطى أمثلة توضيحية عن الحياة اليومية التى استخلصناها من المشاهد والصور داخل المقابر.. ولأننى لا أقوم بحصر كل شىء فهذه مهمة المتخصص والتى سيجدها فى الموسوعة فإننى سأكتفى ببعض الأمثلة التى تضيف شيئًا جديداً إلى معلوماتنا مثل دور الوزير ومهامه وهذه واضحة مثلاً فى مقبرة «رخميرع» فى الدولة الحديثة.. وأكتفى بمثال واحد نعرف منه اهتمام الملك بالعدالة فى خطابه الموجه للوزير.. فالعدالة الاجتماعية على الأرض واضحة فى مثل هذه التوجيهات. والعدالة السماوية واضحة فى «المحاكمة» أمام ميزان العدل عند وضع قلب المتوفى فى جانب والريشة أو ماعت فى الجانب الآخر. وسأحافظ على المنظومة متكاملة لندرك الفكر والعقيدة والسلوك الإنسانى وراحة الضمير وعلاقة الإنسان مع خالقه الذى يقف أمامه يوم الحساب.

وستتضمن الملاحق «فهرس للموضوعات» و«فهرس للأعلام» والآلهة والأماكن، وملحق تفسيرى لتوضيح «العقيدة الشمسية» و هى الديانة الرسمية و«العقيدة الأوزيرية» وهى الديانة الشعبية مع تتبع أثر الثورة الشعبية فى إعطاء الفرد العادى حقه فى الخلود مثل الملوك. وأصبح الخفير يقف على قدم المساواة مع الأمير أمام ميزان العدالة . ومن أجل إظهار تمتع الشعب المصرى عن شعوب أخرى فى العالم القديم سأعطى نبذة عن القوانين المصرية القديمة التى كتبها «بوخوريس» و«أمازيس» و التى أخذ منها القانون الرومانى وقانون نابليون ومقارنتها بقانون «حمورابى» فى بابل حيث الاختلاف فى المعاملة بين الأمراء وبين أفراد عامة الشعب، كما سأشير فى الملاحق مدى تمسك المصرى القديم «بالحكمة والمعرفة والحقيقة» فجعلوا الآلهة تمثلها، فالإله «تحوت» (إله الحكمة) والإلهة «سيشات» (إلهة المعرفة) والإله «ماعت » (إله الحقيقة).

وأود أن أشير إلى بعض الفقرات المهمة وسأقوم بشرحها فى الملاحق الموجودة فى نهاية الجزء الأول من المختصر:

(١) جنة الفرعون السماوية كانت محرمة على الشعب؛ لأن جنة الشعب كانت على الأرض. ولكن عندما توحد الفرد العادى مع الإله «أوزير» أصبح على قدم المساواة مع الملك فى كل متاع الآخرة. ومن ثَمَّ نجد المتون تتكلم عن روحه مدة حياته. وطبقًا لمتون الأهرامات فكانت هناك العقيدة النجمية التى كانت وقفًا على الملوك ، أى أن الملك يصبح نجمًا فى السماء فى الحياة الآخرة.

(٢) كان إله الشمس فى العهد الإقطاعى يعلن أن كل إنسان مسئول عن خطيئته، كما يُستدل على ذلك من «متون التوابيت» «لقد جعلت كل رجل مثل أخيه، وقد حرمت عليهم إتيان الشر ولكن قلوبهم هى التى تعصى». ما قلت (٣١٩)

(٣) كان من نتائج الثورة الاجتماعية التى قام بها عامة الشعب من جراء الظلم الذى حاق بهم من طبقات الأشراف فى البلاد أن انقلبت الأوضاع الاجتماعية المألوفة رأسًا على عقب، فأصبح السيد مسودًا، وصار الفقير غنيًا، فسارت الفوضى مدة من الزمان مما دعا إلى قيام جماعة من حملة الأقلام المصلحين يطالبون بالعدالة الاجتماعية ويندّدون بالملك الذى كان منزويًا فى عقر داره يلهو ويلعب.

(٤) نجد فى رسائل «حقا نخت» صورة حية عن حياة الفلاح المصرى.. وإن فحصت محتويات مقبرة «مكت رع» وجدت صفحة مجيدة نقرأ فيها حياة القوم الاجتماعية بكل مظاهرها من صناعة وفن وتجارة وشئون منزلية وزراعية واقتصادية.. أما الأسرة الثانية عشرة وهى العصر الذهبى لمصر الخالدة. والباحث فى التاريخ المصرى منذ نشأته يلحظ أن شعب مصر قد قام بعد سقوط الدولة القديمة بأول ثورة اجتماعية على الأغنياء والملوك ، وطالب بالعدالة الاجتماعية والدينية ، فنال ما أراد وبذلك سجل أول انتصار للإنسانية فى ميدان النضال لنيل الحرية الشخصية والمساواة بينه وبين الحكام الغاشمين. كما أن الثقافة التى عمت البلاد فى هذا العصر كانت وليدة التربة المصرية نفسها.

(٥) ملوك الأسرة الثانية عشرة قد قضوا فى نهاية الأمر على استقلال أمراء المقاطعات.

(٦) المرأة المصرية لم تكن محجوبة عن الأنظار كما هى العادة فى التقاليد الشرقية، بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما فى المجتمع منذ الدولة القديمة .

(٧) وضع طاقات الأزهار فى القبور كانت عادة مصرية ترجع إلى آلاف السنين.

(٨) منذ وقت مبكر جداً كان هناك مقر للإنسان والإله والميت، فالمنزل للإنسان الحى والمعبد للإله والمقبرة للميت أما السرداب فهو بيت التمثال.

(٩) الجنرال اللنبى فى الحرب العالمية الأولى سار على خطى تحتمس بطل معركة مجدو. فى سوريا.

تقديم

عريان لبيب حنا

نبذة عن الدكتور سليم حسن

- ولد الدكتور سليم حسن فى ٨ إبريل ١٨٩٣م فى قرية ميت ناجى التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية.
- انتقل إلى رحمة الله فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.
- حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩.
- عمل مدرسًا فى مدرسة أسيوط الثانوية عام ١٩١٩م.
- اختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المصرى.
- عُين فى وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصرى بالقاهرة عام ١٩٢١م.
- أُوفِد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ڤيينا عام ١٩٣٤.
- أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا بجامعة السربون بباريس.
- عُين أستاذًا لكرسى الآثار عام ١٩٣٥ واكتشف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد الأثرية التى ألقت الأضواء العلمية على تطور نظام الحكومة والإدارة والنظم الاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة.

- عُين وكيلا لمصلحة الآثار المصرية عام ١٩٣٦، وطلب من الملك فؤاد استرداد مجموعة القطع الأثرية التى كانت فى حوزته فأعادها الملك.. وعندما تولى الملك فاروق عرش مصر طالب بإرجاع هذه القطع الأثرية باعتبارها من الممتلكات الخاصة لأبيه، فرفض الدكتور سليم حسن هذا الطلب.
- صدر قرار بإحالته إلى المعاش عام ١٩٣٩، وكان عمره آنذاك حوالى ستة وأربعين عاما.
- كان هذا القرار بإحالته إلى المعاش فاتحة خير للدكتور سليم حسن حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى.

أهمية الموسوعة

إن موسوعة الدكتور سليم حسن قد أسست [1] فى اللغة العربية دراسة علم الأنثروبولوجيا التاريخية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية باحتوائها على الدراسات والبحوث المتعلقة بعلاقة الثقافة الشعبية المصرية المعاصرة بالتراث المصرى القديم. وأثبتت مدى تأثير اللغة المصرية القديمة فى اللغة المصرية العامية الدارجة، وتأثيرها أيضًا فى مجال موروثات الأدب الشعبى.

الجــزء الأول

عصر ما قبل التاريخ



الموضوعات التى تناولها الجزء الأول

١ ـ عصور ما قبل التاريخ والعصور الحجرية (القديم والمتوسط والحديث) وعصر المعادن (وحضارة كل من الوجه البحرى والوجه القبلى، وتاريخ الفنون فى تلك الحقبة التاريخية).

٢ ـ ظهور رموز وعلامات وحروف اللغة المصرية القديمة.

٣ ـ دراسة أصل المصريين الأوائل.

٤ ـ تنظيم وابتداع تقويم السنة الشمسية.

٥ ـ بداية وحدة مصر ـ الحضارة على ضفاف النيل (زراعة ـ صناعة ـ تجارة).

٦ ـ أصول الديانة المصرية (دور النيل والكون فى الفكر الدينى).

٧ ـ بداية العصر العتيق... الذى يتضمن الأسرتين الأولى والثانية.

٨ ـ عصر الدولة القديمة.. الذى يتضمن الأسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة.

٩ ـ الثورة الاجتماعية العارمة و فترة الاضمحلال الأولى.

١٠ ـ مصادر التاريخ المصرى القديم.

١١ ـ الألقاب الرسمية للفرعون ودوره فى حفظ النظام.

١ ـ إنه تاريخ شعب عريق قديم له عقيدته وفلسفته فى الحياة وله ثقافته ونظامه وطرائق معيشته . ومن الملاحظ أن المصرى كان يفكر دائما فى دائرة الحس ولايسمح لعقله أن يحلق فى أجواء المعقولات والمعانى، فهو لايؤمن بالحب وإن كان يقدس المحبوبة. يجسم آلهته ويصورها ويتخذ لها من الحيوانات والكائنات مظاهر يقدسها ويعبدها مع اعتقاده بالوحدانية.

٢ ـ من يعرف اللغة المصرية القديمة وصعوبة فهمها واحتمال اللفظ للكثير من المعانى يلتمس العذر لعلماء الآثار وتعدد آرائهم وتباين مذاهبهم .

وقد بدأت دراسة أخلاق وعادات الشعب المصرى مع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون . ويعتبر العالم أرسلان (عام ١٨٦٨) أول من أثبت علم ما قبل التاريخ فى مصر ... أما أول عالم أثرى يعترف بوجود هذا العلم فى مصر فهو «جاك دى مرجان» عام (١٨٩٧) والذى كان مديرًا للآثار المصرية وأثبت بصفة نهائية أن عصر الحجر المهذب فى مصر قد سبق عصر الحجر المصقول، ثم خلفهما عصر استعمال المعادن.

مصر والنيل

تتكون القشرة الأرضية فى البلاد المصرية من ثلاث طبقات متتابعة، وتتألف التربة من صخور شيستية متبلورة منها حجر «البرفير» والجرانيت ثم الديورايت. وينحصر وجود الصخور الشيستية المتبلورة فى الصحراءالغربية وحول الشلال الأول. أما الصخور الرملية فإنها توجد فى بلاد النوبة، وفى الوجه القبلى حتى إسنا . وفى الأقصر وبالقرب من القاهرة وفى الواحات الخارجة.

أما الطبقات الجيرية فقد تكونت منها الصحراء اللوبية (ليبيا) وهناك ميل مزدوج ضعيف فى طبيعة أرض مصر. يتجه الميل الأول من الجنوب إلى الشمال حسب اتجاه النيل، أما الميل الثانى فهو أشد انحدارًا ويبتدئ من الشرق إلى الغرب أى من شواطئ البحر الأحمر إلى إقليم الواحات. والصحراء الشرقية - والتى تسمى صحراء العرب - تصل جبالها إلى ارتفاع عظيم بالقرب من الشاطئ ثم تنحدر نحو الوادى. والصحراء الغربية - وهى صحراء ليبيا - فإنها تبتدئ بتلال قليلة الارتفاع تسير مع السهل الرملى وتنتهى بعدة منخفضات وهى الواحات.. وكان جبل المقطم وهضبة الأهرام هما الحدان اللذان يجرى النهر فى وسطهما فى الزمن الجيولوجى الثالث وتكونت الدلتا.. وصب النيل فى البحر الأبيض المتوسط.

عصور ما قبل التاريخ[٣]

كانت بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق.م. وتنقسم عصور ما قبل التاريخ إلى: عصر استعمال الحجر المهذب، ثم عصر الحجر المصقول بعد التهذيب ثم عصر استعمال المعادن (النحاس والحديد). وظهر الفخار فى العصر الحجرى الحديث. وقد قام «فلندر بترى» بدراسة فخار ما قبل التاريخ، واعتبر رقم ٨٠ يعادل بداية العصر التاريخى الحقيقى، أى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة.

وأخذ رقم ٣٠ وخصصه لأقدم ما عرف إلى عهده من أنواع الفخار واحتفظ بالرقم من ١ ـ ٣٠ إلى ما عسى يكشف عنه من فخار أقدم عهدًا مما عرف. وخصص العلماء رقم ٢٠ ـ ٢٩ إلى بلدة البدارى.

وربما كان العصر الحجرى القديم أول ظهور الإنسان. وبقايا هذا العصر مصنوعة من حجر صلب وأرهف حدها.. والبلطة الغليظة. ولا نعرف شيئًا عن هذا الإنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية أو الدينية لأنها لاتزال موضع تخمين، ولكننا نستطيع أن نحكم من الآلات التى صنعها بأنه إنسان راق يسيطر بذكائه على الحيوان الذى يشن عليه الحرب يوميًا، يضاف إلى ذلك أنه كان فى قدرته أن يخترع ويُحسّن كل ما هو فى متناوله، فقد عرف كيف يوقد النار ويطهو طعامه.

ويعتبر العالم.. «دى مرجان» أول من كشف طبقات مرتبة ترتيبًا تاريخيًا.. وقد ظهرت فى منطقة العباسية بالقاهرة آلات تخص هذا العصر وظهرت آلات دقيقة الصنع. والألوان على جدران الكهوف ظهرت أيضًا فى هذا العصر. أما عصر الحجر المهذب وهو العصر الحجرى الحديث،وعصر الحجر المصقول فقد ظهر فى بلدة مرمدة أبى غالب.. واكتُشفت آثار فى مرمدة بنى سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية، ثم ديمه وكوم أوشيم وقصر الصاغة وكلها فى مديرية الفيوم. أما فى الوجه القبلى، فقد عُثر على مدينة جديدة فى بلدة «دير طاسا» وفى طوخ والقطارة والجبلين.. وأقدم فخار اكتُشفت فكان فى مرمدة بنى سلامة. وفى دير طاسا. وفخار دير طاسا أسود ولم يحُرق حرقا محكمًا.

العصر الحجرى الحديث

بدأ الإنسان فى هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلاً من مكان لآخر. وبسبب قلة الأمطار نشأ الجفاف المتوالى وأصبحت مناطق الصيد قليلة. وكانت المساكن تأخذ شكلا بيضيًا. ووجود الأوانى الفخارية بها تدل على استعمالها سكنًا للإنسان، ولا يبعد أنه كان يستعمل مخازن لحفظ الحبوب. أما روح الفن فتكاد منعدمة فى هذا العهد.

ومن الملاحظ أن «المدينة المرمدية» (فى الوجه البحرى) أقدم من مدينة الوجه القبلى (المدنية الطاسية) «دير طاسا». وهناك مدنية أخرى عثر عليها فى الفيوم ومدافن الفيوم لم توجد بالقرية لأنها كانت مفصولة عنها كما هو الحال فى الوجه القبلى.

عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الظرآن. فنجد حلى من النحاس والذهب ومصنوعات من البرنز. وقد أطلق على هذا العهد بداية التاريخ، أى عهد ظهور الكتابة فى مصر، ويرجع

الفضل فى إبراز هذه الثقافة المصرية من مكمنها فى بدايتها إلى جهود العلماء. وأول هؤلاء الأستاذ «فلندز بترى» وذلك فى عام ١٨٨٩ عندما قام بحفائر فى اللاهون عند مدخل الفيوم، ثم تابع أعماله فى ميدوم فطوخ فالبلاص، وقام العالم «دى مرجان» وأملينو الفرنسى ثم «ماك إيفر» و«جار ستانج» فى نقادة، والعرابة، والكاب وغيرها من الأماكن الأثرية. أما فى بلاد النوبة فقد قام الأستاذ «ريزنر» بحفائر فى المواقع التى كان يهددها تعلية خزان أسوان وقد وصف لنا البحاثة «ستون كار» مصنعًا عظيمًا عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فخمة الصنع وذات أحجام خارقة للحد المألوف. ويقع هذا المصنع فى (وادى الشيخ) بالقرب من بلدة مغاغة. وفى عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بدأ المستر «برنطون» بعمل حفائر بالقرب من بلدة البدارى الحالية. وقام العالم الأثرى «برشيا» بحفائر فى كوم القناطر فى الدلتا. وقام الأستاذ «ينكر» ببحوث فى تل اليهودية بالدلتا أيضًا. وكشف الأستاذ مصطفى عامر عن محطة مهمة فى المعادى بين القاهرة وحلوان. وقام الأمير كمال الدين بالعمل فى الصحراء حتى (جبل عوينات).

وبعد عصر البدارى الذى جاء مباشرة بعد عهد «دير طاسا» فى الوجه القبلى، جاء العصر النقادى نسبة إلى بلدة نقادة القريبة من قوص. وقام الأستاذ «بترى » والمستر «كوبيل» بعمل حفائر فيها عام ١٨٩٥.

وأهم مواقع ما قبل الأسرات فى الوجه القبلى هى طوخ وبلاص شمال الأقصر ثم «ديو سبوليس بارفا» بالقرب من نجع حمادى والعامرة، ونجع الدير والمحاسنة وبيت خلاف وجرزا وأبى صير الملق عند مدخل الفيوم..

كان أول بناء فى عصر ما قبل الأسرات فى المعادى. وفى عهد البدارى كان القبر لايزال حفرة بيضية أو مستديرة الشكل . أما المتوفى فكان يكفن فى حصير أو فى جلد ماعز. وعادة كان يوضع فى تابوت ويغطى بالأعشاب. وقد عُثر بجانب بعض المتوفين على ملابسهم اليومية وحليهم، وكانت رأس الميت تستند على مخدة كأنما يريد الموت، والظاهر أن التابوت المصنوع من الخشب أو من الفخار لم يكن معروفًا فى مقابر البدارى. وفى نقادة تقدمت طريقة الدفن

بسرعة، فأصبح شكل اللحد سواء أكان بيضيًا أو مستديرًا يشبه شكل العشة . وقد عُثر فى «العمرة» على مقبرة نموذجية ومحتوياتها لاتقل عن ٢١ إناء. وبتقدم فن المعمار أدخل بناء الجدران باللبن وكذلك استخدمت القباب وأضيفت حجرات مجاورة لحجرة الدفن الأصلية خصصت للمئونة والقربان، ووضع سلم للنزول أو الصعود بواسطته..

وأخذت عادة لف الجثة فى حصير أو جلود تختفى تدريجيًا، وأخذ يحل محلها وضع الجثة أولا فى سلة من البوص المجدول ثم توضع بعد ذلك فى تابوت حقيقى مصنوع من الفخار أحيانا، وغالبا يكون مصنوعًا من ألواح، وكان المتوفى سواء أكان غنيًا أو فقيرًا يوضع فى القبر مقرفصًا. وقد فسر بعض علماء الآثار سبب وضع الجثة مطوية فى القبر بأنها الحالة الطبيعية التى ينام بها الإنسان. وقد يمثل الجنين فى بطن أمه. وقد عُثر على عدد من الأجسام منفصلة عظامها.. وربما كان أغرب من أظهرته لنا المقابر ما قبل الأسرات وجود عدد لايستهان به من الأجسام ، فيها الجزء الأمامى من عظم الساعد مكسور.

اكتشاف المعادن

أخذت صناعة الظرآن تتقهقر أمام صناعة المعادن التى بدأت تزداد تدريجيًا حتى أصبحت معظم الآلات التى يستعملها الإنسان فى حياته اليومية تصنع من هذه المادة. وظهر الحديد المطروق، وتم اكتشاف الذهب والفضة وإن كانت الأخيرة نادرة. وقد عزا العلماء السبب فى كشف معدن النحاس إلى استعمال المصرى مادة التوتيه (نترات النحاس) فى معظم القبور المصرية وربما تعلم المصرى الحصول على النحاس بصهر حجر التوتيه فى النار.

صناعة النسيج

أخذت صناعة النسيج تنمو وتتقدم منذ عصر استعمال المعادن، وبقايا الأقمشة التى عُثر عليها فى مقابر البدارى لاتزال خشنة الصنع ساذجة، ولكنها فى الوقت نفسه كانت صلبة منتظمة النسيج، وهذه الأقمشة كانت تصنع ملابس، هذا إلى أن هناك صناعة الجلود أخذت فى التقدم.

وتدل أخشاب الأَسرَّة التى عُثر عليها فى البدارى وبقايا توابيت عصر ما قبل الأسرات المتوسط والآلات النحاسية التى ظهرت تدل على تقدم الصناعة، بل إن إنسان هذا العصر كان يصنع أوانى من الفخار غاية فى الدقة تدل على سلامة الذوق والمهارة الفائقة. بل إننا نجد رسم الإنسان والحيوان والسفن على الفخار . أما صناعة المينا الزرقاء والخضراء فترجع إلى أول عصر بداية المعادن وكيف كانت تصنع بخليط من البلور الصخرى المطحون والجير والبوتاس وكربونات النحاس.

الأحجار شبه الكريمة

هناك (فيانس) وهو ما يطلق عليه خطأ اسم القيشانى المصرى، وحجر الكورتس ، وحجر ستايتيت، وحجر الشيست، والحجر الجيرى والمرمر والبازلت والجرانيت الوردى، والحجر الجيرى اللين والعاج والعظم، كما عرفوا الزجاج فتركوا لنا بعض خرزات دلاية «بندنتيف» زرقاء اللون تشبه اللازورد، كما صنعوا من الأحجار رءوس الدبابيس التى استعملت للحرب.

ديانة عصر بداية المعادن

وفى متون الأهرام هناك إشارة إلى ديانة ما قبل الأسرات فى الوجه البحرى فقط، وهذه المتون كانت خاصة بالملوك لابعامة الشعب. وما كشف من الآثار حتى الآن يدل على أن مدنية الوجه البحرى أعرق فى القدم من مدنية الوجه القبلى. وتم العثور فى جبانة عصر البدارى على حيوانات تم دفنها بعد تكفينها، ممالايترك مجالا للشك فى أنها كانت تقدس وتعبد كما وجدوا تعاويذ فى مقابر هذا العصر وكذلك ربما كانت لآلهة.... ومن أهم الأدلة على اعتقادالقوم فى هذه الأزمنة السحيقة بأن الإنسان سيعيش مرة أخرى فى قبره ما يلاحظ فى ترتيب الأدوات التى كانت توضع معه، فلابد للمتوفى أن يستعملها فى حياته الثانية فى القبر.

الفن

أظهرت لنا حفائر البدارى حُليًا تدل على بداية ذوق فنى أخذ يتحقق على مر الأيام تدريجيًا، إذ عُثر هناك على قلائد منظومة فى خيوطها حبات من الفيروز يتخللها على مسافات متساوية قطع كبيرة من العقيق، وحجر اليشب وحجر الحية، ووجدت أسورة ذات حجم عظيم من العاج، وأمشاط للشعر محفورة فى

رقعة كل منها رءوس طيور. أما أدوات الزينة التى وجدت بجوار جثث سراة القوم فى مقابرهم فإنها محفورة فى العاج ، ومعظمها نماذج أوان للعطور وملاعق مستديرة أو مستطيلة الشكل ذات أيد إسطوانية، وتنتهى كل يد برأس حيوان أو ما يشبه. ووجدت دمى من العاج (فى مقابر الأغنياء) ودمى من الطين فى قبور فقراء القوم. ويلاحظ أن تماثيل الدمى المختصرة الصنع هى طلائع التماثيل الجنائزية فى العهد التاريخى، كما ظهرت أمشاط للزينة، وفن نحت العاج نحتا بارزا. ونجد أنواع دمى لمرأة واقفة عارية الجسم ذراعاها ملصوقان بجسمها ، وظهر نوع آخر من الدمى للمرأة ذو ثديين ناهدين، وكذلك ظهر نوع من الدمى الذى كان يمثل أمًا تحمل ولدها على ذراعيها أو فى حجرها. كما ظهر النحت الغائر جنبا إلى جنب من النحت البارز.

تلوين المقابر وزخرفتها

من المحتمل أن تلوين المقابر وزخرفتها يدل على أن المتوفى أخذ يحل هذه الزخارف والرسوم محل رسوم الفخار الذى كان يوضع معه فى مقبرة. على أن القبر الوحيد الذى عُثر عليه من هذا النوع فى هذا العصر هو قبر هيراكنبوليس «الكاب».

ويلاحظ أنه حدث بعض التقدم فى استعمال الألوان فى رسم الأشكال فبدلاً من لوح واحد استعملت ثلاثة وهى الأحمر القاتم والأسود ثم الأبيض. كما ظهرت الأوانى على شكل الحيوانات.



حجر رشيد المكتوب بثلاثة نصوص الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية

لماذا كانت مدنية الوجه البحرى أقدم من الوجه القبلى؟

أرض الدلتا تمتاز بخصب تربتها وطيب جوها: هذا إلى أنها تقع على مفترق طرق إفريقية وآسيا ، مما سهّل لها الاتصال بالممالك القريبة منها، فتجلب إليها خيراتها الزراعية، كما تضيف إلى مدنيتها الأصلية مدنية جديدة... أما الوجه القبلى فهو قطر طويل محصور بين سلسلتين من الجبال القاحلة... والواقع أن أهل الصعيد كانوا منفصلين عن باقى العالم بهذه الصحارى المترامية الأطراف، فلم يكن أهله يختلطون إلا بالبقية الباقية من بدو الصحراء الجوالين، وهم قوم لاثقافة ولامدنية لهم... ومن المرجح جدًا أن أول من فكر فى تنظيم مياه النيل وتوزيعها هم أهل الدلتا؛ لأنهم كانوا بطبيعتهم أهل حضر وحضارة، أما أهل الصعيد فإنهم كانوا أقرب إلى البداوة.

حل رموز اللغة المصرية القديمة(٤)

بقيت اللغة المصرية القديمة سرًا من الأسرار نحو ١٤٠٠ عام إلى أن جاء شمبليون سنة ١٨٢٢ وكشف عن أسرارها بحل رموز الهيروغليفية على أن لغة القوم نفسها لم تمح من البلاد خلال تلك المدة، بل بقيت فى شكل آخر هو اللغة القبطية، وذلك أن الهيروغليفية منذ فتح الإسكندر لمصر أخذت تكتب علاوة على كتابتها بالإشارات المصرية، بحروف إغريقية بعد إضافة سبعة حروف ديموطيقية لم يكن لها مثيل فى اللغة اليونانية. واختفت الكتابة الهيروغليفية فى أواخر القرن الرابع الميلادى باختفاء الوثنية من البلاد، أما اللغة الإغريقية فقضى على تداولها بعد الفتح العربى مباشرة، بينما بقيت الكتابة القبطية لغة القوم فى بعض أماكن فى الوجه القبلى فى الصلوات والعبادات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر ،ثم انحصرت بعد ذلك فى الصلوات الدينية المحضة.

ويرجع الفضل لحل رموز اللغة الهيروغليفية إلى اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩ وأول عمل قام به «شمبليون» أنه بحث موضوع اختلافات الكتابات المصرية القديمة، وبرهن أن الكتابة الهيراطيقية هى اختصار للكتابة الهيروغليفية. وظل شمبليون يجمع الخراطيش ويقوم بعمل مقارنات. ووصل إلى أن الكتابة لم تكن

هيروغليفية

هيراطيقية

ديموطيقية

الأنواع الثلاثة الرئيسية للكتابة

حروفا أبجدية محضة، ثم إنها لم تكن إشارات رمزية فحسب، كما كان يعتقد الناس من قبل، بل إنها فى الواقع كانت تحتوى على:

(١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل «رع» و«تحوت».

(٢) إشارات صوتية قد تكون أحيانا مركبة من مقطع مثل «مى» وأحيانا من حروف أبجدية مثل حرف «س».

وبعد أن وضع «شمبليون» النواة الأساسية لحل رموز اللغة جاء بعده علماء من مختلف الجنسيات تقدموا كثيرًا فى دراسة اللغة وعلم الآثار. ومن هؤلاء العلماء «مارييت» و«ماسبيرو» الفرنسيان و«لبسوس» الألمانى و«إرمن» الذى وضع أجرومية اللغة المصرية القديمة، و «شتيدوف» الذى وضع أجرومية اللغة القبطية، والأستاذ «زيته» الذى جمع متون الأهرام وترجمها و«ينكر» و«شبيجلبرج» و«شيفر». ومن العلماء الإنجليز «برش» و«كلنسون» صاحب كتاب العادات والأخلاق فى مصر القديمة، ثم الأستاذ «جرفث» صاحب التآليف العدة فى الديموطيقية وتراجم المتون المصرية القديمة و«جردنر» الذى وضع كتابا فى أجرومية اللغة المصرية. و«جن» الذى وضع كتابا قيمًا فى إعراب اللغة المصرية. وأخيرًا الأستاذ «نيوبرى» وله أبحاث دقيقة فى علم الآثار.

وبجانب هؤلاء العلماء لدينا «جولشيف» الروسى و«ريزنر» الأمريكى، ومن أهم مؤلفاته كتابه عن «منكا ورع» بانى الهرم الثالث. أما أكبر عالم خدم التاريخ المصرى القديم فهو الأستاذ «برستيد» الذى جمع كل المتون التاريخية، واستخلص منها تاريخًا لمصر يعتبر رغم قدمه من أكبر المراجع فى التاريخ المصرى القديم حتى الفتح العربى. أما المرحوم أحمد كمال باشا فقد أسس معهدًا لدراسة الآثار المصرية بالجامعة.

١. وكلمة هيروغليفية التى استخدمها كليمنت السكندرى فى فقرة مشهورة سلفت الإشارة إليها (صفحة٢٣) تعنى حرفيًا النقوش المقدسة. وهى تعنى هذه التسمية فقط؛ لأنها فى العصور المتأخرة كانت تستعمل كلية فى غالب الأمر فى النقوش المحفورة على جدران المعابد. وهى تطلق الآن - تبعًا لذلك - على كل الكتابة المصرية التى لاتزال تتكون من صور ابتداءً من الكتابة المفصلة ذات العلامات الملونة الواضحة التى تزين المقابر حتى النماذج المختصرة المكتوبة بقلم القصب على البردى والتى تتضمن نصوصًا دينية.

والواقع أن الهيروغليفية هى من غير شك النوع الأصيل من الكتابة الذى تطورت منه كل الأنواع الأخرى، وهى تقرأ أحيانا من أعلى إلى أسفل، وأحيانا أخرى من اليمين إلى اليسار ولكنها تقرأ فى بعض الأحايين كذلك من اليسار إلى اليمين، وهذه هى الطريقة التى نمارسها فى كتب القواعد التى ننشرها، وحين تكون الكتابة من اليمين إلى اليسار تتجه العلامات إلى ناحية اليمين.

٢. ويحدثنا « كليمنت» أن كلمة الهيراطيقية أطلقت على أسلوب الكتابة الذى يمارسه الكتّاب الكهنة فى كتبهم الدينية. وهى اشتقاق من الهيروغليفية المختزلة المذكورة فى الفقرة السابقة، ولكن دارسى المصريات مدوا استخدام هذا الاصطلاح إلى عدد أكبر كذلك من أنواع مختزلات الكتابة التى عثر عليها فى النصوص الأدبية أو النصوص المتصلة بشئون تجارية ويغلب على هذه الكتابة «التشبيك» أى أن العلامات مربوطة بعضها ببعض وهى فى أغلب الأمر ممدودة

جدا اللهم إلا فى العلامات الأولى التى تتجزأ إلى خطوط تقريبًا. وتسهيلاً للدراسة تحولت الهيراطيقية عادة إلى هيروغليفية رغم أن ذلك يصبح فى حكم المستحيل فى النماذج البالغة المد، وأما اتجاه الكتابة عادة فمن اليمين إلى اليسار.

وأما النوع الثالث من الكتابة المصرية فيسمى «انكوريال» (وطنى) على حجر رشيد كما يسميه كليمنت «أبيستولوجرافى» (كتابة الخطابات)، وأما الدارسون المحدثون فقد احتفظوا بتسمية هيرودوت له.

٣- «ديموطيقى» (شعبى) وقد تطورت هذه الكتابة من الهيراطيقية فى عصر الأسرة الأثيوبية (حوالى ٧٠٠ق. م.) وهى تقدم ميزات كبيرة.

٤- اللغة القبطية وهى عبارة عن اللغة الديموطيقية كتبت بحروف يونانية وأضيفت عليها (٧) أصوات (حروف) غير موجودة باللغة اليونانية القديمة.

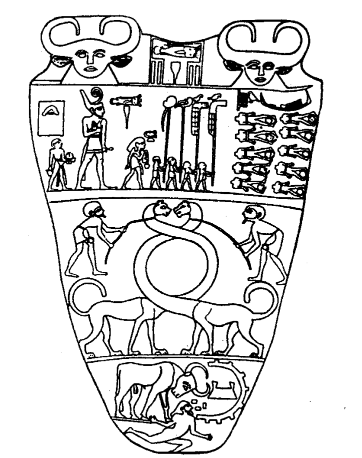
العلامة	الدلالة التصويرية	الدلالة الصوتية بالعربية	الدلالة الصوتية بالأوروبية
𓄿	عقاب	أ ، ا	ꜣ
𓂝	ساعد	ع	ꜥ
𓃀	ساق	ب	b
𓆑	حية ذات قرنين	ف	f
𓈖	موجة ماء	ن	n
𓉔	فناء دار	هـ	h
𓐍	مشيمة السيدة	خ	ḫ
𓊃	مزلاج (ترباس الباب)	ز	s
𓈙	حوض ماء	ش	š
𓎡	سلة ذات أذن	ك	k
𓏏	رغيف خبز	ت	t
𓂧	يد	د	d
𓇋	قصبة مزهرة	إ ، ي	i
𓅱	فرخ سمان	و	w
𓊪	مقعد	پ	p
𓅓	بومة	م	m
𓂋	فم	ر	r
𓎛	ضفيرة من الكتان	ح	ḥ
𓄡	بطن حيوان ثديي وذنبه	غ	ẖ
𓋴	منديل مطوي	س	ś
𓈎	جانب الكثيب (= التل من الرمل)	ق	ḳ
𓎼	حمالة زير	ج	g
𓍿	عقال للدواب	ث	ṯ
𓆓	ثعبان	چ	ḏ

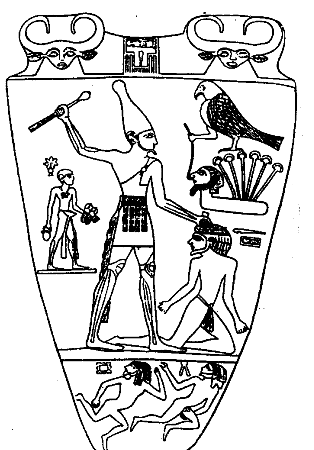
أبجدية الكتابة الهيروغليفية ـ نقلاً عن الدكتور عبدالمحسن بكير

مصر وأصل المصريين (٥)

كان يطلق على مصر اسم «كيمى» ومعناها الأرض السوداء، وكان يطلق على الوادى الخصب المنزرع (اشتقاق كلمة كيمياء جاء من هذا اللفظ). أما الأرض التى تحيط بالوادى فكان يطلق عليها «تا ـ دشر» وتعنى بالمصرية البلاد الحمراء أى الصحراء. وقد أطلق اليونانيون عليها «أجبتيوس» ومنها اشتق الاسم الإنجليزى "Egypt". وكانت مصر مكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى ـ الإفريقى الأصل ـ والقادمون من إفريقيا الشمالية الشرقية «الصوماليين»،وهم يمثلون أقدم مدنية معروفة فى وادى النيل،وهجر إليها واختلط بالسكان الأصليين أناس آسيويون. ولم يجمع العلماء معلومات عن طريق دخولهم لمصر... فهل جاءوا من جزيرة بلاد العرب ودخلوها عن طريق البحر الأحمر من جهة «قفط» أم قدموا من شرق البلاد عن طريق فلسطين فسيناء فشرق الدلتا...

ومعلوماتنا عن هذه الحقبة أتت من الحفائر فى الوجه القبلى، مع أن هناك مناطق أثرية أقدم من تلك واقعة فى الدلتا.





صلاية الملك «نعرمر» المتحف المصرى

إن عبادة الإله «حور» هى من أقدم المعبودات المصرية، ودخلت مصر من الجنوب عن طريق النوبة. وعبادة الإله «أوزير» يرجع أصلها إلى بلدة «أبوصير» القريبة من سمنود. وعبادة إله الشمس «رع» يرجع أصلها إلى بلدة عين شمس القريبة من القاهرة... ومن المحتمل أن الجنس الجديد قد زحف على البلاد من شمال سوريا عن طريق فلسطين وسيناء وأحضر معه مدنية أرقى من مدنية الجنس الأصلى الحامى الذى لم يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية. أما الغزاة أو النازحون، فيقال إنهم أدخلوا فى البلاد معرفة المعادن وبخاصة النحاس، وأدخلوا كذلك عبادتهم للأموات وديانتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية. وقد اتفقت المصادر التاريخية على أن الملك «مينا» هو أول حاكم موحد .ونجد اللغة والزراعة والديانة التى نمت وترعرعت فى البلاد مصبوغة بصبغة أهلها الأصليين منذ أقدم عهودهم، ولكنها مدينة للآسيويين الفاتحين بإحضار الحيوانات المنزلية كالثور والخنزير والحمار والماعز، وكذلك استحضار أقدم الحبوب مثل الشعير والقمح.

نحو توحيد البلاد

كانت الجماعات أو القبيلة فى حالتها الساذجة تلتف حول صورة حيوان أو نبات سواء أكان حقيقيًا أو رمزيًا، وكانت تتخذ ذلك لها بمثابة إله أو وثن تعبده، وبعد ذلك أخذت القبائل تتجمع وكونت مدنًا لكل منها حكومتها.

وهذه المقاطعات كانت فى بادئ الأمر مستقلة، وإن كان حكامها لم يطلق عليهم الملوك وتجمعت مقاطعات الوجه البحرى إلى مملكتين الأولى فى الغرب وعاصمتها «بحدت» وربما كانت دمنهور الحالية، والثانية فى الشرق وعاصمتها «أبوصير» بالقرب من سمنود الحالية. وكان إله المملكة الأولى «حور» وإله الثانية «عنزتى» وقد صار «أوزير» فيما بعد... واندمجت هاتان المملكتان فى مملكة واحدة أطلق عليها «الوجه البحرى» وكانت العاصمة الجديدة فى بادئ الأمر «سايس» صا الحجر الحالية فى الغربية مركز كفر الزيات، وكانت الإلهة الرسمية «نيت» ثم أصبحت العاصمة فيما بعد «بحدت» دمنهور، وكان الإله الرسمى فيها «حور».

وفى الوقت الذى اتحدت فيه الدلتا إلى مملكة واحدة، تكونت مملكة أخرى فى الوجه القبلى مؤلفة من اتحاد عدة مقاطعات عاصمتها بلدة «نقادة» على مسافة كبيرة من شمالى الأقصر، وكان الإله المعترف به هو «ست» مناهض الإله «حور»، والظاهر أن الدلتا كانت أقوى من الصعيد، ولذلك كان ملوك الدلتا أول من فكروا فى اتحاد كل مصر تحت سيطرة حاكم واحد. وحدثت أول ثورة مصرية فى الوجه القبلى فى نقادة وامبرس (البلاص الحالية) احتجاجًا على تسلط الدلتا وانفصل شطراها عن بعض، فأصبح الوجه البحرى للإله «حور» والوجه القبلى للإله «ست» وأصبحت مملكة «حور» أكثر بطشًا من مملكة «أوزير» حتى أنها توصلت إلى إخضاع مملكة «ست» فى الوجه القبلى وقامت بتنظيم وحدة البلاد متخذة عين شمس عاصمة للملك.

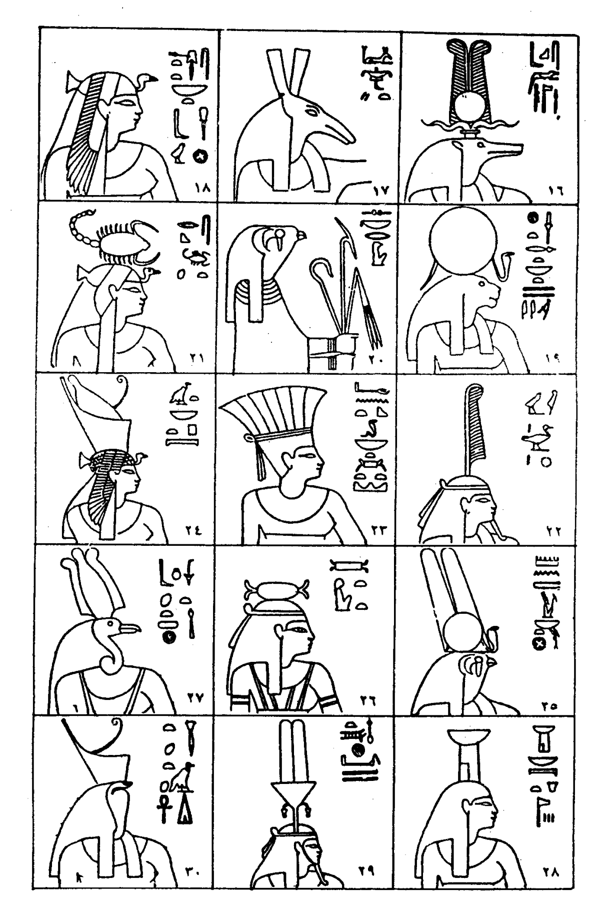
ويبدو أن بعض الآلهة فى الوجه البحرى مثل «أوزير» و«حور» قد انتقلوا حاملين معهم اسم محل عبادتهم إلى الوجه القبلى. ولذلك نجد اسم المدينة مكررًا فى القطرين، فنجد مثلا بلدة عين شمس فى الوجه البحرى (هليوبوليس)، وبلدة عين شمس أخرى فى الوجه القبلى (أرمنت) وهكذا. ثم قامت عين شمس تطفئ نار ثورة دينية فى الأشمونين فى مصر الوسطى، وقد كان الغرض من هذه الثورة أن تحل عبادة إلهها محل عبادة الشمس.

ثم ظهرت مملكتان مستقلتان من جديد فى البلاد. الأولى فى الوجه البحرى وعاصمتها «بوتو» المعروفة الآن بتل الفراعين فى شمال دسوق، والثانية فى الوجه

القبلى وعاصمتها (قفط) ثم «نخن» وهى المعروفة الآن بالكوم الأحمر تجاه الكاب، غير أن «حور» ابن «أوزير» وهو الذى أخضع نهائيًا الوجه القبلى متغلبا على «ست»، وأصبح الإله الرسمى لكل من هاتين المملكتين.



بعض المعبودات المصرية الرئيسية

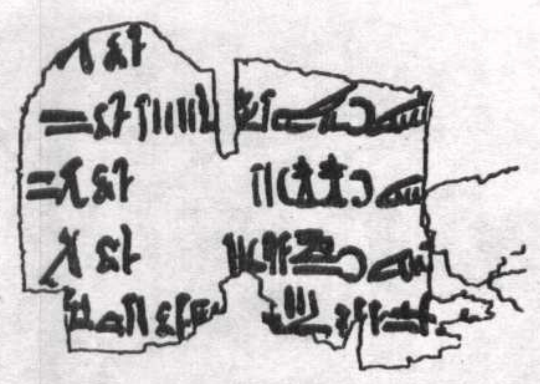


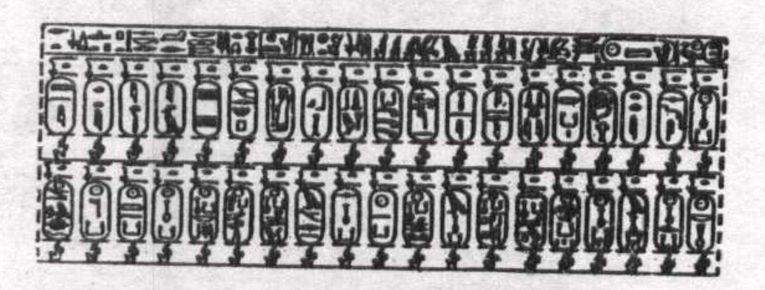
(١٦) سبك (١٧) ست (١٨) ساتت (١٩) سخمت (٢٠) سكر (٢١) سرقت (٢٢) شو (٢٣) عنقت
(٢٤) موت (٢٥) مونتو (٢٦) نيت (٢٧) نخبت (٢٨) نفتيس (٢٩) نفرتم

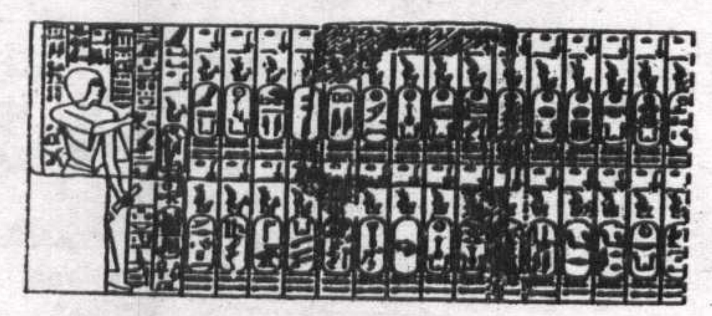
وقد وُحدت البلاد من جديد للمرة الثالثة والأخيرة تحت سلطان عظيم من عظماء أهالى طيبة بالقرب من العرابة المدفونة مركز البلينا. وقد جاء ذكر هذا العظيم فى جدول الملوك الذى كُتب فى عهد الدولة الحديثة باسم «مينا»، وقد أطلق عليه اليونان لفظة «مينيس».. وقد بنى عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس العاصمة القديمة، وقد سماها «من - نفر» (الميناء الجميلة) وهى التى أطلق عليها اليونان اسم «منفيس» (البدرشين وميت رهينة) وكان الإله «بتاح» هو الإله المحلى. ولم يذكر المصريون إلا أن ملوك الوجه القبلى كانت عاصمتهم فى «نخن» (الكوم الأحمر). وملوك عاصمة الوجه البحرى كانت « بوتو». ويعرفون كذلك أن ملك الوجه القبلى كان يلبس التاج الأبيض وكانت تحميه الآلهة النسر «نخبت».وملك الوجه البحرى كان يلبس التاج الأحمر وتحميه الآلهة «الصل» «وزيت» أى الثعبان. وذكُر اسم مينا ضمن الملوك بحجر «بلرم» وذلك لأنه محفوظ فى بلرمو عاصمة صقلية.

تنظيم نتيجة السنة الشمسية

عمد علماء الآثار المصرية والمؤرخون المختصون فى علم الفلك والتاريخ إلى إيجاد طرق حسابية غاية فى الحذق؛ للوصول إلى تحديد العصر الذى ابتدأ فيه التاريخ بالسنة الشمسية وابتدءوا سنة ١٣٩م. ونحن نعرف بالضبط أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تمامًا مع اليوم الذى ظهر فيه نجم الشعرى اليمانية «سوتيس»، وهو اليوم الذى بدأ فيه فيضان النيل، وقد اتخذوا هذا التاريخ نقطة ثابتة، ورجعوا إلى الوراء به مدة ثلاث مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية «سبد» بالمصرية فى ساعة واحدة. ويحدث هذا مرة كل ١٤٦٠ سنة بحساب فلكى ثابت وبذلك ظنوا أنه يمكنهم أن يحددوا سنة ٤٢٤١ ق. م بالسنة التى بدأ فيها المصريون يحسبون بحساب السنة المصرية الشمسية.


جزازة من قائمة تورين الملكية


جانب من جدول أبيدوس


جانب من جدول سقارة

نماذج من القوائم الرئيسية الثلاثة



حجر بالرمو (الصدر)

يُعرف بداية التاريخ المصرى عند «مانيتون » بعام ٣٢٠٠ ق.م. ولوحة نعرمر(٧) الأردوازية تبين مينا يضرب عدوه الراكع أمامه.

أما عن مصادر التاريخ المصرى فنجده فى أخبار الملوك والمراسيم الملكية والأوراق البردية. ومن بين الوثائق المهمة فى التاريخ المصرى:

(١) قائمة الكرنك (٢) حجر «بلرم» (٣) قائمة العرابة المدفونة (٤) قائمة سقارة (٥) ورقه «تورين».

أما مصادر المؤرخين القدماء فلدينا «هيكاتـه الملطى» و«هيرودوت».. و«هيكاته الأبدرى» و«مانيتون السمنودى». وأهم الكُتّاب «سكتس جيوليوس أفريكانوس sextus Julius Afrecanus «عام ٢٢٠م ويأتى بعده «يوزيب Eu-sebe»(٢٧٠ - ٣٤٠م)، وديودور الصَقلى الذى زار مصر عام ٦٠ق. م و«استرابون» الذى زار مصر عام ٢٧م. أما المؤرخ بلوتارخ (١٢٠م) فإنه كتب عن مصر كتاب «إيزيس وأوزير» وهو الكتاب الوحيد الذى وضع أمامنا بحثا منظما عن الديانة المصرية.

الألقاب الرسمية للفرعون

صار للفرعون مجموعة ألقاب وأسماء رسمية. وقد اكتملت هذه الأسماء فى أواخر عصر الأسرة الرابعة:

١ . **لقب حــور:** وكان هذا اللقب ينقش داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكى وعلى قمته صورة صقر وهو الطائر الذى يرمز به للإله «حور».

٢ . **لقب العُقاب والصل:** وهما رمزان لمعبودى مدينة «نخب» فى الوجه القبلى و«بوتو» فى الوجه البحرى.

٣ . **رمز نبات ونحلة:** ويسميان «نيسوت . بيتى» وقد أخذ الخرطوش شكله فى عهد سنفرو.

٤ . **لقب (حور القاهر):** حور . نب

٥ . **لقب ابن الشمس.** [صا «رع»]

مقاطعات القطر المصرى

كانت تنقسم مصر منذ القدم إلى مقاطعات. ومعلوماتنا عن أسماء المقاطعات فمستقاة من أسماء المقاطعات التى عثرنا عليها فى معابد البطالسة والرومان. ومن الوجهة الإدارية نعرف (أولاً) الاسم الرسمى للمقاطعة. (ثانيًا) اسم العاصمة (ثالثًا) اسم الإله الذى يسكن معبد المقاطعة. وعن طبيعة المقاطعة فنذكر (أولاً) اسم القناة أو الترعة التى تروى المقاطعة (ثانيًا) الإقليم الذى يشتمل على:

(أ) المنطقة الزراعية من حقول وكروم تزرع.

(ب) الأراضى الواقعة على حدود المقاطعة وتكون للرعى ولصيد البر وصيد الأسماك.

ملحوظة: إن تلاشى نظام القبائل فى البلاد فإنه يرجع إلى النزاع الذى كان قائما بين الوجهين القبلى والبحرى.

تقسيم البلاد إلى أربعة أقسام

١ - من الكاب إلى قفط.

٢ - من قفط إلى أسيوط.

٣. من أسيوط إلى بداية تفرع الدلتا.

٤ ـ الوجه البحرى.

وفى العهد العربى كانت مصر العليا تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية:

(١) إقليم النسر: يبتدئ من الحدود إلى قفط، وعاصمته (الكاب الحالية).

(٢) إقليم الثعبان: من قفط إلى أسيوط وعاصمته (كوم إشقاو).

(٣) إقليم البوصة: من أسيوط إلى بداية تفرع الدلتا (أهناسيا).

(٤) إقليم النحلة: الدلتا.

رموز المقاطعات وآلهتها

منذ عهد الأسرة الطينية حوالى (٣٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) نرى الأشكال الإلهية المركبة (رأس حيوان وجسم إنسان أو بالعكس) تفسر لنا بجلاء ووضوح انتقال الرمز إلى إله يعبد.. كما نشاهد إله العاصمة متميزًا عن رمز المقاطعة.

وكانت العاصمة تسمى (البيت) «بر» أو القصر «حت» أو المدينة «فوت» أو الهيكل «زبات» أو المحراب «سخم» أو العمود «إيون» أو الصولجان «واست» للإله كذا. وتسمى عاصمة المقاطعة (بيت الإله) مثال ذلك «بوزريس» معناها «بيت أوزير» (أبو صير الحالية) وبوباسطة (تل بسطة الحالى) معناها بيت الإلهة «باست» القطة إلخ.

وبعد احتلال الإغريق لمصر غيروا أسماء المقاطعات المصرية بأسماء يونانية كمثال «هرمس» (تحوت فى الأشمونين).

آلهة المقاطعات

وكأمثلة على أهم المعبودات ١ ـ هناك الإلهة «نيت» فى بلدة «سايس» صا الحجر الحالية: («نيت» هى الأم العظيمة للإله «رع» وقد ولدت فى الأول، فى الوقت الذى لم يكن قد ولد فيه أحد).

٢ـ الإله «خنوم» (التيس) كان يُعبد فى المقاطعة السادسة عشر.. وعاصمتها «منديس» (تل الربع).

٣. أبو صير موطن عبادة «أوزير» إله النبات. وبعد مؤامرة أخيه «ست» الشرير أصبح مقره الأبدى القبر. وولدت له إلهة السماء «إيزيس» ابنه حور. ولما اكتملت رجولة «حور» انتقم لأبيه وفتح ثانية مملكته.

٤. الإله «تحوت» وكان مقره «بحدت» (دمنهور الحالية).

٥ . الإله «سبك» التمساح فى «سايس» واسمه لايزال موجودًا فى بعض القرى المصرية فى الدلتا إلى الآن مثل (سبك الأحد) و (سبك الثلاث).

٦. فى (تل أبويسن الحالى) تدل الآثار التى كشفت على أن هذا المكان كان مدفنا للعجول والطيور التى كانت تقدس فى هذه الجهة وبخاصة الصقر.. واسم (كفر صقر) هو دليل عبادة الصقر فى هذه الجهة.

٧. الثور الأسود كان يُعبد فى أتريب بنها الحالية.

٨ . البقرات فكانت تعبد فى منطقة «منف» (البدرشين).

٩ . أعظم الآلهة المحلية التى كانت تعبد فى الدلتا فهو الإله «أتوم» فى المقاطعة الثالثة عشرة ومقرها عين شمس. وتم توحيده مع الإله «رع» ملك الكون . وللإله «رع» إله الشمس ثلاثة مظاهر: «خبرى» فى الصباح و«رع» وقت الظهيرة و«آتوم» عند الغروب.

١٠ . الإله «سقر» إله الجبانة فى «منف» ومنه اسم (سقارة) وكانت الجبانة تعتبر فى نظر المصريين الباب الذى يؤدى إلى الآخرة «روستار».

١١ . العجل «أبيس» تتقمصه روح الإله «بتاح» فى الدولة الحديثة.

١٢ . كانت البقرة تُعبد فى أطفيح بصفتها إلهة السماء.

١٣ . كان التمساح يُعبد فى الفيوم وفى (كوم أمبو الحالية).

١٤ . الإله «آمون» يُعبد فى طيبة.

١٥ . الإله «مين» يُعبد فى المقاطعتين التاسعة والخامسة.

١٦ . عبادة «حتحور» (بيت حور) فى دندرة.. وهى إلهة السماء.. وعُبدت كإلهة الحب والطرب والجمال.

١٧ ـ «ست» عُبد فى أمبوس. كان الوادى الخصيب من نصيب الإله «حور»، أما الصحراء القاحلة (الأرض الحمراء) فتقع من نصيب الإله «ست».

نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية

ديانة القوم أساسها ديانات المقاطعات المختلفة، وكل إله كانت له منطقة نفوذ ثابتة محدودة فى بادئ الأمر، وهناك إلهة ذات الأهمية النسبية تشاطر الإله الأعظم العبادة بصفتها إما زوجة له أو ابنًا، وأحيانا كان لها عبادة مستقلة وسلطان. فالإلهة «حكت» التى كانت تتقمص ضفدعة لها أهمية عظمى بصفتها إلهة السحر وإلهة الولادة والبعث. ومالك الحزين الذى سماه اليونان «الفنكس» واسمه بالمصرية «بنو» وكان مقر عبادته وتقديسه «عين شمس» وكهنة هذه الجهة كانوا يرون فيه إما الإله «أوزير» أو روح الإله «رع». وفى طيبة نجد الإلهة العظيمة «موت ورت» أى الأم العظيمة وتقدس بصفتها زوجة للإله آمون وكذلك نجد «خنسو» (القمر وهو ابن موت وآمون) ومنهم جميعا تألف ثالوث طيبة.

والآلهة عند قدماء المصريين كائنات معينة معروفة اتخذ كل منها شكلا ثابتا باقيا لا يتغير، وقد انفصلت هذه الآلهة عن عالم الأشباح (الجن) وقد عبد الإنسان بعض الحيوانات لأن فيهم قوة سحرية خاصة، أو استعطافا لها وقدَّم خضوعه وقرَّب إليها القربان لينجو من مخالبها وشرورها.

والإنسان[٨] له روح مادية (كا) تسكن معه فى القبر وروح نورانية (با) تصعد إلى السماء. أما الآلهة فتختلف عن بنى الإنسان وذلك أن الإله يمكنه فى كل لحظة أن يترك الجسم الذى يسكن فيه وينتقل إلى جسم آخر كما يريد لأنه لم يكن عرضة للموت (يستثنى من ذلك الإله أوزير).

ويعتقد المصرى أن الإله قوة أبدية، وأن الإنسان دائما فى حاجة إلى مساعدة الإله. والقوى الطبيعية صارت آلهة مثل: الشمس، والقمر، وإله الأرض «جب» وإلهة السماء نوت والإله «شو» ـ إله الفضاء ـ يفصل بين السماء والأرض ـ وهناك أساطير مختلفة عن الخلق. وقد خلقت إقامة الشعائر والطقوس الدينية صلة

لايمكن فصم عراها بين الإله المعبود والإنسان العابد، وكانت هناك طبقات مختلفة للكهنة.

وكان للسحر تأثير فى الديانة المصرية. ومن الأساطير المهمة أسطورة الإله «رع» وفتكه ببنى الإنسان لأنهم تآمروا عليه، ثم تخنن وقام تحوت بتخدير حتحور - التى أخذت شكل سخمت (اللبوءة) لتقضى على بنى البشر - وبذلك لم تقض على البشر.

الآلهة حماة النظام الخلقى

وقد مثَّل المصرى العدالة التى تقوم على مبادئها كل المدنية المصرية وحسن سير الجماعة، منذ فجر التاريخ فى هيئة إلهة (امرأة) وأطلق عليها اسم «معات» ونسبتها بنت الإله «رع» إله الكون وزوجها الإله «تحوت» المنشئ لكل مدنية العالم. والواقع أن نشأة المدنية المصرية التى قوامها العلم والعدل والإدارة الحسنة فى نظام الحكم، يرجع إلى أصل دينى، أو اجتهد المصرى أن يعزوه إلى أصل دينى، وذلك لأن الدين كان متغلغلاً فى كل مرافق حياته. فمثّل إله العلم «تحوت» بالطائر إبيس أو القمر وفى يده قلم وقرطاس. ومثَّل إلهة العدل بامرأة تحمل ريشة فوق رأسها رمز الرقة والعدالة. أما الإدارة ونظام الحكم فكان ممثلا فى الإلهة سشات (ومعناها التى تكتب)، وتمثل على شكل امرأة جالسة على كرسيها وبيدها قلم وقرطاس.

بعض الجمل ذات المعنى عن الديانة المصرية القديمة

(١) بنى الأستاذ برستيد كل استنتاجاته فى كتابه على متون الأهرام وشرح فيه بوجه خاص الفرق بين عبادة الشمس وعبادة أوزير[٩].

(٢) جمع الأستاذ ريدر فى كتابه عدة متون دينية من كل العصور وترجمها.. ويظن أنها ديانة وحدانية.

(٣) يعتقد ماسبيرو أن الديانة المصرية القديمة هى عبارة عن ديانة شرك فيها متناقضات كثيرة، إذ نجد عند القوم فى عهد واحد الوثنية والشرك، والتوحيد، وهذا هو رأى الأستاذ إرمن أيضًا.

(٤) ويقول المؤلف «سايص» فى كتابه بأن الديانة المصرية القديمة تفسر قول الإنجيل: إن نور الله ينير لكل من أتى على الأرض.

(٥) الأستاذ ستيندورف يقول عن الديانة القديمة بأنها بشير تقدم الديانة الموسوية والديانة المسيحية.

(٦) تكلم الأستاذ بترى عن الحياة الدينية فى مصر وشرح ديانة الحكومة وديانة الشعب.

(٧) انتهى الأستاذ «بدج» إلى أن المصرى يعتقد فى إله واحد وأن الآلهة الأخرى ماهى إلا من خلق هذا الإله الأكبر.

(٨) يعتقد الأستاذ «بركسن» أن الديانة المصرية مادية أكثر منها روحية.

(٩) الأستاذ فيدمان أظهر فى أحد المتون بأن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين منذ الأسرة الأولى. وهذا المتن فى أصله يرجع إلى عبادة إله واحد فى منف وهو الإله بتاح ولكن الأستاذ برستيد يقول إنه فى الأصل كان للإله رع إله الشمس ثم نسب للإله بتاح رب منف فيما بعد.

الدولة القديمة[10]

«مـينا» هو أول ملك أسس الوحـدة المصـرية، وحكمت الأسـرة الأولى من ٣٢٠٠ق.م إلى ٣٠٠٠ ق.م. وكـان النظام الحكومى والإدارى يسـير على أسس سليمة، وكان للمرأة حق وراثة العرش. وقد نَعت مانيتون ملوك الأسرتين الأولى والثانية بالطينين نسبة إلى طينة بالقرب من جرجا، ربما أنها كانت عاصمتهم . وأول من اتخذ «منف» عاصمة للملك هم ملوك الأسرة الثالثة ومن أتوا بعدها ، ولهذا السبب سماهم «مانيتون » بالأسر المنفية. وقد شجعت الحاشية الفرعونية الفنون والصناعات المختلفة، فلم يكتف الأهلون بصناعة الآلات والأوانى من الحجر والعظم والعاج والفخار والخشب بدقتهم المعروفة - كما كان فى عصر ما قبل الأسرات - بل تخطوا ذلك إلى صناعة آلاتهم من المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة بمهارة فائقة. وكذلك نجد أن أعمال النقش والنحت والتلوين والنسيج والنجارة الدقيقة وصناعة العاج والمجوهرات أخذت تتنوع وتكثر بدرجة عظيمة، ونشاهد منذ بداية هذا العصر التاريخى ظهور فن الطب وجمع المتون الدينية وتأليفها، وظهرت مهارة المهندسين المعماريين فى تشييد المقابر الملكية. وظهر استخدام الأحجار الجيرية والجرانيتية فى البناء.

ومن ملوك الأسرة الأولى المهمين الملك «دن» الذى عاقب قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا الغربية، وهو أول ملك فكر فى تنظيم مياه النيل

وفيضانه فى منطقة الفيوم، وكان أول من حبس الأوقاف على المعابد. وقد دُفن فى العرابة فى مقبرة كسيت أرضيتها بقطع من الجرانيت، وهو أول ملك ذُكر قبل اسمه لقب «نيسوت - بيتى» ويعنى بذلك ملك الوجه القبلى والبحرى. وصُور فى حجر بالرمو مرتديًا التاج الأبيض - رمز الوجه القبلى - ثم مرتديا التاج الأحمر - رمز الوجه البحرى. وقد كُشف فى سقارة عن مقبرة لوزيره «حماكا» بها أقراص من الحجر والنحاس والخشب والعاج، ومحلاة بمناظر بديعة وبعضها مطعم بقطع من المرمر. وفى حكم الملك «عزايب» - ابن «ودمو» المعروف باسم «دن» نفذت لأول مرة عملية الإحصاء فى التاريخ المصرى. كما احتفل بعض ملوك الأسرة الأولى بعيد الـ «حب - سد» أى العيد الثلاثينى للحكم.

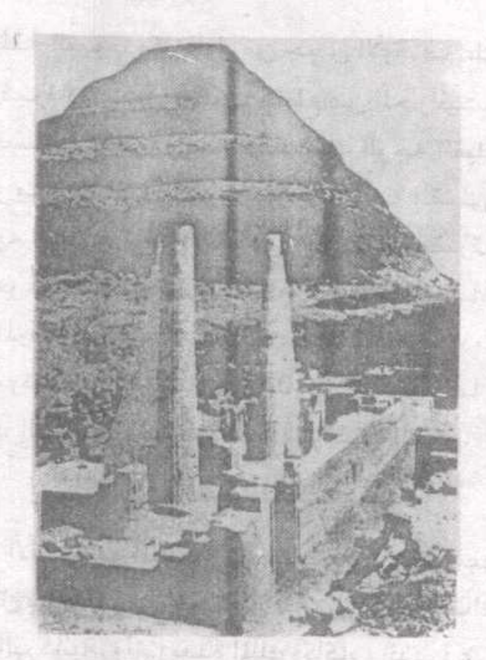
الأسرة الثانية

أول ملوك هذه الأسرة هو الملك «حتب سخموى» . وفى عهده حدث انفجار أرضى من جهة تل بسطة، ومن المحتمل أنه زلزال وقع هناك لقرب المكان من منطقة أبى زعبل البركانية. وأتى بعده الملك «كاكاو» الذى دعى إلى عبادة العجل أبيس فى منف والعجل «منفيس» فى عين شمس، وعبادة الكبش فى منديس. وفى عهد خلفه «بر - إب - سن» حدث انقلاب عظيم ، وذلك أنه أعاد عاصمة الملك ثانية إلى العرابة، وغير اسمه الحورى إلى الإله «ست».

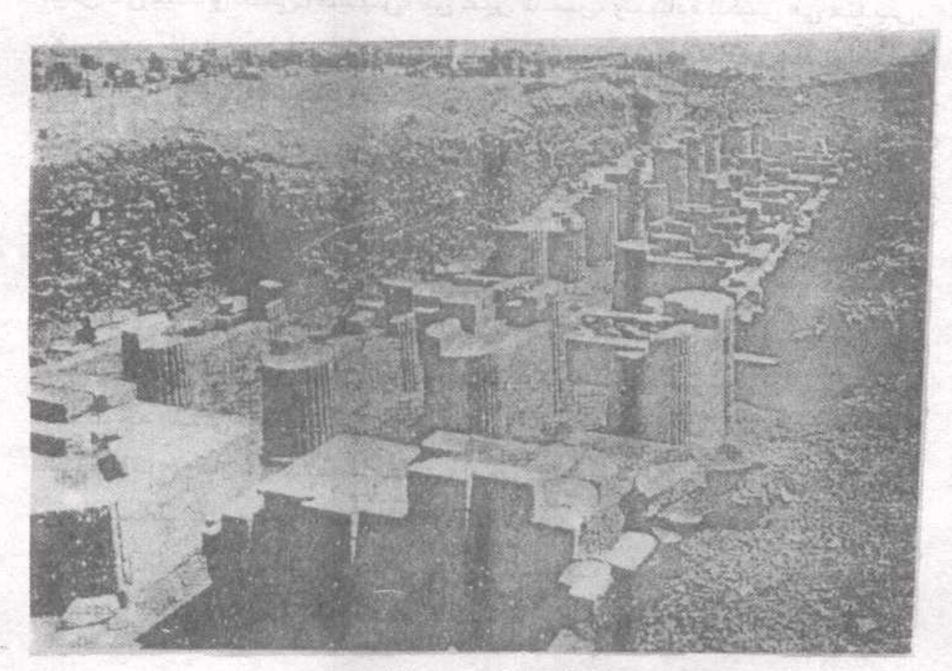
وهذا الحادث فريد فى التاريخ المصرى. وقد ختمت هذه الأسرة بالملك «خع - سخموى» الذى رجع إلى السياسة الحورية.

الأسرة الثالثة

خَلَفَ «خع - سخموى» على العرش فى منف الملك « نترخت - زوسر» مؤسس الأسرة الثالثة. وهو أول ملك بنى لنفسه مقبرتين: مقبرة فى بيت خلاف بصفته ملكًا للوجه القبلى، ومقبرة أخرى فى سقارة. وهذه المقبرة تُعد أقدم هرم ويُعرف بالهرم المدرج وكان مهندسه المعمارى «إمحوتب» ويُعد زوسر أول ملك توغل فى نوبيا السفلى فيما وراء الشلال. وقد عثر فى دهاليز هرمه على أوان من الأحجار الصلبة من المرمر والجرانيت والديوريت والإردواز وغيرها من أنواع الأحجار الصلبة. وآخر ملوك هذه الأسرة هو «حونى» ومعناه (الضارب) الذى



الهرم المدرج



معبد الهرم المدرج بسقارة

أقام لنفسه هرمًا فى دهشور وهو الحلقة الموصلة بين الهرم المدرج والهرم الكامل.

الأسرة الرابعة (عصر بناة الأهرام)

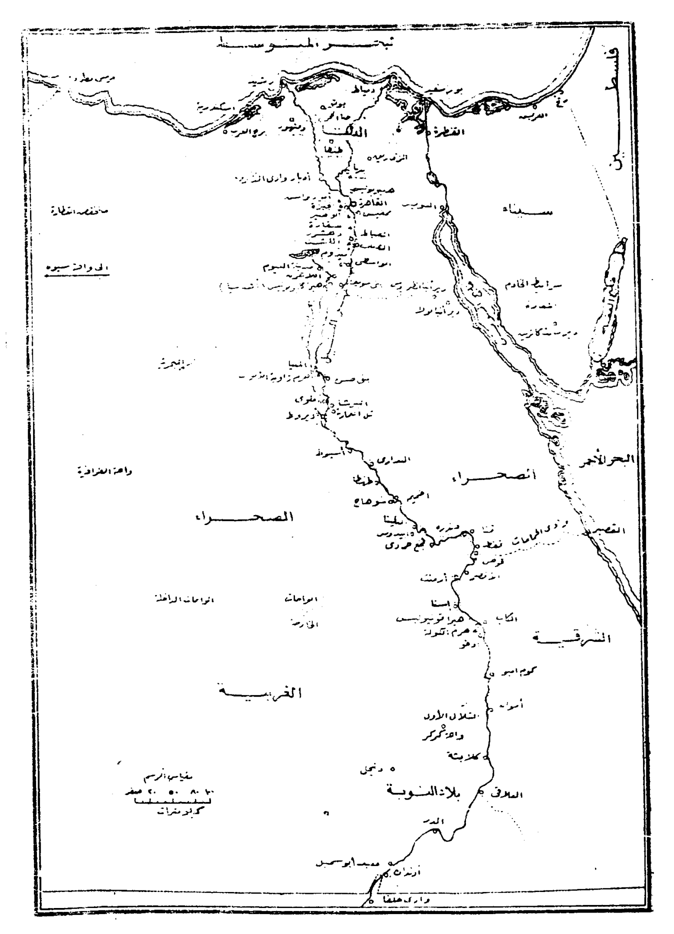
سنفرو هو مؤسس الأسرة، وقد تزوج الملكة حتب حرس ورُزق منها بالملك خوفو ثانى ملوك هذه الأسرة. وقد بنى لنفسه مقبرتين متقاربتين وكلتاهما على شكل هرم: الأولى فى دهشور جنوب سقارة، والثانية فى ميدوم فى الشمال من مدخل الفيوم. وفى عهده قامت حملة بحرية عظيمة إلى الموانئ السورية ورجع منها المصريون بنحو أربعين سفينة محمّلة بالأخشاب للبناء قطعت من غابات لبنان. وكانت مقاطعات مصر ٢٢ مقاطعة من الشلال الأول حتى منف والوجه البحرى يشمل ٢٠ مقاطعة، وكان لكل مقاطعة حاكم يعينه الملك يكتب بلقب «الأول بعد الملك ». ومن الملاحظ أن الملك الذى يتولى الحكم من غير الأسرة المالكة لابد له من أن يتزوج بإحدى بنات البيت الملكى.

الأهرام والمعابد

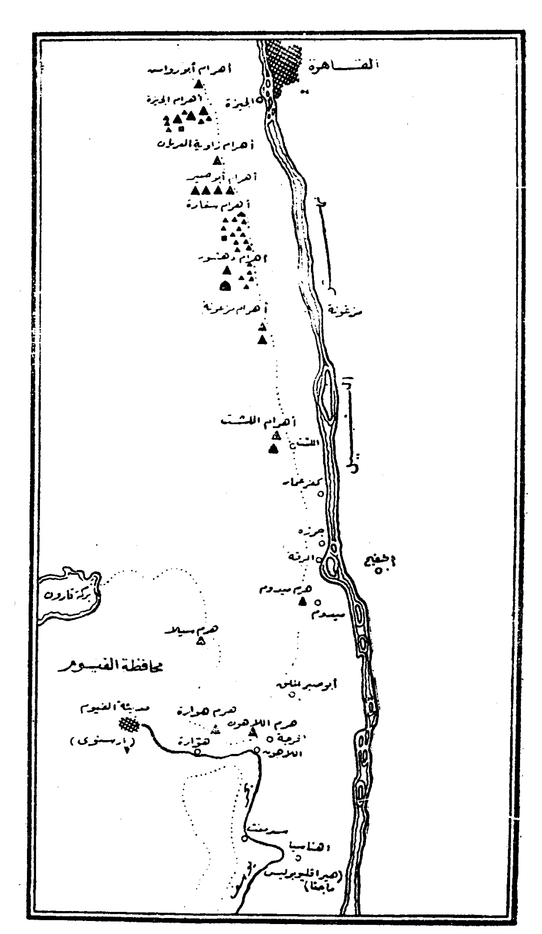
وصل المصريون إلى استعمال «البَكَر» لرفع الأحجار. وبخصوص بناء الأهرامات:

(١) يكون للهرم من الجهة البحرية أحيانا بابان يوصلان لحجرة الدفن.

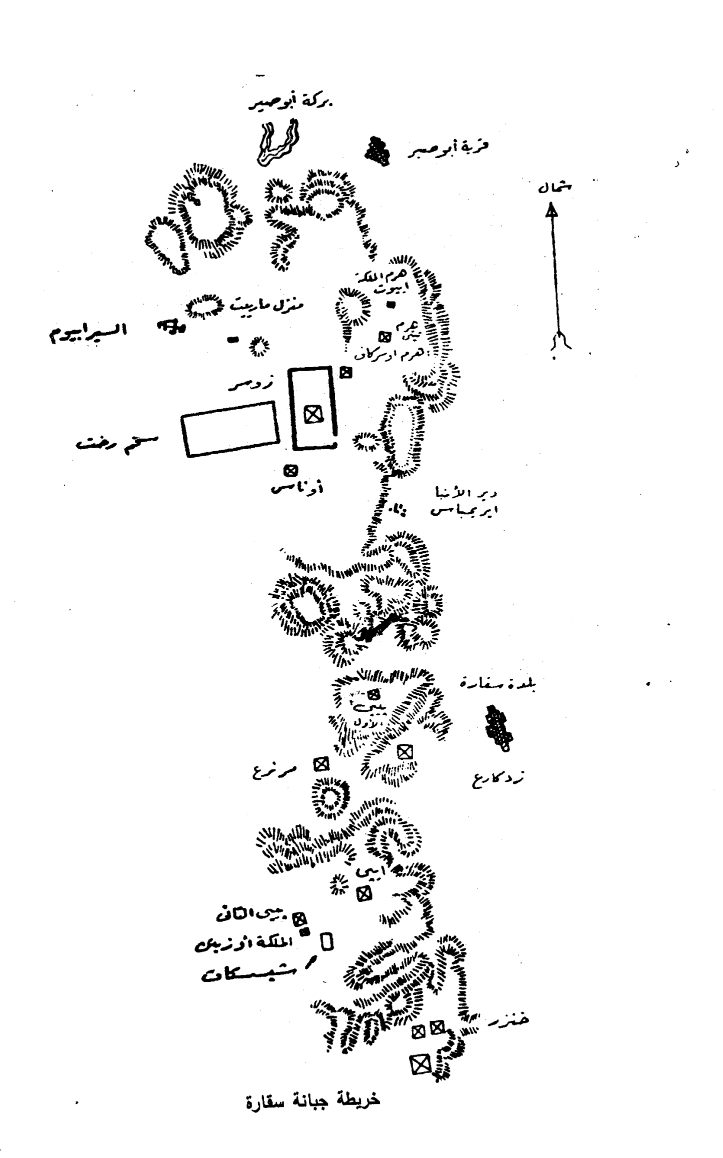
(٢) فى الجهة الشرقية من الهرم يقام معبد ضخم يسمى «المعبد الجنائزى». وهذا المعبد كان يتصل بمعبد آخر يسمى «معبد الوادى»[١١] بطريق مبنى بالأحجار الضخمة المحلية عرضه أحيانا يصل نحو ٢٥ مترًا. أما المعبد الجنائزى الذى يقام ملاصقًا لجدران الجهة الشرقية من الهرم فكان يقسم قسمين:قسم يعتبر معبدًا للوجه البحرى، وآخر للوجه القبلى. وعلى جانب معبد الوجه القبلى كان يحفر الملك لنفسه قاربين ليقوم فيها بسياحته اليومية مثل الشمس. وفى محاذاة الهرم من جهة الشرق كذلك كانت تتجه سفينة ضخمة إلى العرابة.



القطر المصرى



مناطق الأهرامات فى جبانة منف والفيوم



خريطة جبانة سقارة

الهرم الأكبر

انظر ملحق (٥)

مبنى من الحجر الجيرى الأبيض المقطوع من محاجر طرة. ويبلغ طوله حوالى ٢٢٧,٥ متر أما ارتفاعه الحالى فيبلغ نحو ١٣٧ مترًا. ويبلغ حجمه مليونين ونصف مليون من الأمتار المكعبة. أما عدد أحجاره فتبلغ نحو٢,٣٠٠,٠٠٠ ويبلغ وزن كل منها ٢,٥ طن أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طن. وقد عُثر على سفينتين للشمس الواحدة منها نحو ٥٥ مترًا وسفينة أخرى طولها نحو ٤٠ مترًا.

وقد ترك خوفو اسمه منقوشًا فى مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سينا.وبعد وفاة «خوفو» قامت منازعات على الملك.وخَلَفَ خوفو «ددف رع» الذى اتخذ هرمه فى «أبو رواش» مكانا مختارًا له.وفى هذا الوقت كان زواج الأخ من أخته من الأمور المألوفة فى الأسرة المالكة. على أنه لم يكن تولِّى امرأة عرش الملك مألوفًا. والأمثلة التى لدينا قليلة معدودة تنحصر إلى الآن فى «خنتكاوس» فى أوائل الأسرة الخامسة، و«سبك نفرو» آخر من حكم الأسرة الثانية عشرة و«حتشبسوت» من الأسرة الثامنة عشرة.

خفرع وأبو الهول

لم تكن يده طليقة بسبب المنازعات الداخلية التى قامت بينه وبين أولاد «ددف - رع»،ولكنه أقام هرمًا يضارع هرم «خوفو» فى عظمته وفخامته، وإن كان أقل منه حجما بقليل.. ولايزال الجزء الأعلى من كسوته التى أُحضرت له من محاجر «طرة» باقيًا إلى الآن.

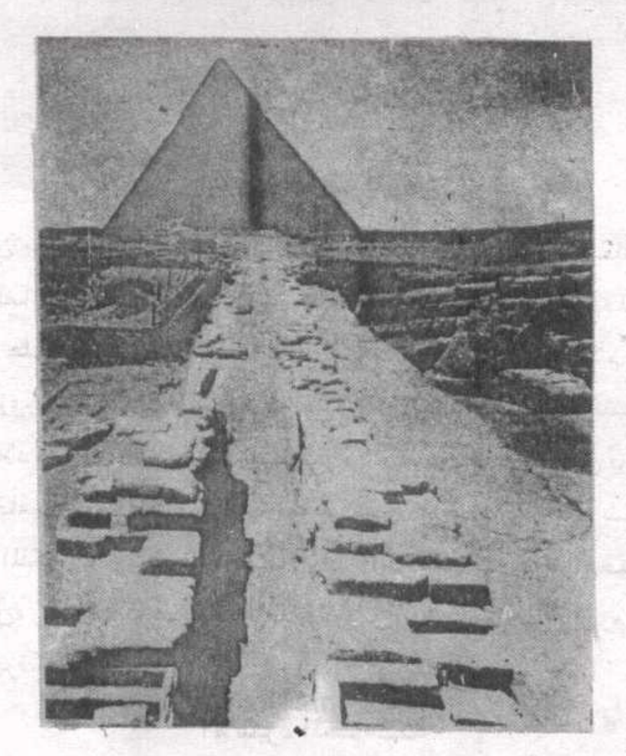
أما تمثال أبى الهول فإنه يقع فى الجهة الشمالية من نهاية الطريق الممتد بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك خفرع، وهو محفور فى قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية، ويبلغ طوله ٤٦ مترًا وارتفاعه من الأرض إلى قمته ٢١ مترًا. والظاهر يدلنا على أنه تمثال رأسه رأس إنسان وجسمه جسم أسد.

وقد أثبت الكشف الحديث أنه صُنع فى عهد الملك خفرع وعلى صورته، ولكنه يمثل إله الشمس عند الغروب، وقد كان يطلق عليه المصريون اسم «أتوم» وقد زار أبو الهول تحتمس الرابع وتوت عنخ آمون ورعمسيس الثانى والملك آى ثم الملك «حورن أم حب» ثم سيتى الأول. وزاره الإمبراطور «سبتميس سفرس» (١٩٣ - ٣١١ بعد الميلاد). وأدهش ما كُشف فى هذا المكان أن قوما من الكنعانيين قدموا إلى مصر وسكنوا منطقة أبى الهول. وكانوا يعبدون الإله «حورون»، وهذا الإله كان يُمثل عندهم بشكل صقر.

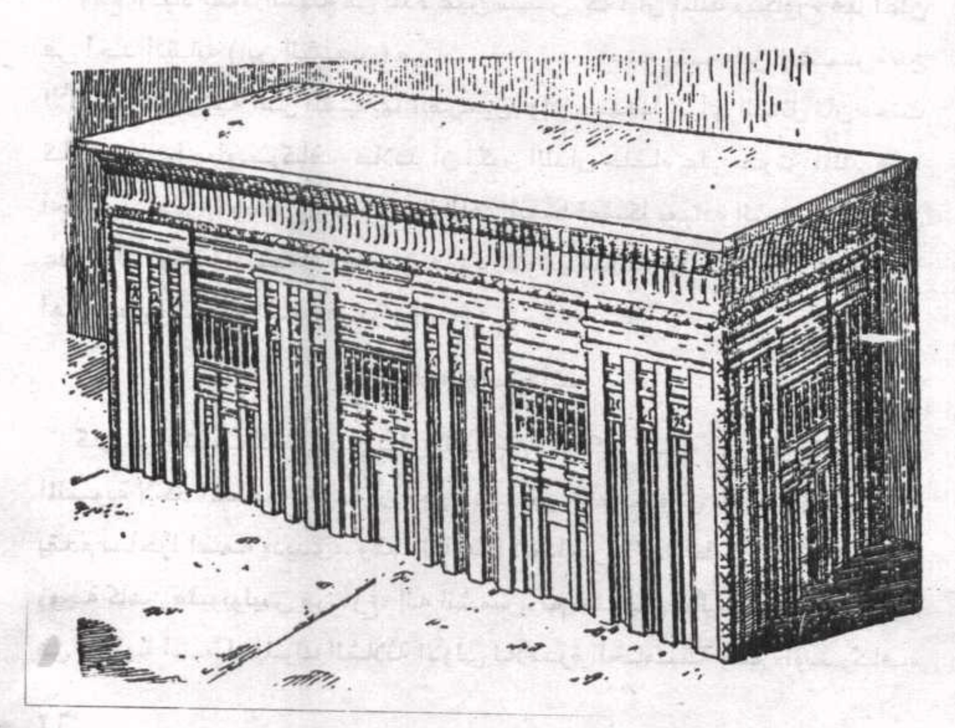
ولما كان أبو الهول يسمى «حور إم أخت» أى «حور الأفق» وكان يمُثل بصقر، فلذلك أطلقوا على أبى الهول اسم «حورنا» أو «حورون» ووحَّدوا إلههم مع أبى الهول وأطلق هؤلاء القوم على الحفرة التى فيها أبو الهول اسم «بر - حول» (بيت - حول)، ومن ثم جاء اسم أبى الهول. ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك أية علاقة بالمعنى الذى نعطيه لأبى الهول فى عصرنا هذا بأنه صاحب الفزع. ويطلق حاليا على القرية القريبة من أبى الهول قرية «الحرانية» نسبة إلى الإله «حورنا» أى أبو الهول.

منكاورع

من المحتمل أنه ابن خفرع ومات فجأة فأكمل ابنه شبسكاف بناء الهرم الثالث ونلاحظ أنه منذ بداية حكم الملك الثالث من الأسرة الرابعة قد دخل فى تركيب اسم الملك لفظة «رع» أى الشمس. ولاحظنا أنه فى أوائل الأسرة الخامسة اعتبر ملوك هذه الأسرة أنفسهم أولاد «رع» مباشرة وخلفاءه على العرش. ثم نجد ثلاثة ملوك لم نجد فى تركيب أسمائهم لفظة «رع» كأسلافهم وهم «شبسكاف» و«خنتكاوس» و«أوسركاف» وفى ذلك ما يدل على أن هؤلاء الملوك قد تنحوا عن الانتساب إلى عقيدة عين شمس. وفى عهد الملك «شبسكاف» كان هناك «بتاح شبس» الذى يُعد من أهم الشخصيات التى عاشت فى هذه الفترة. وقد تقلب فى عدة وظائف، وكان متزوجًا. من كبرى بنات الملك «شبسكاف» الذى لم يرزق وارثا ذكرًا. ويعتبر «بتاح شبس» مثالاً للموظف الحكومى الذى تمسك بالوظيفة، فقد خدم ستة ملوك من فراعنة الأسرة الخامسة.



الهرم الثانى والطريق المقدس



تابوت الملك منقرع

الملكة خنت كاوس

لاشك أن «خنت كاوس» هى ابنة الملك «منكاورع» ولأن شبسكاف مات ولم يترك له خلفا من الذكور، فقامت «خنت كاوس» تطالب بالعرش بعده. وهى أول ملكة كتبت على باب هرمها «ملك الوجهين القبلى والبحرى» والأم الملكية وبنت الإله. ولما تزوجت «خنت كاوس» وهى الوارثة الحقيقية للملك وأنجبت أوسركاف، خلّصت البلاد من تلك الفوضى السياسية، وكانت حلقة الوصل بين الأسرتين الرابعة والخامسة، ومن المحتمل أنها تزوجت من كاهن عظيم لعين شمس، وبذلك يكون الدم الملكى يجرى فى أولادهما. وقد أثبتت البحوث التاريخية حديثًا أن «خنت كاوس» ربما كانت هى الملكة «نيتوكريس» وهى صاحبة الهرم الرابع فى منطقة الجيزة.

الأسرة الخامسة

ومع ازدياد نفوذ الكهنة فى بلدة عين شمس، كما أن الملك منكاورع قد أعلن فى أحد ألقابه (ابن الشمس) مباشرة، فقد أصبح لقب «ابن الشمس» من الألقاب الرسمية التى يلقب بها الفرعون. وإذا صدقنا الرأى القائل بأن «خنت كاوس» هى أم «أوسركاف» فلابد أن يكون اللذان خلفاه على عرش المُلك هما أخويه «سحورع» و«نفر إر كا رع» والظاهر أنهما تمسكا بعبادة الشمس كما يدل على ذلك تركيب اسمهما. وقد بنى هؤلاء الملوك معابد الشمس. وهم اللذان بنيا أهرام أبى صير مع الملك «نوسر رع».

الملك أوسركاف

كان فى منصب كاهن قبل تولى الحكم. وقد ذُكر اسمه فى ورقة «وستكار» المنسوبة لأحد السحرة وفيها أن «حر ددف» بن «خوفو» مَثُل بين يدى والده وهو يقدم ساحرًا اسمه «ديدى»، وقد تنبأ هذا الساحر بولادة أطفال ثلاثة ستلدهم زوجة كاهن هليوبوليس من «رع» إله الشمس، ثم تسميهم الآلهات بأسماء تشبه فى لفظها أسماء الملوك الثلاثة الأولى للأسرة الخامسة وهم «أوسركاف»

و«سحورع» و«كاكاو» ومن المحتمل جدا أن تكون «خنت كاوس» قد تزوجت من كاهن عظيم لعين شمس.

وخَلَفَ «أوسركاف» الملك «سحورع» ووُجد له نقش باسمه فى (توماس) ببلاد النوبة، وعُثر له فى شبه جزيرة سينا على لوحة مُثل فيها مرتديًا تاج الوجه القبلى ويضرب الآسيويين. كما تدل النقوش التى وُجدت له فى معبد الشمس الذى أقامه (بأبى صير) تدل على أنه أرسل أسطولا إلى ساحل «فينيقيا». كما قام بحملة إلى بلاد بنت عادت منها حاملة ٨٠٠٠٠ مكيال من الروائح العطرية و٦٠٠٠ مكيال من الذهب و٢٦٠٠ عصا ربما من الأبنوس.

ومن بين النقوش التى لها قيمة اجتماعية فى عهد هذا الملك لوحة جنائزية لرئيس أطباء الملك «نى عنخ سخمت» ويقع قبره فى سقارة.

الملك «نفر إركارع (كاكاو)

ولم تُبق لنا الأيام من هرمه ومعبده الذى أقامه لنفسه فى أبى صير إلا بعض كتل منقوش عليها أسماء بعض الموظفين المعاصرين له، وتدل الآثار التى وجدت بعده أنه كان ملكًا محبوبًا لدى رجال بلاطه. وكان يهتم بآلهة عين شمس وتاسوعها والإلهة « حتحور» مما يؤكد ميل هؤلاء الملوك إلى عبادة الشمس . **وقد أصدر هذا الملك مرسومًا ملكيًا لمنع السّخرة فى أوقاف المعابد.** ولدينا وثيقة من عهد هذا الفرعون تدلنا على مقدار حنوه وتقديره لرجاله العاملين. والقصة التى ذكرها عن المهندس المعمارى «وشبتاح» تظهر مدى عطف هذا الملك على حاشيته ورعيته. وذكرت القصة أن «وشبتاح» وقع مغشيًا عليه (على ما يظهر نتيجة نزيف فى المخ نتج عن الإجهاد فى العمل) وعندما سمع أولاد الملك والأصدقاء الذين كانوا من رجال الحاشية استولى على قلوبهم الهلع، وكان قلب جلالته فى شدة الحزن، وعاد إلى حجرته الخاصة حيث صلى للإله «رع». و لما جاءت النهاية أمر جلالته بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع، وهذا لم يُصنع لواحد مثله من قبل. وكذلك أمر بتحنيطه أمام جلالته، وحبس على مقبرة «وشبتاح» أوقافا بالقرب من الهرم المسمى «سحورع يضئ».

وإذا نظرنا إلى هذه القصص من جهتها الاجتماعية والإنسانية، وما نقف منها عن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان منذ أقدم عصور تاريخ الإنسان المتحضر أى منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، فإن ذلك له قيمة عظيمة فى نظر المؤرخ الحقيقى أكثر من آلاف التواريخ ومن كتب مليئة بالحقائق الجافة. ومن أهم مرامى التاريخ أن يوقفنا على عهود من سبقنا من أجدادنا وغيرهم ممن عاشوا منذ آلاف السنين بعيدين عنا، وعلى علاقة بعضهم ببعض رجال مجتمعهم... مما يبرز لنا صورة واضحة للشعور الإنسانى المتبادل بين الملك ورجال شعبه العاملين. إنها وقائع رحمة وإخاء تؤثر فيها الأرواح وليست وقائع حرب تقتل فيها النفوس. كما تمدنا مقبرة الكاهن «تى» بسقارة بمعلومات قيمة جدًا عن حياة هذا العصر من الوجهة الاجتماعية والدينية.

نواحى خلقية للمصريين

تدل النقوش عن حروب «نوسرع» على انتصاراته على اللوبيين وعلى الأعداء من سوريا. ولقد تم الكشف عن بعض نقوش من عهد هذا الملك تكشف لنا بعض النواحى الخلقية للمصريين ومن أمثال ذلك:

- «لقد أقمت هذا القبر من متاعى الحقيقى، ولم أستولِ على شىء للغير».

الملك «زد كا رع» (أسيس)

أتى أسيس بعد الملك «منكاورع» الذى أرسل حملة إلى شبه جزيرة سيناء والظاهر أن عصر «أسيس » كان عصرًا حافلا بالأعمال العظيمة. وقد أحضر قزما من نوع نادر من بلاد بنت (الصومال) وأرسل حملة إلى سيناء. ومن الطريف أن «بتاح حتب» صاحب التعاليم المشهورة التى تعد أقدم ما وصل إلينا من حكم المصريين الآن، كان مربى الملك «أسيس». وقد التمس الحكيم من الملك أسيس أن يقوم ابنه بنفس وظيفته ، وأجابه الملك إلى طلبه. وقد مكث «اسيس» ما يقرب من ٢٨ سنة على أريكة البلاد.

متون الأهرام

يعتبر «وناس» فى نظر التاريخ بأنه آخر ملوك الأسرة الخامسة، ومن أعظم ملوكها. وقد بقى قابضًا على صولجان الملك حوالى ثلاثين عامًا. وتنحصر

شهرته فى نظرنا من هرمه الذى بناه فى سقارة. وقد وجدت حجرة دفنه التى فيها تابوته ، منقوشة كل جدرانها بتعاويذ وصلوات دينية كان الغرض منها أن تحفظ المتوفى فى آخرته[١٢]، وهذه هى أول مرة نجد حجرة الدفن فى الأهرام مكتوبة بمتون دينية. وقد فتح «ماسبيرو» العالم الفرنسى باب هذا الهرم، وكذلك أبواب أهرام ملوك الأسرة السادسة وهم «تيتى» و«بيبى الأول» و«مرن رع» و«بيبى الثانى». وكلها فى سقارة وكان ذلك عام ١٨٨١. وهذه المتون المنقوشة فى حجر دفن هذه الأهرامات متشابهة وتحتوى على آلاف من الأسطر. وقد ترجمها «ماسبيرو» ثم أعاد ترجمة معظمها حديثًا العالم الألمانى «زيته». وتعد هذه المتون الآن الأساس الأكبر لمعرفة ديانة قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة.

ولما جاء عصر الدولة الوسطى وجدنا متونًا متشابهة لها مكتوبة بالمداد الأسود على توابيت خشبية لعلية القوم. أما فى عصر الدولة الحديثة، فقد وجدنا متونًا أكثر نموًا وأغزر مادة مكتوبة على ورق بردى، ويسميها علماء الآثار الآن بكتاب الموتى وتقع فى أكثر من ١٢٠ فصلا. وكل هذه المتون - أصبحت مصدرًا لاينفد لتعرف ديانة القوم وأساطيرهم الدينية. ومن المناظر التى على طريق معبدى «وناس» نجد نقوشًا بمناظر غاية فى الإتقان، بعضها جنازى، والبعض الآخر يمثل الحياة العامة، وحياة البلاط.[١٣] فهناك منظر للسوق المصرى، وتبادل السلع، وصنع الذهب ووزنه. وقد كشفت حديثًا عن مقبرة زوجته ومقبرة أحد أولاده المسمى «وناس عنخ».

ظهور عبادة الإله «رع» فى الأسرة الخامسة

وقد أخذ الإله «أتوم» معبود بلدة عين شمس المحلى - يحل محل الإله «حور» فأصبح إله الدولة والمسيطر على كل البلاد .. وفى عهد الفرعون «كاكاو» تم تمجيد الإله «رع». ومنذ الأسرة الرابعة كان يسمى الفرعون «ابن الشمس» وخلال الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الأهناسية والأسرة الثانية عشرة أخذ هذا اللقب يدخل تدريجيًا فى السجلات الملكية.

اختلاف معبد الشمس عن كل المعابد[١٤]

لايحتوى معبد الشمس على أى تمثال لإله، ولذلك لم يكن فيه أى «ناووس» أو محراب للتعبد، وذلك لأن الإله الذى كان يُعبد فيه لم يكن مقره على الأرض، ولم يتقمص أى حيوان، أو تمثال. أما المسلة[١٥] فليست إلا رمزًا قديمًا لعبادة الشمس. وقد أضافت عبارة «رع» إلهًا جديدًا للآلهة القديمة، وهو إله النور الذى يطلق عليه «حور الأفق» (حور أختى) وكذلك إلهة السماء «حتحور». وتم بناء هيكل جديد لعبادة إله الشمس.

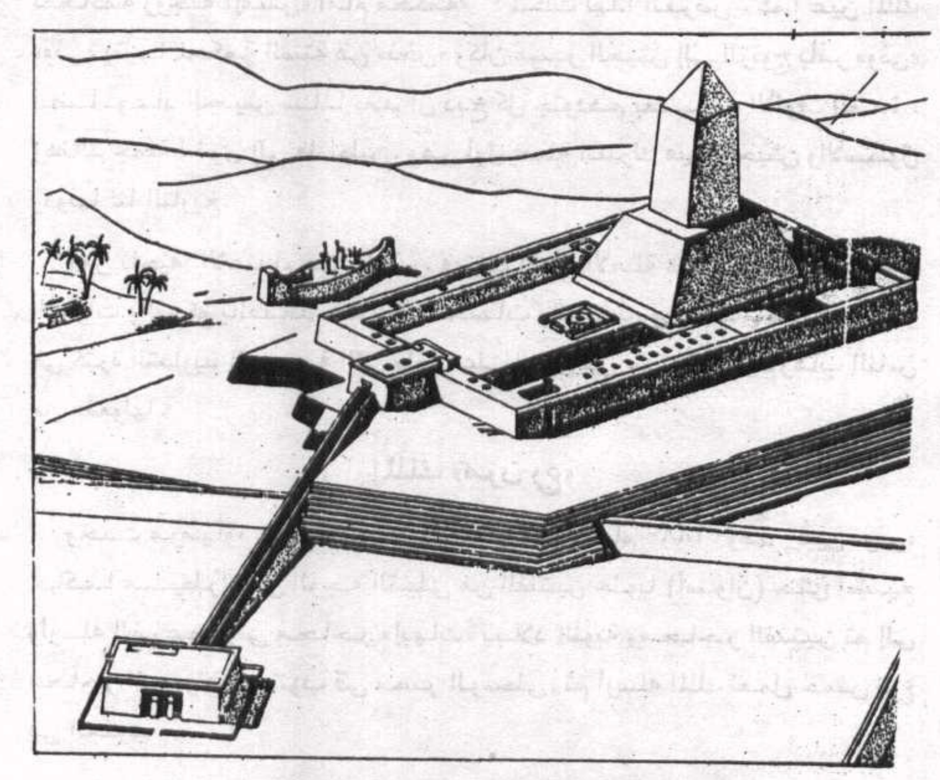
ومنذ ذلك العهد أخذت عبادة «رع» تتضاءل أمام عبادة الآلهة الأخرى (وخاصة الإله بتاح)، وهى الآلهة التى كانت عبادتها راسخة فى ضمائر عامة الشعب. وليس من شك فى أن هؤلاء الآلهة قد خضعوا لنفوذ «رع» خلال الأسرة الخامسة، كما خضعوا من قبل لعبادة الإله «آتوم» فى عين شمس. وكان رجال علماء الدين والمهذبون من أفراد الشعب يعتقدون أن الآلهة المحلية ليس لها نفوذ أو سلطان إلا أنها مظهر من مظاهر الإله «رع».

الأسرة السادسة

ظل فراعينها على عرش المُلكْ ما يقرب من قرنين من الزمان. وقد علَّمنا التاريخ فى كل العصور أن كل مؤسس جديد لابد أن يكون رجلا ذا بطش وقوة. وكانت ميول ملوك الأسرة السادسة الدينية تتجه إلى عبادة الإله بتاح فى منف.

وتوجد لوحة فى المتحف البريطانى نُقشت عليها قصيدة من هذا العصر نُسب فيها أصل كل ما ظهر وما خفى إلى الإله بتاح الإله الواحد الخالق لكل شىء وَوُجدت فى نقوش هرم «تيتى» كتابات مشابهة لما وُجد فى هرم «وناس». وكان «ونى» من أكبر الموظفين المصريين فى عهد تيتى، وترك لنا على أحد جدران مقبرته أطول نقش عن حياة شخص ويُعد أهم وثيقة تاريخية وصلت إلينا من الدولة القديمة.

ورغم أن الملك بيبى الأول ظل قابضًا على زمام الأمور فى البلاد بقوة وعزم نحو نصف قرن، فإنه لم يترك لنا وثائق تدل على أعماله. ولكن هناك دلائل



صورة كاملة لما كان عليه أحد المعابد الشمسية

الأمور تنبئ بأن بيبى كان محبوبًا فى أعين شعبه، وأنه كان الفرعون النابه بين ملوك أسرته. وقد كشف الأثرى «كويبل» تمثالاً له آية فى دقة الصنع من النحاس ومعه تمثال آخر صغير من نفس المعدن. وقد خلّف نقوشًا على الصخور حتى إقليم بلاد النوبة السفلية، وهناك إشارة فى نقوش «ونى» إلى أن الملك أمر بمحاكمة زوجته «إمتس» أمام محكمة(١٦) شُكلت لهذا الغرض . كما عين الملك «ونى» رئيسا لمحكمة الستة فى «نخن» وكان مسير الجيش إلى الزنوج بأمر «ونى» أيضًا. وعاد الجيش سالمًا بعد أن دبح كل جنودهم بعشرات الألوف العدة . وهناك حملة أخرى إلى فلسطين. وهى أول حملة اشترك فيها الجيش والأسطول ودونها لنا التاريخ.

ومن ناحية الاعتداء على المقابر، فهناك أفظع الأمثلة فى عدم المبالاة بحقوق الأموات والتهكم بالعقائد الدينية والحساب والعقاب، وربما كان هذا هو السر فى كثرة التعاويذ السحرية التى طغت على الدين فى هذا العصر لإرهاب الناس من مفعولها.

الملك «مرن رع»

وجدت مومياؤه سليمة فى هرمه الذى دخلوه عام ١٨٨٠. وقد عُين «ونى» حاكمًا مسيطرًا على الوجه القبلى من الفنتين جنوبا (أسوان) حتى أطفيح وأرسله الفرعون إلى محاجر «إبهات» ببلاد النوبة ومحاجر الفنتين ثم إلى محاجر المرمر فى حتنوب فى مصر الوسطى. ثم أرسله الملك لعمل خمس ترع فى الجنوب.

ومن عظماء حكام الفنتين لدينا «حرخوف» ، ومقبرته محفوظة على الضفة الغربية من شلال أسوان . ويعتبر «حرخوف» أول كاشف لمجاهل إفريقيا وقد قام بثلاث رحلات فى عهد الملك «مرن رع»

الملك بيبى الثانى (نفر كا رع)

إن نهاية حكمه الطويل (من ست سنوات حتى المائة عام) يعتبر نكبة على البلاد. وفى عهده قام «حر خوف» برحلته الرابعة وأحضر أقزاما من مجاهل

إفريقيا، وتعتبر الأقزام من أدوات الزينة واللهو فى البلاط الفرعونى ورغم أن المصرى كان يعتقد بأن ارتياد مجاهل البلاد النائية من الأعمال الجليلة ، إلا أنه لايترك جسمه يُدفن فى هذه الجهات القاصية إذا حدث ولاقى حتفه فيها.

ونجد قصة «سبنى» الذى ذهب لإحضار جثة والده من بلاد «العامو» (الآسيويين) وهذا يدل على اهتمام المصرى بدفنه فى مصر.. وهناك أسرة أخرى خدمت ببى الأول وببى الثانى وهى أسرة «زاو». وأظهر ابنه رغبته فى أن يدفن مع والده فى القبر الذى أقامه هو له. ونعرف عن أسرة «زاو» إنه كان لديها نفوذها، إذ كانوا حكام مقاطعتين وراثيتين (المقاطعتان ١٢ & ٨ من الوجه القبلى) وكان منهم الوزير وحكام الجنوب.. ونعرف من أسرة «زاو» دروسًا عدة من الوجهة السياسية والاجتماعية والدينية.

كانت قوة الملك آخذة فى التدهور، فبعد اختفاء «ببى الثانى» هوت البلاد دفعة واحدة إلى الحضيض، وكانت خاتمة الأسرة عصر ثورات واضطراب لم يقم فيه من الآثار ما ينير لنا الطريق.

نستشف من «تحذيرات نبى» ومع ظهور حكيم يدعى «إبور» بما حدث فى البلاد من فوضى فى ختام الأسرة السادسة (٢٥٠٠ ق.م)، فقد انتشر حفارو القبور فى كل مكان بسبب كثرة الموتى، ولقد خربت المنازل... وصار الذهب واللازورد والفضة والياقوت تحلى جيد الجوارى بينما تمشى السيدات النبيلات فى طول البلاد يقلن «ليت لدينا الشىء لنأكل».. وأصبح الرجل الأحمق يشك فى وجود (الإله) فيقول: «إذا عرفت أين يوجد الإله قدمت له قربانا ، وقد أصبح الأغنياء فقراء بينما أصبح الغوغاء أثرياء».

الأسرتان السابعة والثامنة

يعد العصر الذى تلا الأسرة السادسة إلى ظهور الأسرة الحادية عشرة من أظلم العصور فى تاريخ مصر. وحوالى عام ٢٢٤٠ ق، م أعلن حاكم مقاطعة أهناسيا واسمه خيتى نفسه فرعونًا على مصر السفلى ومصر العليا. وفى ذلك العصر كانت الدلتا فى يد الآسيويين. وفى مصر الوسطى كان حكام أهناسيا هم المسيطرين. وفى الوجه القبلى نجد البلاد ملتفة حول حكام طيبة.

الأسرتان التاسعة والعاشرة

يظن بعض المؤرخين أن ملوكها من أصل لوبى وأنهم غزوا مصر عن طريق الفيوم حتى وصلوا إلى مدينة أهناسيا، واتخذوها عاصمة لملكهم لما لها من ماض مجيد من الوجهة التاريخية والمكانة الدينية، فضلا عن أنها كانت أعظم مدينة صادفتهم أثناء زحفهم على البلاد.

وحسبما ذُكر فى التقاليد الدينية والأساطير أن الإله «شو» - إله الفضاء - رفع فى هذه المدينة السماء عن الأرض.. وكذلك جاء فى الأساطير الدينية أن الإله رع (إله الشمس) أرسل إلى هذه المدينة الإلهة «سخمت» إلهة الحرب لتهلك بنى الإنسان بسبب عصيانهم وثورتهم على الإله المسن .

وأول فرعون تولى عرش الأسرة التاسعة فى أهناسيا هو «خيتى الأول» وقد كانت له شهرة سيئة فى التاريخ حسبما جاء فى الروايات التى رواها عنه مانيتون ، وأنه ارتكب مظالم كثيرة. وتعلمنا حوادث التاريخ أن العظماء الذين يقومون بتأسيس دولة باغتصاب عرش غيرهم ، لايبالون بمن يعترضهم فى طريقهم ولايقيمون وزنًا للمظالم التى يرتكبونها فى سبيل الوصول إلى أغراضهم وفتح طريق الفلاح أمامهم. وتبع خيتى الأول خيتى الثانى.

وعند اعتلاء خيتى الثالث أريكة البلاد قام بينه وبين أحد البيوتات فى الجنوب نزاع كان له خطره عليه وعلى أخلافه، وعلى مستقبل البلاد المصرية والعالم المتحضر فى تلك الفترة. وقد كان مقر حكومة هذا البيت العظيم الذى ظهر فى الجنوب فى بلدة طيبة وكان حاكمها فى هذا العهد فى الغالب هو «أنتف» العظيم (أنتف عا) ابن أنتف الأول «مؤسس هذا البيت.. ولم يكن هناك ما يدعو أمير طيبة للخضوع لفرعون البلاد ولذلك كان يتحين الفرص ليشق عليه عصا الطاعة ويعلن استقلاله. لذلك قامت المشاحنات بين فراعنة أهناسيا وبين أمراء طيبة.

أول معركة بحرية فى التاريخ

ودارت أول معركة بحرية فى التاريخ بين أمير أسيوط وأنتف العظيم وانتصر فيها أمير أسيوط، ولكن عاود أنتف العظيم الكرة وانتصر على أمير أسيوط وسيده فرعون أهناسيا، وامتدت مملكته شمالا حتى أطفيح. وعقب انتصار أنتف العظيم وقَّعَ معاهدة صلح مع خيتى. كما أنه ساد الأمن الجهة الشرقية من الدلتا بعد أن ساءت الأحوال فيها، ثم أصبحت السلطة فى يد حاكم قوى ويصف خيتى الثالث أهل البادية بأنه لاينهب إلامسكنًا منعزلاً وليس فى مقدوره أن يستولى على مدينة آهلة بالآهالى. لذلك عمد خيتى إلى إنشاء مدن محصنة فى الدلتا. ونجد نصائح خيتى لابنه بأن يبنى مدنًا لأنه يقع بين شرَّين : أهل الجنوب فى الصعيد والبدو فى الشمال. ومن نصائح خيتى: «اجعل مستشاريك عظماء حتى ينفذوا قوانينك لأن الرجل الغنى فى بيته لايتحيز فى حكمه». كما يرى خيتى أن الله موجود فى كل أمور الناس. والله يعرف الشقى وينتقم منه بأشد العقاب. ويوصى خيتى ابنه بالضرب والسجن لمن لايمكن إصلاحه ويقول: «على الإنسان أن يعمل ما يريد على ألا ينسى الحساب الأخير عندما يشرف «تحوت» إله الحكمة على المحاكمة. والقضاة الذين يقتصون للمظلوم يوم القيامة ليسوا متهاونين فى ذلك اليوم».

وتعاليم الفرعون «مرى كارع خيتى» تلقى ضوءًا على مستوى الفكر الإنسانى فى هذا العصر، وعن الفكرة التى كان ينظر بها الفرعون. فى حكمه للبلاد . وأخلاق خيتى ومركزه فى التاريخ تقربنا من فهم صورة الفرعون الإنسان لا الآلة الحكومية. ومما يؤسف له أن ابنه خيتى الرابع لم يستفد من نصائح أبيه فقامت قلاقل فى أهناسيا وفى أسيوط. ثم ظهر أول ملوك الأسرة الحادية عشرة وهو منتوحتب الثانى. وجلس على عرش مصر فى طيبة، فقبض على أمراء الأرضين وعلى قبائل البدو التسع.

الجزء الثانى

الدولة القديمة

مقدمة الجزء الثانى

يبحث الجزء الثانى فى مدنية الدولة المصرية القديمة حتى الأسرة العاشرة وما يتصل بها من نظمها الاجتماعية والسياسية والثقافية.

(١) المملكة الطينية وإدارتها (٣٤٠٠ - ٢٩٨٠ ق.م)

كانت الحكومة فى العهد الطينى حكومة مطلقة قوامها ملك مؤله، يمثل الإله الأعظم للقطر أى الإله «حور»، فبذلك يصبح أول اسم ملكى هو الحورى، ويوضع الملك تحت حماية إلهتين: إلهة النسر فى الكاب «نخبت» وإلهة السل فى بوتو «وازيت» وبذلك أصبح له اسم آخر وهو «نبتى» وفى احتفال التتويج يلبس الملك التاج الأبيض لمصر العليا، ويطلق على هذا المنظر (طلعة ملك الوجه القبلى)، ثم يلبس الملك التاج الأحمر للوجه البحرى ويطلق على هذا المنظر (طلعة ملك الوجه البحرى). واحتفال اتحاد المملكة الثنائية يتكون من دق وتد فى الأرض، وحوله يزرع نبات رمز الوجه القبلى ونبات رمزًا للوجه البحرى (البردى والبشنين). ويتم الطواف حول الجدار رمزًا لاتحاد البلاد، ويتم الاحتفال بعيد «سد» الذى كان يحدث فى الأصل بعد ثلاثين عاما.

ولما كان الملك له صبغة إلهية فإن الأعياد التى كانت تقام تعظيمًا للآلهة أصبحت لها أهمية عظيمة جدا، وأهم هذه الأعياد عيد الإله «حور» وعيد الولادة للإله «سكر» إله سقارة والإله «مين» رب قفط و«سد» والإلهة «سشات» «إلهة

الكتابة». وتشاهد الإلهة «سشات» والملك وجهًا لوجه وهما يدقان بمطرقة وتدًا فى الأرض وهذا المنظر أصبح متبعًا فى تأسيس المعابد إلى عصر البطالمة.

ويقيم كل ملك لشخصه قصرًا جديدًا. ويتم تعيين موظفى الإدارة الرئيسية وموظفى الإدارة الإقليمية، وأول وزير عُرف لقبه بالتحقيق على الآثار هو «كانفر» فى بداية الأسرة الرابعة فى عهد الملك سنفرو.

وكان الملك يشرف على الوزارة والإدارة العامة الرئيسية، وكان يعاونه حاملا الخاتم للوجهين القبلى والبحرى وكانا يشرفان على الخزينة الثنائية (مصر السفلى ومصر العليا). وكان هناك نائب الملك فى نخن (الجنوب) ونائب الملك فى بوتو (الشمال)، وكان يتبع الإدارة الرئيسية مكاتب السجلات الملكية.

وقد تقدم نظام الرى لوجود موظف مكلف بالتفتيش على الترع فى كل مقاطعة وهو الذى يشرف على حفر الترع، ويقوم حاكم المقاطعة بالحصول على الثروة العامة الخاصة بالخزينة الملكية ويقوم بعمل إحصاء للثروة كل سنتين، كما يقوم بتدوين ارتفاع النيل حتى تتخذ الاحتياطات إذا حدث انخفاض فى النيل تجنبا لحدوث قحط أو مجاعة، وكان هناك مجلس فى كل مقاطعة موكول إليه الأمور القضائية.

(٢) الحكومة فى العهد المنفى (٢٩٨٠ - ٢٤٧٥ ق.م)

كان الملك هو القوة الرئيسية فى البلاد وكان القوم يعدونه إلهًا أكثر منه إنسانًا، ولذلك كان يطلق عليه اسم (الإله الطيب) وكان قصره يدعى (البيت العظيم) «برعا» وقد اشتق منها فيما بعد كلمة فرعون التى استعملت فى اللغات السامية. والظاهر أنه كان فى يد الملك السلطة التنفيذية والسلطة القضائية فى عهد الأسرة الثالثة، وكانت الوظائف التى يمنحها الملك لموظفيه هى مصدر السلطة الوحيد، وكان الموظفون الذين ينتخبون من بين المتعلمين يعَّينون بمرسوم. ومن يقوم منهم بعمل إدارى مهم يرمز له بحمل العصا، ويطلق عليه (نائب الملك) أولا فى القرية ثم فى المدينة، وقد كان الموظف الذى يتقلب فى هاتين المرحلتين الإدارية والتنفيذية له الحق فيما بعد أن يشغل أعظم مناصب الحكومة.

وإقامة الشعائر الدينية قد جعلت بين الملك وكهنته علاقة وطيدة، وكان الكاهن الأكبر للإله رع يعد أكبر شخصية فى الدولة بعد الفرعون ونشاهد أن الإله «تحوت» إله العلم قد أخذ مكانة عالية حتى أن وظيفة إقامة شعائره قد مُنحت للوزير الذى كان دائمًا من أولاد الملك.

وأخيرًا نرى كاتب الملك الإلهى الخاص قد أصبح كذلك مساويا للكاهن الأعظم للإله رع وللإله تحوت والملك. وكانت ألقاب السمير الوحيد ولقب «قريب الملك» قاصرة على أفراد معينين، وكانت الشعائر الدينية تقام فى القصر للملك الحاكم، وفى الهرم للملك المتوفى، وفى معبد الشمس للإله «رع» الذى كان يعتبر والد كل الفراعنة، كما استمر الملك يقدس فى الهيكلين العظيمين التاريخيين وهما معبد «نخب» (الكاب) ويسمى «برور» (المعبد العظيم)، ومعبد «بوتو» ويسمى «برنسر» (معبد النار). وكان القوم يعتقدون أن روح الإله «رع» تتقمص الملك فهو إذًا إله حى.

وفى عهد الأسرة الرابعة نلاحظ أن لقبى رئيس كهنة نخب، ورئيس المرتلين، لا يلقب بهما إلا أولاد الملك، أما فى الأسرة الخامسة فلم نجدهما، وظهرت طائفة أخرى من الكهنة، وكان الكهنة المطهرون ورؤساؤهم ينتخبون من بين رجال القصر وعظماء رجال الدين فى الأسرة الرابعة، وكان هناك كهنة الروح المادية «حم كا».

(٣) الألقاب الإدارية الرئيسية وألقاب الإدارة الإقطاعية

كان أهم مظاهر التجديد فى الحكومة المصرية فى عهد الأسرة الرابعة هو إنشاء وظيفة «وزير»[١٨] . وقد كان يشغلها دائمًا أحد أولاد الملك الذى كان فى الوقت نفسه كاهنًا للإله «تحوت» وهو مع الإلهة «معات» إلهة العدل والإلهة «سشات» إلهة الإدارة، الآلهة الرسميين الذين كانت فى أيديهم السلطة الحكومية.

وقد كان أهمهم «تحوت» إله القانون، فكان الوزير كاهنه، وفى الوقت نفسه رئيس الحكومة، والوزراء المعروفون فى عهد الأسرة الرابعة هما «كانفر» و«نفر

معات» وهما ابن «سنفرو وحفيده على التوالى ثم «حميون» بن «نفر معات» ثم «نى كاو رع» بن «خفرع»، إلخ...

ومن أعمال الوزير أنه كان رئيس القضاة، ولذلك كان هو الرئيس لمحكمة الستة العليا، وكانت وظيفة الكاتب وظيفة مرغوب فيها.. فالمدرسة كانت تسمى «بيت الحياة». والكتاب كانوا فخورين بمعلوماتهم، وكانوا يشغلون مراكز كبيرة مثل رئيس أسرار كل أوامر الملك، ورئيس أسرار محكمة العدل، ورئيس أسرار الكلام المقدس.

إدارة مصالح الحكومة وتسييرها

كان هناك بيت التحريرات الملكية، وبيت المكاتبات أو إدارة المحفوظات وبيت العقود المختومة وبيت رئيس الضرائب أو التوزيع، بالإضافة إلى مصلحة الحقول (الضياع) الذى ينقسم إلى أربع إدارات:

(١) بيت المحراث وهو مكلف بإدارة الأراضى الزراعية.

(٢) بيت الراعى ومن اختصاصه المراعى.

(٣) بيت حيوانات الإنتاج.

(٤) بيت حيوانات التربية. ولابد من وجود مصلحة الرى.

مصلحة المالية

كان المدير العام للمالية يحمل لقب «مدير البيت الأبيض المزدوج» وكان تحت إدارة الوزير مباشرة، وكان البيت الأبيض المزدوج هو المصلحة الرئيسية لإدارة المالية ويجب أن نعتبرها المصلحة المكلفة بحفظ المعادن الثمينة، وهو مركز خزانة المالية والمحاسبة، والواقع أن البيت الأبيض المزدوج كان مكلفا بدفع المرتبات التى كانت تدفعها الحكومة للموظفين و«المقربين» وفى عهد الأسرة الخامسة، تم إكمال نظام الخزينة بإنشاء (بيت المال) ومن المحتمل أن خشب الأرز الذى كان يجلب من جبل (ببلوص ـ لبنان) يتم دفع ثمنه بالذهب.

وكان للحكومة إدارة (شوَن) مزدوجة مثل إدارة بيت الذهب والبيت الأبيض. ووظيفة (الشونة) على الأخص تخزين الحبوب، وكانت فى يد الوزير أو أحد أعضاء مجلس العشرة العظيم أو حكام الجنوب.

أما (شون) غلال الإدارة الحربية فكانت مستقلة، وكانت هناك مخازن الشعير ومخازن القمح وموظفون مكلفون بالمحافظة على البلح، والعسل والخضر وفى مرسوم «ببى الأول» يذكر لنا إدارة الخبز.

الجمارك والتجارة الخارجية

المحصولات التى كانت تجلب إلى مصر كان يفرض عليها ضرائب، وكان الملاك الأغنياء يصدرون الحبوب، ويرجع ثراء أتريب (بنها الحالية) أنها كانت تتاجر بالغلال مع البلاد الأجنبية، وكانت قافلة السفن العظيمة إلى بنت (الصومال) ضمن البعوث التجارية إلى إفريقيا وآسيا.

مصلحة الأشغال العمومية

كانت مهمتها إقامة القلاع لحماية الحدود والسويس، وإقامة الأهرامات وإنشاء معابد للشمس منذ الأسرة الخامسة، والمبانى الجنائزية، وإرسال البعوث إلى المحاجر والمناجم.

حكومات المقاطعات

كانت الطريقة الوحيدة عند الفرعون لتجنب استقلال حكام المقاطعات أن يعتبرهم حكامًا قابلين للنقل عدة مرات. ثم أصبحت المقاطعات تحكم وراثيًا. وكان يتوق الحاكم لأن يكون عضوًا فى مجلس الستة العليا أو مستشارًا سريا، أو نائب الفرعون فى «نخن» أو وزيرا، وكان الملك يمنح موظفيه مكافآت جنازية كعطف يظهره لهم.،وكان للقبر دخل ثابت للإنفاق على الشعائر الدينية، وكانت معظم الأراضى التى تمنح للمعابد تعفى من كل أنواع الضرائب، وكان الكهنة أيضًا يتمتعون بكرم الفرعون، وكان استقلال حكام المقاطعات هو السبب الرئيسى لسقوط المملكة المنفية فى نهاية الأسرة السادسة.

السلطة القضائية

كانت فكرة العدالة والحق موجودة بين سكان القطر المصرى، وكانت آلهة العدل تحمى المحاكم، والعدالة كانت تُمثّل على شكل إلهة تُعبد وكان المصرى يخشى عُقبى الآخرة. ولدينا أول وثيقة تشعر بوجود الوازع الخلقى والدينى عند المصرى وفيها نقرأ: **«ولم يحدث قط أنى اغتصبت أى شىء من أى إنسان لهذا القبر، لأنى أذكر يوم الحساب فى الغرب (الآخرة). وقد أقمت هذا القبر مقابل أجور من الخبز والجعة التى أعطيتها العمال الذين أقاموه»** تأمل!

وليس لدينا معلومات عن سير القضاء فى الدولة القديمة، وكل ما نعلمه مشتق من الألقاب القضائية التى كان يحملها رجال الدولة، أو مستخلص من الوصايا والعقود والسندات وشروط الأوقاف، وكان حاكمًا يملك السلطة القضائية، كما نجد (القاضى رئيس الشرطة) و(القاضى الجابى).

وكانت محكمة السراة تختص بالفصل فى المسائل الخاصة بالعقار، وكانت الإجراءات القضائية ترتكز على أساس مكتوب يحتوى على وثائق لها أصل محفوظ فى السجلات، **وكان القانون المصرى يجيز التحكيم ويعترف به بمثابة** سلطة قضائية.

كانت محكمة الستة العليا هى المحكمة العليا وهى تحت سلطة الوزير مباشرة. وكان هناك قاضى المدنيين والقاضى الأعلى للبلاد، وقاضى قم «نخن»، والقضاة المحققون، وقضاة الجلسة وفى الأقاليم كانوا حكام المقاطعات يرأسون محكمة المقاطعات، وهناك أيضًا قاعة «حور» العظيمة (أى الملك) التى كانت تابعة للمحكمة العليا، وكانت الإدارة القضائية تشمل قلم كتّاب المحكمة ورئيس الكتاب، والمشرف على العرائض. أما الموظفون القضائيون فى مقر الحكومة الرئيسى فكان يشرف عليه مجلس العشرة العظيم.

وكان حاكم المقاطعة هو رئيس الشرطة وهو رئيس الإدارة ورئيس قلم القضايا، وكان موظفو المحاكم وإدارة العدل يحملون ألقاب: قاضى - قاضى ممتاز - موظف قضائى - موظف قضائى ممتاز ومدير الإدارة القضائية. ومن

ناحية الإجراءات القضائية فكان المدعى يرفع دعواه أمام محكمة السراة بتقديم عريضة مكتوبة يشرح فيها بالضبط طلبه الذى كان يتخذ أساسا للمرافعة. وكانت المحكمة تحكم بمقتضى مستندات، فإذا كان الموضوع مسألة حقوق عقارية أو أملاك فإنها ترجع إلى العقود الأصلية، ويستنتج من هذا الإجراء أنه كانت ثمة دفاتر أو سجلات لقيد التصرفات العقارية. ومن كلام الوزير «بتاح حتب» نعرف صفات المحقق النزيه فهو يقول: «إذا كنت أنت الذى يتسلم الشكوى فكن هادئًا عندما تسمع كلام المدعى ولا تعامله بقسوة (أى دعه يتكلم) حتى يُفرِّغ قلبه، وحتى يمكنه أن يقول لماذا قد حضر. إن المدعى يحب الذى يسمع مظالمه، حتى ينتهى من سرد السبب الذى من أجله حضر. إن المجلس الباش يسر القلب».

وإن اختصاصات «محكمة السراة» تمتد إلى كل مسائل العقار، وكذلك تشمل كافة المنازعات المدنية الأخرى والسندات، كما تعتبر هيئة قضائية تأديبية، ومن اختصاصاتها محاكمة أكبر رجال الحكومة والكهنة أنفسهم، وإصدار الأحكام ضدهم بمقتضى القانون العام. أما عن العقوبات فهناك عقاب بالضرب والحبس وقطع الرقبة، بالنسبة للجرائم السياسية، وكان يحكم على المرأة الزانية بالحرق حية. وللأسف تدهور النظام القضائى العظيم خلال الأسرة السادسة.

ثروة مصر الطبيعية ومنتجاتها

وهبت الطبيعة أرض مصر تربة خصبة، وجوًا صالحًا، وجبالا زاخرة بالأحجار والمعادن، ونهرًا فياضًا يعم أرضها كل عام، وحيوانا انتشر فى أرجائها، وطيورًا اختلفت أنواعها. وأول ما وجه المصرى همه زراعة الأرض، وتربية الماشية وإقامة المبانى واستثمار الأحجار الصلبة، والمعادن فى الصناعة.

كان المصرى يستعمل الأشجار الكبيرة فى إقامة مبانيه. «فالسنط» استعملت أخشابه فى بناء السفن الحربية وثماره المعروفة بالقرض كانت تستخدم فى الطب، وبعض الصناعات الأخرى كالدباغة، واستخدمت «جذوع النخيل» فى السقف، و«نخيل الدوم» كان يؤكل ثماره وخوصه استعمل فى عمل السلال وليفها

لعمل الحبال والشباك أو فى صنع الحصير والأطباق والنعال والعصى والأقفاص. و«خشب الجميز» كان يستعمل عادة لعمل تماثيل الآلهات ولصنع الأثاث والتوابيت والتماثيل على العموم.

و«اللحاء» كان يستعمل فى الأدوية وبخاصة للعين وأمراض الجلد. أما «شجرة البرشاء» (اللبخ عند العرب) فكانت مقدسة للإله أوزير، ويصنع من خشبها الأثاث وتماثيل المجاوبين، وتؤكل فاكهتها، و«شجرة النبق» يستعمل خشبها فى النجارة المصرية حتى الآن. و«شجرة الأثل» فكان يصنع من خشبها كثير من أدوات الفلاحة، و«أوراق شجرة الصفصاف» كان يعمل منها الأكاليل و«شجرة المخيط» صنعت من ثمارها بعض أنواع الخمور ومن «تمر العرب» كان يستخرج زيت يستعمل فى التطبيب.

وصناعة النجارة لم تتقدم تماما فى مصر إلا منذ كشف معدن النحاس. فهناك القَدُوم، والبلطة، والمخرز، والأزميل أو المنقار، والأجنة، والمطرقة، والمنشار، ولدينا تمثال شيخ البلد المصنوع من الخشب ونجارة الملكة «حتب حرس».

أما الأخشاب الأجنبية فكانت تجلب من آشور وبلاد الحيثيين، ولبنان والنهرين وبلاد زاهى «سوريا» وفلسطين، وكانوا يجلبون الأبنوس من بلاد بنت (الصومال) وبعض الأخشاب ذات الروائح العطرية التى كانت تستعمل «عطورا». وقد ذكرت المتون المصرية أخشاب: الأَرْز، والسرو، وشجر العرعر، والبلوط والصنوبر. وكان خشب الأَرْز يستعمل فى عمل الأبواب وفى صنع أثاث المعابد، والقصور وغيرها.

وكان المصرى يستخدم النباتات ذات الألياف فى حاجاته اليومية. وأهمها الكتان، وألياف النخيل والحلفا التى كانت تستعمل فى عمل الحبال. أما الغاب أو البوص فقد استعمل فى بناء مساكن فقراء القوم. وقد برع المصرى فى استعمال النباتات الطبية. وهناك أكثر من ٥٠٠ نبات استخرجت منها مواد طبية.

الحبوب التى كانت تزرع فى مصر

الحنطة والقمح والشعير استخدموا فى عمل الخبز والجعة. أما الخضر التى استخدمها فى طعامه لفائدتها من جهة واقتصادا فى أكل اللحوم من جهة أخرى وأهمها الخس والبصل والفاقّوس، والكرفس، والحُمّيض، والفجل، والكرّات، والثوم، والفول، والعدس، والحُمُّص، والباميا، والبطيخ.

أما التوابل فهناك الكزبرة، والكراوية، واليانسون، والكمون.. أما أشجار الفاكهة فكان هناك الكروم، والعنب الأحمر القاتم والزبيب (من النوع الأسود) والرمان. وكانوا يستخرجون من نخيل البلح نوعًا من الخمر وهو المعروف بالعرقى.

زراعة نباتات الألياف

الكتان هو النبات الوحيد الذى استعملت أليافه فى صناعة النسيج. وصناعة نسيج الكتان كانت منتشرة فى مصر منذ أقدم العصور. والغزل والنسيج هما من أقدم الحرف فى مصر. فبعد التعطين والدق والتمشيط والغزل يتم عمل النسيج. أما القطن فقد تضاربت الأقوال عنه. أما النباتات التى استخدمت فى الصباغة فهى النيلة والعصفر والحناء. وقد عُثر على شجرة الزيتون وزيتها فى المتون المصرية. أما نبات البردى فقد نبت فى مناقع الدلتا. وتم صناعة الورق منه. ويحتوى على: لحاء رفيع خشن، ولُب له أنسجة خلوية. ومن هذا اللب كان يصنع ورق البردى، فكان يقطع ساق النبات قطعًا رفيعة كانت توضع جنبًا إلى جنب على لوح من الخشب. وباستخدام مكبس صغير عدة ساعات يتم صناعة الورق.

وكان المصرى مغرمًا بالأزهار وزراعة البساتين فحتى فقراء القوم لم يهملوا التزين، بالأزهار، وكان أحب الزهور إلى المتوفى زهرتا البردى والبشنين (اللوتس) ومن زهور المشاتل كان هناك البشنين والعنبر والبقلة المباركة، والأقحوان والنرجس، والزئبق الأبيض وكان المصرى فى كل عصور تاريخه يعمل لجلب

الأشجار والنباتات من الأقاليم المجاورة ليستثمرها فى بلاده. وعلى جدران قاعة الأعياد بالكرنك صور تحتمس الثالث جملة الأشجار والزهور والنباتات التى جلبها معه من آسيا.

آلات الفلاحة

كانت الآلتان الأصليتان هما الفأس لفلح الأرض والمنجل لقطع المحصول وضمه. أى أن الأولى تجهز للفلاح عمله، والثانية تهيئ له حصد محصوله. واستمرت الفأس تصنع من الخشب حتى العصور المتأخرة وهى لاتزال تصنع أحيانا من الخشب فى الواحات كما صنعت الفأس من النحاس فى عهد الأسرة الخامسة وتقص الأساطير أن مصر مدينة بالمحراث للإله «أوزير» إله النبت والزرع. وهناك آلات بين المنجل والمنشار بالإضافة إلى البلطة من الظرآن. وهناك آلات أخرى كالأمشاط والمطارق والمجارف والمكانس والمناخيل والغرابيل وألوان التذرية. واستخدمت المذراة لفصل التبن عن القمح.

وقد استقينا معلوماتنا عن طرق الزراعة فى مصر فى عهد الدولة القديمة من مقابر عظماء القوم. وكانت السنة الزراعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام متساوية تقابل ثلاث مراحل مختلفة فى زراعة الأرض. فمن أواسط أكتوبر إلى بداية فبراير يقابل فصل بذر الأرض وزراعتها ويسمى بالمصرية «برت» (أى الخروج) أى ظهور الأرض من تحت ماء الفيضان ثم من فبراير إلى يونيو فهو فصل الحصاد ويسمى بالعبرية «شمو» (أى الصيف) ثم فصل الفيضان ويسمى بالمصرية «أخت» وذلك من منتصف يونيو إلى منتصف أكتوبر. والفلاح المصرى الحالى لايزال محافظًا على حساب مواقيت زراعته بالأشهر المصرية القديمة وهى المعروفة الآن بالأشهر القبطية، وكان الفلاح يستعمل الفأس فى عزق أرضه والمحراث فى شقها والشادوف فى ريها، ولم نعثر على رسم للساقية. أما النورج فلم يستعمله قدماء المصريين فى درس الغلال واستعاضوا عنه بأرجل الماشية.

وقام المصرى بصيد الحيوان وتربيته واصطاد السمك من النهر. وقد ظهرت فى رسومه الأيائل وعشيرة الظباء والمها والمؤذر التيتل وغزال آدم والوعل والماعز الجبلى والكبش المصرى والعنز الأهلية والأرنب الجبلى والزرافة والثعلب.

الحيوانات التى تصاد لجلدها أو فرائها

كان المصرى مغرمًا دائمًا بلبس الفراء الوثيرة، وكان يعرف جيدًا كيفية تحضير الجلود ودبغها، ثم استعمل بعد ذلك الجلد فى صناعة نعليه وعمل منه درعه.

وقد رسم من بين الحيوانات المتوحشة الفهد وفرس البحر والذئب، والفيل ووحيد القرن. كما اصطاد الأسد واللبؤة والتمساح (الذى كان يمثل الإله «سبك») والصل أو الثعبان دفاعًا عن النفس.

واستأنس الثور والبقرة والعجول والثيران والخنزير والغزلان والمها والظباء. وكانت جلود الثيران تدبغ وتستعمل لصنع النعال وفى صناعة السفن كما استأنس الطيور الكبيرة الحجم كالنعامة والكركى. وكان مغرمًا بصيد الطيور فى حقول البردى بعصاته المشهورة «البومرانج» وأهم هذه الطيور ما يأتى : الطائر «إيبس» (أبومنجل) ومالك الحزين، وأبو ملعقة، والغرة، والهدهد، والغطاس، والنكات، والبجعة، وفرخة البرك وفرخ الغيط واليمامة والحمامة بأنواعها، وعصفور الجنة، والزقزاق والسمان، والسلوى والبط أما الدجاجة والديك فلم تظهر على الآثار المصرية إلا فى العهد الإغريقى. وكانوا يربون النحل من أجل قطف شهده.

الحيوانات التى كانت تربى لمنتجاتها الصناعية

أهم هذه الحيوانات النعام والخراف والتيوس (وريشة النعام كانت علامة على العدالة والحق). وكان هناك نوعان من الغنم. النوع الأول هو الكبش الوثاب (الكبش منديس) وهو من الضأن المستأنس. أما النوع الثانى فقد جلب على ما

يظهر إلى مصر حوالى ٢٠٠٠ ق.م وكان محببًا للأهلين بسبب (ليته) العظيمة. ومن ذلك نستنتج أن المصريين كانوا يأكلون لحم الضأن، وكان الحمار يستعمل لحمل الأثقال منذ عهد الدولة القديمة. أما الثور فكان يستخدم فى حرث الأرض ودرس القمح وجر عربة الدفن ونقل الأشجار الثقيلة من المحاجر إلى الأماكن التى كانت تبنى فيها كالمعابد والأهرام. ولم يظهر الحصان إلا فى عهد الدولة الحديثة، ويظهر أن الجمل كان مكروهًا عند قدماء المصريين لصلته بالعرب. أما فى العصر الإغريقى الرومانى فقد استخدم الجمل بكثرة.

الحيوانات التى تربى لمساعدة الإنسان وحمايته

الكلب: كان الأول من بين حيوانات العالم التى استأنسها الإنسان، فلقد ساعدته على اقتناص فريسته حتى أصبح إخلاص الكلب وتفانيه فى حب صاحبه دافعًا له لكى يتخذه صديقًا، وكان نباح الكلب النذير بالخطر فى الأرياف. وقد كان الكلب يستخدم كالأسد فى ساحة القتال. فعندما كان الفرعون يحصد رءوس الأعداء، كان الكلب السلوقى يمزق ثيابهم. وأصبحت الكلاب رمز «الانتباه» وقد استعمل نباحها فى تسمية الشعرى النجمى «سريوس» (نجم الكلب) الذى يظهر عند بداية الفيضان، وكانت هناك كلاب صغيرة للهو والتسلية. أما القطة: فكان قدماء المصريين يربون نوعين من القطط. نوع عظيم الحجم وهو الذى يمثل الإلهة «باست»، ونوع آخر يشبه القطة التى نراها الآن مستأنسة. والنمس المصرى أو (فأر فرعون) فهو مضر للتمساح والحية. وكان القرد يستأنس ومن الطريف أن الأقزام كانت موكلة فى العادة بحراسة القردة.

الرفق بالحيوان والعناية بتربيته

إن أظهر دليل على رقى أى شعب من الشعوب هو معاملته للحيوان الذى يستخدمه فى عمله، وفى غذائه، وفى تسليته ورعى الأغنام لايختلف كثيرًا عن عصرنا هذا. وكانت الحيوانات تنام فى الحظائر، وكانوا يعتنون بتنظيفها بليف

النخيل. وكان الراعى يُخْصِى ثيرانه ليُسمِّنها، وكانت معظم الحمير تزود بالبرادع، وقد كان المصرى أول من اخترع التفريخ الصناعى، وكان يتبع فى حلب البقرة طريقة فنية إذا كان لايحلب حلمة واحدة بل كان يحلب حلمتين أو ثلاثا أو أربعًا، وكان يخلط لبن البقرة بالشهد ويقدم للمتوفى قربانا مرطبًا، وكان يعتنى بتربية حيواناته. وقد عُثر على ورقة لطب الحيوان من عهد الأسرة الثانية عشرة وكانوا يقومون بجبر العظام المكسورة بطريقة عملية ليسهل للحيوان استعمال العضو الذى حدث فيه الكسر، وكانت الحيوانات تعامل برفق إلا الحمار الذى كان يضرب لعصيانه وجموحه. أما صغار الحيوان فكانت موضع عناية وعطف وكانت الحيوانات تحصى كل عامين مرة.

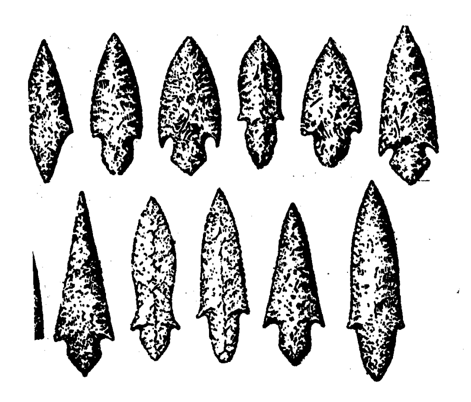
أسماك النيل والبحيرات

كان صيد الأسماك من الأشياء المحببة للمصرى، ومن الأنواع التى رسمها «روزلينى»: «عما» - البلطى - البورى - أنومة - القرموط - الشال - شليه - فهكة - «بس» بنى - وكان يجفف السمك وكانت تستخرج منه البطارخ، كان هناك الصيد بالشبكة، والصيد بالسلال، والصيد بالخطاف، والصيد بالنشالة.

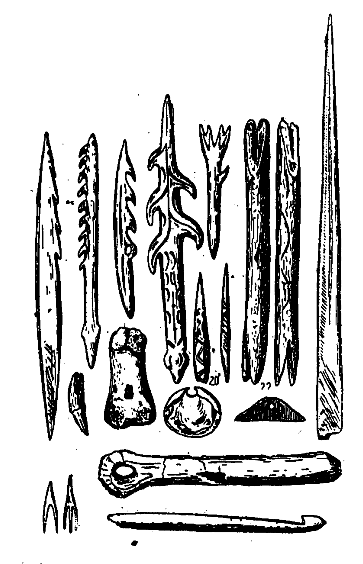
أدوات صيد الطيور والحيوانات البرية

عصا الرماية «البومرانج» - شبّاك صيد الطيور - صيد الطيور بشبَك الحقول - فخاخ الصيد - القوس والنشاب - فخاخ صيد الغزلان - الخية - الشراك تستخدم لصيد الغزلان لكى يأكلوا لحومها، والحمر الوحشية فتوجد فى الصحراء الشرقية الجنوبية، وتوجد الثعالب فى الصحارى المصرية كلها، والذئب يوجد فى الواحات والوديان المتأخمة لوادى النيل، ويعد الضبع عدوًا لدودًا للحمير والأغنام فى الصحراء الغربية.

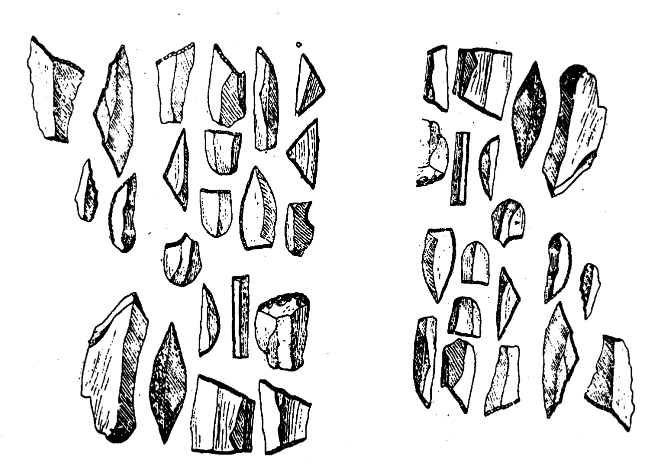
أما الطيور التى تعيش فى الصحارى المصرية فمنها السمان. أما جوارح الطير فأهمها العقاب والنسر والصقر.



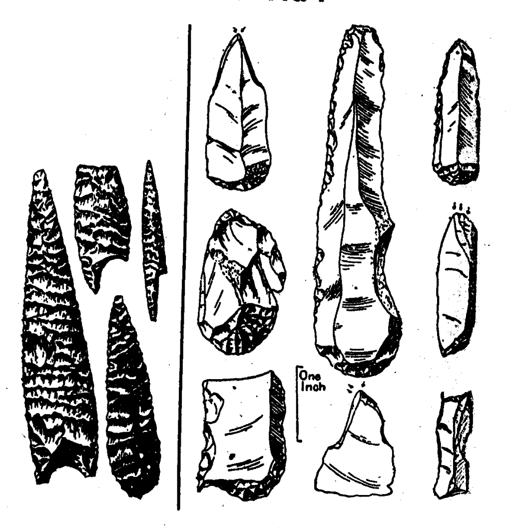
رءوس سهام من جبانة العرية



صناعات عظمية من العصر الحجرى القديم الأعلى



آلات ميكروليتية من الظران



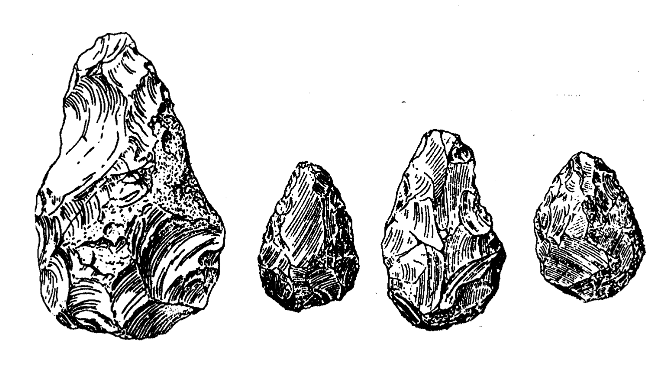
آلات من الظران ترجع للعهد الأورجناسى ظران من الصناعة السلوترنية

أنواع الأحجار التى استعملت فى مصر قديمًا

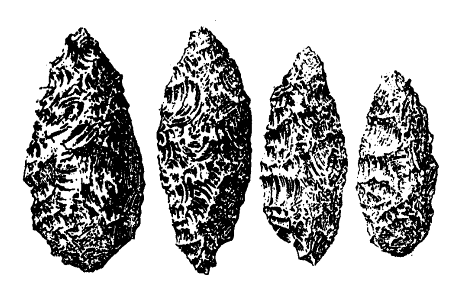
أهم أحجار البناء هو الحجر الجيرى الأبيض ويكثر وجوده فى التلال التى تحف وادى النيل من القاهرة إلى مابعد مدينة إسنا بقليل وبالقرب من الإسكندرية عند المكس وفى جوار السويس، وأحسن أنواع هذا الحجر فى محاجر طرة والمعصرة. والحجر الرملى تتألف منه التلال الممتدة من إسنا إلى أسوان، ثم من «كلبشا» إلى وادى حلفا. وأهم محجر رملى يقع عند السلسلة على النيل على مسافة ٤٠ كيلو مترًا شمال أسوان بين أدفو، وكوم أمبو. وحجر الجرانيت منتشر فى أماكن عدة فى جهات القطر، ويكثر فى أسوان وفى الصحراء الشرقية وفى سيناء وحجر المرمر (الجبس) فيوجد فى سيناء، وفى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس. وفى مغاغة، وفى الإقليم الواقع ما بين المنيا وجنوب أسيوط.

حجر البازلت: لونه أسود. ونوع البازلت الذى يستعمل فى مصر هو فى الواقع ديوريت ذو حبات دقيقة، ويوجد فى محاجر «أبو زعبل» والمحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من أهرام الجيزة فى منطقة أبى رواش وفى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس ، وفى الفيوم، وسمالوط وأسوان وفى واحة البحرية، وفى الصحراء الشرقية وسيناء. وكان يستعمل فى البناء وعمل الأوانى وعمل التماثيل.

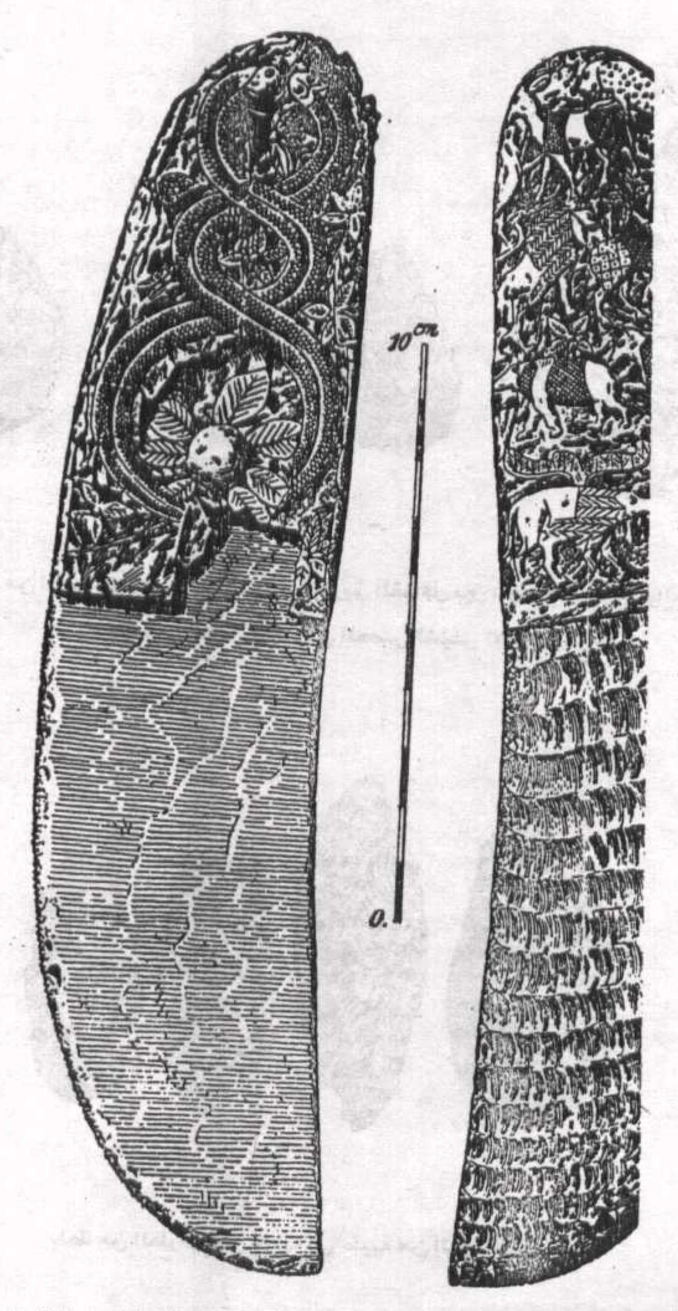
حجر الكوارتسيت: ويوجد فى الجبل الأحمر القريب من القاهرة، وفى وادى النطرون، وشمال أسوان.



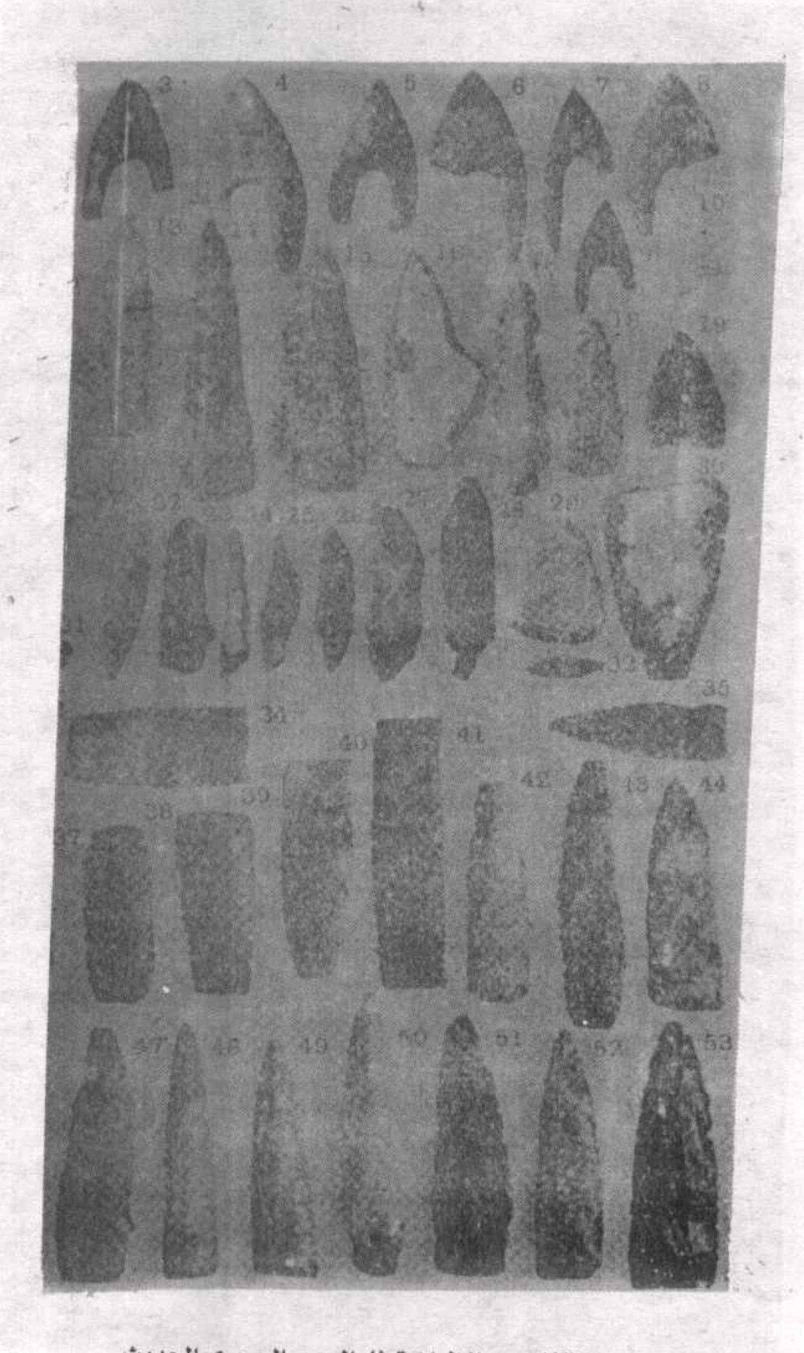
ظران من العهد الشبلى عثر عليه على طريق القوافل بين الواحة الخارجة والعرابة
قبضة يد من الظران من العصر الشيلى الأوروبى



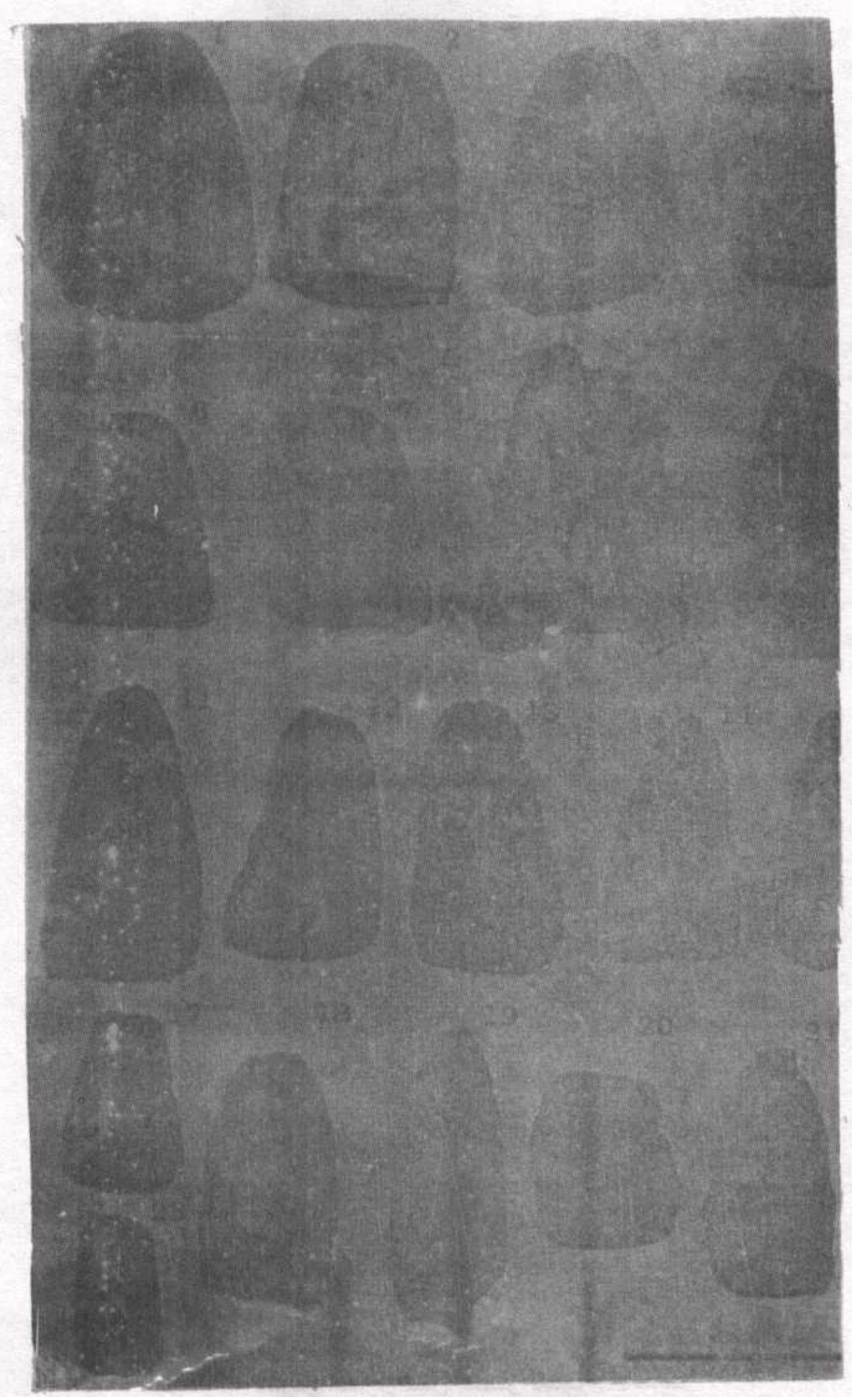
بلط من الظران عثر عليها فى طيبة من العهد الآشيلى



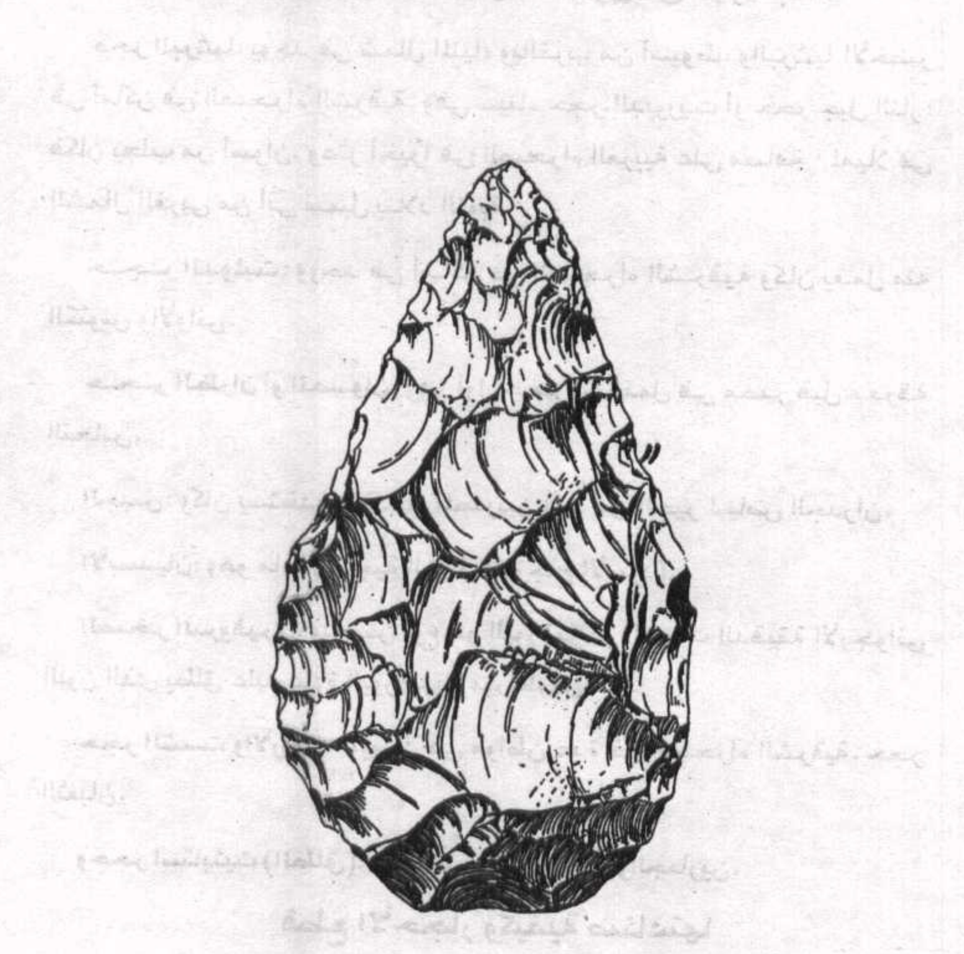
الظران الفاتح اللون مزينة يدها بورقة من الذهب مطروقة عثر عليها فى جبانة ساحل البقلية



مجموعة آلات من الظران تمثل العصر الحجرى الحديث



آلات للطحن وبلط من العصر الحجرى الحديث



قبضة يد من الظران من العصر الآشيلى (تستعمل كبلطة)

الأحجار التى استعملها المصرى فى غير البناء

حجر البرشيا: يوجد فى شمال المنيا، وبالقرب من أسيوط. والبرشيا الأخضر فى أماكن فى الصحراء الشرقية. وفى سيناء حجر الديوريت أو حجر جبل النار: فكان يجلب من أسوان، وعُثر أخيرًا فى الصحراء الغربية على مسافة ٤٠ميلاً فى الشمال الغربى من أبى سمبل ببلاد النوبة.

حـجـر الدوليت: ووجد فى أماكن فى الصحراء الشرقية وكان يعمل منه الكئوس والأوانى.

حـجـر الظران أو الصـوان: وهو أول حجر استعمل فى مصر قبل معرفة النحاس.

الجبس: وكان يستخدمها قدماء المصريين بدلاً من الجير لبياض الجدران.

الأبسديان: وهو مادة زجاجية الشكل (الزجاج الأسود).

الصخر البروفيرى: وأحسن نوع هو البورفير ذو الحبات الدقيقة الأرجوانى اللون الذى يطلق عليه عادة البورفير الإمبراطورى.

حجر الشست والأردواز: ويوجد فى مواطن عدة فى الصحراء الشرقية. حجر الثعبان.

وحجر استايتيت (الطلق): واستخدم لعمل الخرز والجعارين.

قطع الأحجار وكيفية صناعتها

كان من الطبيعى ألا تنتشر صناعة قطع الأحجار إلا بعد معرفة المعادن وصناعة الآلات، وكان قطع الأحجار السهلة اللينة كالمرمر والحجر الجيرى، والحجر الرملى يتم بفصل الكتلة المرغوب فى قطعها من جهاتها الأربع عن الصخر الأصلى، وذلك بخوابير من الخشب، وعروق مبللة بالماء، والآلات التى كانت تستعمل فى ذلك من المعدن هى أزاميل أو مناقير من النحاس، وكذلك كانت تستعمل مدقات من الخشب ومطارق من الحجر.

أما قطع الأحجار الصلبة فلم تبدأ فيه إلا فى عهد الدولة الوسطى عندما أخذ المصريون فى قطع الكتل الضخمة الطويلة لصنع المسلات والتماثيل الهائلة. وقد لخص الأستاذ «ريزنر» العمليات المهمة التى كانت تتخذ لإبراز التمثال كالآتى: ١ ـ الدق بالحجر. ٢ ـ الحك بواسطة حجر فى اليد ومعه مسحوق مفتت. ٣ ـ النشر بواسطة سلاح من النحاس ومعه مسحوق مفتت. ٤ ـ الثقب بمثقب أنبوبى الشكل. ٥ ـ الثقب بالنحاس.

الأحجار الكريمة وشبه الكريمة

كان المصرى يستخدم الأحجار نصف الكريمة لعمل التعاويذ، والخرز والمجوهرات والجمارين كما يستخدمها فى ترصيع صناديقه وتوابيته ومنها أحجار كريمة أيضًا. وأهم هذه الأحجار ما يأتى:

العقيق : Agate، والجمشت Amethyst، والزمرد المصرى Beyrl وحجر الدم Garnelian، والخلكيدونى أو العقيق الأبيض Chalcedony والمرجان Coral، المقيق أو حجر سيلان Cgarnet، وحجر الدم Haematite، واليشم Jade، والسرد أو العقيق الأحمر Sard واللازود Lapis Lazuli، والدهنج Malachite وحجر الزبرجد Olivine، والجزع (حجر الطفر) Onyx واللؤلؤ Pearl والبلورات الصخرية Rock crystal، وجزع عقيق Sardonx، ثم الفيروز Turquoise.

ويلاحظ أن المصرى لم يكن يعرف الماس أو حجر الأوبال أو الياقوت الأحمر أو الأزرق.

والعقيق والجزع: كلها أنواع من الخلكيدونى المجزع أو المعرق.

وحجر الجمشت (امتست) : يتركب من الكوارتس الشفاف.

والزمرد المصرى: وهو حجر كريم يكون لونه أخضر أو أزرق باهتًا أو أصفر أو أبيض.

وحجر الدم والعقيق الأحمر : هو خلكيدونى أحمر شفاف بعض الشىء.

والخلكيدونى أو العقيق الأبيض: هو نوع من السيلكا الشفاف والمرجان والمشهور منها الأبيض والأحمر.

وحجر **الأمزون أو الفلسبار الأخضر:** هو حجر غير شفاف أخضر باهت.

وحجر سيلان لونه أحمر قاتم أو أسمر مائل للحمرة.

وحجر الهمتيت (حجر الدم) :وهو أكسيد الحديد ولونه أسود، وأحمر، وأسمر.

واليشم أو حجر الجاد: ولونه أبيض أو رمادى أو أخضر.

وحجر اليشب: وهو نوع من السيلكا الكثيفة غير النقية، ولونه أحمر أو أخضر أو بنى أو أسود، واللون الأحمر هو الذى كان يستعمل فى مصر قديمًا لصناعة الخرز والتعاويذ.

واللازورد: حجر مظلم ذو لون أزرق قاتم.

وحجر الدهنج (التوتييه): وهو النحاس الغفل ولونه أخضر جميل.

واللؤلؤ: كان يستخرج من شواطئ البحر الأحمر.

وحجر الكوارتس والبلور الصخرى :نوع من السيلكا البلورية ولا لون له عندما يكون نقيًا.

والفيروز: لونه أزرق سماوى.

المعادن

أهم هذه المعادن النحاس والذهب والحديد والقصدير والفضة والرصاص **واستعمل** البرنز، وهو خليط من النحاس والقصدير والألكتروم وهو خليط من الذهب والفضة، والنحاس الأصفر وهو خليط من النحاس الأحمر والزنك.

النحـــاس: يرجع تاريخ وجوده فى مصر إلى عهد البدارى. وأقدم أدوات نحاسية عُثر عليها هى الخرز والمثاقب والدبابيس وأساور ومعاول صغيرة وخواتم

ورءوس خطاطيف وإبر وملاقط، وغير ذلك من الآلات الصغيرة وفى عهد الأسرات الأولى استعمله المصرى كرءوس بلط ضخمة، وقواديم ومعاول وسكاكين وخناجر وحِراب وحُلِى وأدوات منزلية كالطست والإبريق. وتوجد خامات النحاس فى شبه جزيرة سيناء وفى الصحراء الشرقية ولابد أن النحاس كان يستخرج من مناجمها حتى الأسرة الثامنة عشرة.

وخامات النحاس فى مصر هى: الآزوريت، وخام الكرسوكولا، والدهنج، والكبريتوز.

صناعة البرنز: وكان يشكل مثل النحاس بالطَّرْق، أو بالسَّبك فى قوالب.

النحاس الأصفر: وقد عثر على خواتم منه وأقراط فى بلاد النوبة.

الذهب: ولم يوجد قط فى حالة نقية. ومناجم الذهب شمالى خط عرض قنا حتى دنقلة فى السودان ولم يعثر إلى الآن على ذهب فى شبه جزيرة سيناء وفى مقبرة توت عنخ آمون نجد أن وزن تابوته فقط مايقرب من ١١٠,٥ كيلو جرام من الذهب الخالص، وقد لوحظ فى الآثار من الذهب القديم ألوان شتى فنجد من بينها الأصفر الفاقع، والأصفر القاتم، والأحمر المختلف الألوان.

الإلكتروم: وهو مزيج من الذهب والفضة. وكان يجلب من بلاد بنت و «آمو».

الحديد: معدن الحديد الخالص لايوجد إلا بكميات قليلة ويوجد فى المغارة القريبة من أسوان وفى سيناء والصحراء الشرقية.

الرصاص: أهم الأماكن على بعد سبعين ميلا جنوب القصير وسفاجا وبالقرب من أسوان.

الفضة: كانت الفضة نادرة فى مصر حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة. وكثر استعمالها فى عهد البطالسة، وكانت تجلب إلى مصر من آشور فى آسيا وبلاد الخيتا والنهرين وبلاد الرتنو.

القصدير: رغم أن خام القصدير لايوجد فى مصر، فإننا نعثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون، وكان يجلب كلا من معدنى القصدير والبرنز من غربى آسيا ومن الشمال الشرقى من بلاد الفرس حيث يوجدان بكثرة.

الــشــب: توجد فى الواحة الداخلة والواحة الخارجة وتستعمل فى تثبيت الألوان.

النطرون: كان يستعمل قديما فى احتفالات التطهير، وبخاصة لتطهير الفم ولعمل البخور، ولصناعة الزجاج، والطلاء، وفى الطهو. وكان يستعمل فى الطب وفى التحنيط. ويوجد فى وادى النطرون ومديرية البحيرة وجهة الكاب.

يمكن تقسيم العمل فى عهد الدولة القديمة إلى ثلاثة أنواع. وهى الأعمال الحكومية أو الأعمال الحرة كالحرف والصناعات، ثم أعمال أصحاب الضياع العظيمة.

وأهم هذه الأعمال استغلال مناجم النحاس، والذهب، وكان الملك المحتكر لاستخراج المعادن والأحجار. وفى منطقة الأهرام عثر على دهاليز يبلغ عددها نحو المائة كل منها يأوى نحو خمسين عاملا.

المصانع الحكومية : كان للملك عدة مصانع تصنع فيها محاصيل الضياع. ومن الأسر الأولى نجد ألقابًا مهمة كرئيس إدارة العمال، ورئيس الخبازين، ورئيس صناع الحلوى، ومدير مصنع الطحن ومدير المرطبات، والمشرف على الفطور.

قانون العمال الملكيين

كانت تستخدم الجنود والأسرى فى الأعمال الحكومية، ولكن فى الأعمال التى كانت تحتاج إلى مران ومهارة، فيقوم بها أحرار يشتغلون بعقود تكتب بينهم وبين صاحب العمل، ولدينا ثلاث وثائق تثبت أن هذه الطبقة من العمال كان أفرادها أحرارًا وليسوا عبيدًا. وأصحاب الحرف والصناعات من طوائف الأحرار وليسوا تابعين لفرد معين ولا للحكومة. ففى مقبرة «رمنوكا» كاهن الملك «منكاو رع» تقول

لنا النقوش: لقد أقمت هذا القبر مقابل الخبز والجعة التى أعطيتها كل الصناع الذين أقاموا هذا القبر تأمل حقا لقد أعطيتهم أجورًا عالية من الكتان الذى طلبوه وشكروا الله على ذلك».

وقد جاء فى تعاليم «بتاح حتب» ما يأتى: كان الفقير والغنى فى المدن على قدم المساواة فى الحقوق، فإن الفقير كان فى إمكانه أن يصبح غنيا بنفسه وكل مالك كان سيدًا فى ضيعته وله مطلق التصرف.

طرق المواصلات

الحركة العامة للمواصلات بواسطة نهر النيل، وكانت الملاحة تسهل التجارة وتجبر الأهالى على استعمالها، وكان الحمار هو دابة الحمل العادية لصبره وتحمله وشجاعته. ولدينا مناظر نشاهد فيها صاحب الضيعة محمولا فى محفته على الأعناق متجولا فى حقوله. والمصرى كان بحارًا ماهرًا مجدًا.

وفى مياه النيل السريعة شديدة الأمواج كان يلزم سفن من الخشب الصلب، ولا تستعمل الزوارق البردية لنقل المسافرين أو الحيوان أو البضائع الثقيلة وقال هيرودوت: «كانت سفن نقلهم تصنع من خشب السنط المصرى».

الملاحة

تدل النقوش على أن أول أسطول بحرى عرف فى تاريخ البشرية يرجع عهده إلى الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة إذ يخبرنا حجر «بلرم» أنه فى عصر هذا الملك قد عاد من بلاد سوريا أربعون سفينة محملة بخشب «عش» (الأرز)، وقد وجد سكان وادى النيل فى نهرهم المنقطع القرين مدرسًا عظيمًا يتعلمون على يديه أول درس فى الملاحة. ومن ناحية التبادل التجارى فلا يمكن أن تقوم التجارة فقط على نظام المقايضة. إذ كان يوجد منذ العهد الطينى كمية لابأس بها من المعدن الذى يحبه كل القوم.

ولم يجهل المصريون استعمال المعادن الثمينة مقياسًا لتقدير قيمة الأشياء. ويقول الأستاذ«برستيد» يحتمل فى بعض الأعمال التجارية وبخاصة التى كانت قيمتها عظيمة، أن كان النحاس والذهب يستعملان على هيئة خواتم لها وزن

معين كعملة. وفى وثيقة من عهد خوفو بين الكاتب تنتى الذى كان يبيع بيتا وبين الكاهن «كمابو» الشارى يقول «كابو» لقد اشتريت هذا البيت فى مقابل مكافأة للكاتب «تنتى» وقد أعطيته عشرة «شعت» فمعنى ذلك أن دفع عشرة الشعت معيارًا لتقدير قيمة بيت، أو أثاث ونسيج أو أى عقار مهما كان نوعه، وأثبت العالم «شنياه» فى بحثه أن «شعت» هو معيار قيمى يمثل وزنًا معينًا من المعدن الثمين.

تجارة مصر الخارجية وعلاقتها بالأقاليم المتاخمة

كانت هناك علاقات بين مصر وآسيا، وكانت تشحن البضائع فى السفن إلى مصر وأهمها الخشب، كخشب الأرز والصنوبر وخشب الوشح والبان والسرو، بالإضافة إلى أنواع الصموغ التى كانت تجلب من منحدرات لبنان، والعطور. كما كان يستورد المصرى زيت الزيتون والنبيذ، وكانت قبرص تورد النحاس لفراعنة مصر فى عهد الدولة الحديثة، وكانت هناك تجارة ما بين مصر وكريت.

وأقدم وثيقة عن ملاحة المصريين فى البحر الأحمر يرجع تاريخها إلى الملك «سحورع» أحد ملوك الأسرة الخامسة، وذهب المصرى إلى بلاد بنت. وكانت أول رحلة دونت هى التى أرسلت فى عهد الفرعون «سحورع» وقد دون فيها أنه قد أحضر إلى مصر المر ومعدن الإلكتروم، والأخشاب». وكان المصرى يجلب البخور والروائح العطرية والصموغ المقدسة التى كانت تفتقر إليها مصر.

وكانت العلاقات التجارية تجرى بدون عناء كبير بين لوبيا والواحات وشبه جزيرة سيناء وبدو صحراء العرب، وتم استيراد العاج والأبنوس من السودان بالإضافة إلى الذهب على هيئة تِبْر أو قطع، وريش النعام، وجلود الأسود أو الفهود، والبخور، والصمغ العربى، والقردة والنسانيس.

الفن:

هناك بعض الصور المنحوتة فى العاج أو على الأحجار الصلبة كحجر البازلت وغيره. وهناك أوان من الفخار والأحجار الصلبة كالديوريت والشيست والمرمر مما يدل على ذوق سليم، ويظهر فن المعمار فى المبانى الجنائزية من قبور ومعابد

وهياكل. أما المنازل فكانت تبنى من اللبن لأنه موصل ردىء للحرارة، ويعتبر هرم سقارة المدرج هو أول مبنى من الحجر واستعملت الأحجار المختلفة فى المبانى فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة، وكان استعمال الأحجار الصلبة سائرا نحو الرقى، وبخاصة فى إقامة العُمُد وتنوع أشكالها، ونقوشها، ونحتها. واخترع المصرى البكرات التى تستعمل لرفع الأحجار الضخمة، وقد عثر حديثا فى منطقة الأهرام على بكرة كاملة مصنوعة من حجر الجرانيت تدار بواسطة ثلاثة حبال.

جبانات هذا العصر ومقابره

كان يطلق العلماء على المقبرة المستطيلة الشكل لفظة «مصطبة» وكانت جدران المصطبة من كل نواحيها مملاة بكوى على هيئة أبواب أطلق عليها علماء الآثار «الأبواب الوهمية» أو «الأبواب الكاذبة»، وقد انحصر وضعها فى الجهة الشرقية فقط منذ الأسرة الرابعة. أما القرابين فتوضع فى حجرات صغيرة أقيمت حول حجرة الدفن. وقد وضعت هذه الأبواب من أجل القرين ـ الكا ـ

مقابر الملوك

عثر على أول قبر بنى للملك «زوسر» فى (بيت خلاف) القريبة من العرابة وقد وجد فيه حجرة مبنية بالحجر الجيرى. وفى الهرم المدرج بسقارة عُثر فى جوف الصخر الذى تحت مسطح الهرم على حجرة الدفن العظيمة المكسوة بالجرانيت، وعلى حجرتين مرصعتين بألواح صغيرة من القاشانى الأزرق كما عُثر على ردهة مكدسة بأكوام من الأوانى المصنوعة من المرمر، والإردواز، والديوريت، والبورنير وأحجار أخرى صلبة، ولم يكن القبر الملكى يشمل الهرم وحده بل كان لكل هرم معبدان.

كان المصرى يحبس الأوقاف ويعين الكهنة للإشراف عليها، وليكونوا فى خدمة الروح المادية «كا» (أى القرين) ويعدون لها الطعام كل يوم عند الباب الوهمى للقبر الذى كانت تخرج وتدخل منه كل يوم لتأخذ الطعام من مائدة

القريان. وخوفًا من أن يبلى جسمه أو يمزق فتضيع معالمه، وتضل القرين الطريق للوصول إلى معرفته، كان يصنع لنفسه تمثالا يعتنى فيه بدقة تصوير ملامح الوجه لتحل فيه القرين بدلا من الجسم الحقيقى، وكان يلجأ إلى فنون السحر وقوتها حتى تنقلب قوائم الطعام إلى صور حقيقية يتمتع بها فى آخرته. وكان يعتقد المصرى بأن الحياة الآخرة صورة مطابقة للحياة الدنيا.

نلاحظ ندرة ذكر اسم الفنان على أعماله، ونلاحظ أن التماثيل كانت توضع فى أماكن خاصة عرفت فيما بعد بالسراديب أو بيت «الكا» (الروح المادية) أما فى مقابر الجيزة فكانت توضع التماثيل فى حجرات بنيت خصيصًا لها وراء الباب الوهمى. ويوجد ثقب كان من وظائفه أن يوصل البخور لتمثال المتوفى.

تاريخ فن صناعة التماثيل إلى نهاية الدولة القديمة

أقدم تماثيل يرجع تاريخها إلى نهاية الأسرة الثانية وطول القدم الأيمن فكان يقدر بوحدة فقط، أما ارتفاع الجسم إلى الركبة فيقدر بوحدتين، إلى منبت الرقبة بخمس وحدات. أما التمثال الجالس فكان طوله خمس وحدات من أخمص القدمين إلى منبت شعر الرأس.

يحفر المثال أولا فى الصخر هيكل التمثال دون أن يبين أى تفصيل، ثم يظهر أعضاء الجسم بشكل مختصر دون أن يعطى لكل منها ما يميزها بالتفصيل ثم يظهر المثال ملامح الوجه بكل دقة.

والتماثيل الخشبية مركبة من أجزاء منفصلة عن بعضها. أما فى المعادن كالذهب والنحاس والبرنز، فكان يمكن صنع قطعة عظيمة واحدة. والأجزاء التى كانت تحتاج إلى عناية ودقة فى الصنع كالوجه واليدين والرجلين، تعمل لها قوالب خاصة تصب فيها. أما الجذع والذراعان، والفخذان فكانت تصنع بالطرق ثم تركب فوق قالب على الشكل المطلوب، وكان لابد أن يتعلم الفنان أشياء أخرى غير الرسم، كفن الكتابة، إذ كان التمثال عند الانتهاء من نحته ينقش عليه اسم صاحبه وألقابه.

تدرج فن النحت البارز فى الأسرة الأولى

مثالو هذا العصر كانوا لايزالون يعالجون صعوبة تمثيل الوجه الإنسانى فى وضع جانبى. وأحيانا يظهر قدمان يسريان أو قدمان يمنيان. وما يلفت النظر هو وضع اليد اليمنى والساعد فى بعض الأحيان على الصدر فى تماثيل الذكور، وعلى الثدى عند النساء، ويمكن التمييز بين الصناعة الملكية والصناعة الشعبية بسبب وجود تماثيل من صناعة خشنة.

ويعتبر تمثال الملك «خوفو» الصغير المصنوع من العاج أقدم تمثال عُثر عليه إلى الآن فى عهد الأسرة الرابعة. ويلاحظ أن أجمل تماثيل فى الدولة القديمة مصنوعة من الحجر الجيرى. ونجد اليد اليمنى موضوعة على الصدر أما اليسرى فموضوعة على الركبة مفتوحة، وكان وضع التمثال واقفًا هو السائد فى التماثيل المصنوعة من الحجر. أما التماثيل الخشبية فبعضها واقف وبعضها فى أوضاع مختلفة.

كانت أوضاع اليدين والذراعين فى كل التماثيل على ثلاثة أنواع فى ثلاثة عصور مختلفة (١) وضع اليد اليسرى أمام الجسم، وتلك كانت من مميزات عهد الأسرة الثالثة (٢) وضع اليد اليمنى أمام الجسم، وكان خاصا بتماثيل «خوفو»(٣) وضع اليد مقفلة على الركبة اليمنى فى التماثيل الجالسة واليد اليسرى مفتوحة(٤) هناك ملاحظة خاصة بتماثيل الدولة القديمة المصنوعة من الحجر، وهى أن كل تماثيل هذا العصر مقفلة اليدين، أو واحدة مقفلة والثانية مبسوطة.

ولقد تأثر الفنانون فى الأسرة الخامسة بفنانى «خفرع» و«منكاورع» وكانت مصانع الأهرام مدرسة عملية لكل الصناعات والحرف، وهى التى وضعت الأساس لإنماء فن النحت والعمارة فى العصور التى تلت.

الصناعات الدقيقة

لما كان المصرى يعتقد أن الحياة الآخرة هى صورة مطابقة للحياة الدنيا، فإننا نجد مع المتوفى كثيرًا من الأدوات المنزلية المستعملة وكذلك قطع الأثاث وقد

ازدهرت صناعة المجوهرات وصناعة المعادن وصناعة الأوانى من الحجر والفخار وصناعة الأخشاب فى الدولة القديمة، ونشأة الفن كانت لديه منفعة. ففن الرسم والتصوير والنحت كان الغرض منها السحر والدين، وقد استمرت هذه البواعث وهى المقصودة ولكن على مر الأيام تربى الذوق الفنى وأصبح الفنان يتذوق فنه فبرع فيه حتى بلغ القمة.

العلوم المصرية

يعزو المصرى كل ما وصل إليه من علوم ومعارف إلى الإله تحوت (إله القمر)، وبخاصة علوم الفلك والحساب والطب، ولا غرابة فى ذلك فإن الكهنة كانوا هم الطائفة المتعلمة فى البلاد. فأعمال الرى العظيمة وإقامة المبانى الضخمة كالأهرام والمسلات والمعابد وقطع التماثيل الضخمة يتطلب تعميقًا فى المسائل الميكانيكية العلمية، والهندسة التطبيقية والوثائق التى وصلتنا هى ورقة «مسكو» وورقة «كاهون» «وبرلين» تعطينا فكرة عن علم الرياضيات المصرى وورقة «أدون سميث الطبية» تعطينا فكرة عن تقدمه فى الطب، وورقة «رند» تحتوى على جداول لحل الكسور والحساب والمقاييس والأحجام المكعبة، وكتاب المسطحات، وكتاب زوايا الميل الهندسية والعمليات الحسابية الجمع والطرح والضرب والقسمة.

وتتحصر مميزات الفلك المصرى باختراع النتيجة المصرية، ويمتاز المصرى بقوة ملاحظاته وميله إلى الأشياء العملية وبعده عن الفلسفة ونظرياتها، كان فى (عين شمس) كاهن خاص لمراقبة سير الشمس يسمى الرائى العظيم، وفى المعابد كهنة لمراقبة سير النجوم. على أن تقسيم السنة إلى أشهر قمرية كل منها ثلاثون يومًا، أكبر دليل على معرفة تامة بمنازل القمر.

وتذكر متون الأهرام نوعين من النجوم: النجوم التى لا تفنى أى التى تكون دائما ظاهرة فى السماء، ثم النجوم التى لا تتعب وهى النجوم السيارة، وقد عرف المصرى من الأخيرة الخمسة التى ترى بالعين العارية وهى المشترى وزحل وعطارد والمريخ والزهراء، وعَمِل المزولة والساعة المائية، ويوجد بجانب علم

الفلك علم التنجيم. فلكل يوم ولكل ساعة إله حارس يتدخل فى أقدار الناس وحظوظهم سعيدة كانت أو شقية. وهناك أيام سعد وأيام بؤس (نحس).

الطب

المصريون كانوا أحيانا يشرحون الأجسام الآدمية، ورأيناهم يحنطون الجسم. والمصرى منذ فجر التاريخ كانت عنده فكرة واضحة فى الأمراض وأسبابها وطبائعها، وكان الإغريق يشيدون بذكر الأطباء المصريين ويتناقلون كتب طبهم ويحفظونها ليهتدوا بهديها، ونشأة الطب كانت فى الوجه البحرى وأهم مراكزه كانت المعابد وبخاصة معبد عين شمس ومعبد الآلهة «نيت» فى صا الحجر ومعبد الإله «أنوب» فى بلدة (ليتوبوليس) ومعبد الآلهة «باست» (القطة) فى تل بسطة وكان كاهن تلك الجهة يحمل لقب كبير الأطباء. وأقدم كتاب فى الطب يرجع تاريخه إلى عصر الملك «أوسانيس» (دن) من الأسرة الأولى. وفى فاتحة ورقة «إيبرس» (أول كتاب خاص بشفاء الأمراض) وجاء ذكر الدورة الدموية فى هذه الورقة. ومحتويات هذه الورقة وضَعَتْ الطبيب المصرى فى أول صحيفة الأطباء فى العالم من الوجهة الطبية.

التحنيط

برهنت ورقة «إدون سميث» على أن الجراحة الطبية كانت متقدمة تقدمًا عظيمًا منذ الدولة القديمة. وابتدأ التحنيط منذ الأسرة الثانية وذكر «هيرودوت» طرق التحنيط. وما كتبه «ديدور» يعطينا بعض تفاصيل لم يذكرها لنا «هيرودوت» فيذكر إزالة الأحشاء ماعدا القلب والكليتين وذكر لنا أيضًا «تنظيف الأحشاء بنبيذ البلح ومعه توابل مختلفة وقار. ويدلك الجسم بزيت خشب الأرز، ثم يمسح بالمر والقرفة ومواد مماثلة لتعطير الجسم وحفظه. والمواد التى ذكرها «هيرودوت» و«ديدور» و«بلينى» هى على وجه التقريب ما يأتى: شمع النحل، والقار والخيار شنبر، وزيت خشب الأرز والقرفة، والصمغ والحناء، وحب العرعر، والنطرون، والمراهم والبصل، ونبيذ البلح، والراتينج والملح، والنوشادر، والتوابل وقطران الخشب أو الزفت.

الكتابة

إن اختـراع مصـر للكتابة قد وضـعها فى مكانة ممتازة عن باقى أمم العـالم وجعل الحياة العقلية تنمو وتزدهر فيها. وهناك الأبجدية المصرية التى تكونت من أربعة وعشـرين حرفًا سـاكنًا،وبهذه الأبجدية كتبت كلمات قصيرة، كما أضيفت إلى الكلمـة الواحدة إشارة تدل على المعنى المقصـود. تعـودنا أن نسمى الكتـابه المصـرية «الإشـارات المقـدسـة» (هيـروغليـفى) وأن نسـمى نوعًـا آخـر خـاصًـا «الهيراطيقى» وهو لا يخرج عن كونه.. خط رقعة» للكتابة الهيروغليفية والفرق بين الاثنين كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد، وكان عندهم المداد الأسود الثابت اللون، وكان عندهم أقلام يتخذونها من القصب ويبرون أطرافها ويدببونها على حسب رغبـة الكاتب؛ وكان عندهـم فوق ذلك ورق ناعم جميل منتخب من لباب سيقان البردى.

أما الفرد الذى لم يكن فى مقدوره الحصول على ورق البردى فكان يجد فى قطع الخزف ما يسد حاجته. وينقص نظام الكتابة عدم وجود حروف متحركة. فالحروف الساكنة تعتبر عقبة لاحتمال وقوع التلاميذ فى أغلاط فى نقل المتون.

نظرة إجمالية فى تطور الأدب المصرى

إن المصرى لايلام على جهله بأدب بلاده العتيق لأنه منذ الفتح العربى اختفت لغة البلاد جملة وحلت محلها اللغة العربية وآدابها فأسدل الستار على لغة القوم وأصبحت نسيًا منسيًا ولم يبق للمصـرى مجال فى أن يدرس تاريخها أو أدبها وبخاصة إذا علمنا أن اللغة قد ماتت. وعندما حُلت رموز اللغة القديمة لم يعتن المصـريون بدرسـها بل تركوا مجال هذا الدرس للأوروبيين إلى عهد قريب جدا عندما بدأ نفر من المصريين يتعلمون لغة البلاد القديمة.

إن المصـريين فى عـهد تاريخهم الأول كـانوا قومًا لهم هبـات عقلية، وكانوا متوقدى العزيمة، ونشاهد ذلك بوضوح أكثر فى أعمال التصوير والنحت التى تبرز الحياة عندهم فرحة ناطقة، ونمت من بينهم من وجوه أخرى حياة عقلية وعـالم فكرى يبحث فيمـا وراء الأشـياء الدنيـوية ودائرة الدين ولقد حفظ لنا

التاريخ شيئا كثيرا من أعمال التصوير عند المصريين حتى استطعنا أن نكون عنها فكرة تكاد تكون ثابتة لا تقبل التغيير كثيرًا، على حين أن موقفنا بالنسبة للأدب المصرى - لسوء الحظ - لايزال مختلفا جدًا إذ ليس لدينا منه إلا شيء قليل - هناك دلائل تدل على أن العناية كانت موجهة إلى تنمية اللغة. فهى غنية بالاستعارات والتشبيهات أى أنها «لغة مثقفة» «لغة إنشاء وتفكير» للشخص الذى يكتب بها. ولكن يظهر أن الرقى التام للأدب المصرى القديم لم يبلغ غايته إلا فى العصر المظلم الذى يفصل الدولة القديمة عن الدولة الوسطى وكذلك فى عهد الأسرة الثانية عشرة المشهورة (١٩٩٥ - ١٩٧٠ق.م). ونلاحظ أن كتاب هذا العصر أقدموا على الكتابة فى موضوعات مهمة ولم يحجموا عن الخوض حتى فى المسائل العميقة.

ونلاحظ من جهة أخرى أن الديانة تأخذ مكانًا ثانويًا فى هذه الكتابة ولايكاد يذكر شيء فى هذه الكتب الأدبية عن كل الآلهة الذين كان المصريون يهتمون بهم كثيراً، ويظهر أن المثقف كان يرضى نفسه فى عالم فكره بالفكرة غير المحدودة «الله» (أى فكرة الوحدانية).

إن جزءًا عظيمًا من هذا الأدب القديم قد ضاع، وبالمصادفة المحضة قد وجدنا بعضه فى قبور التلاميذ مدفونا معهم. وفى عهد الثورة الدينية أيام «أمنحوتب الرابع» (أخناتون) بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة، ولم يستمر الأدب الجديد فى استعمال لغة الشعب، بل أصبحت لغة الفرد المهذب محلاة بألفاظ جميلة منتقاة، ثم ظهر أدب جديد يسمى بالديموطيقى. أما الكلمات الأجنبية التى كثرت فى كتابات العصر الأخير من الدولة الحديثة. فكلها تقريبا مستعارة من لغة أهل فلسطين ويمكننا أن نفترض أن «كنعان» قد تأثرت بمصر من ناحية الأدب كما تأثرت بها من ناحية النحت. وفى عصر متأخر بكثير نجد الأدب العبرانى قد تأثر بنوع من الكتابات المصرية كما فى المزامير ونشيد الإنشاد فى الأدب الحكيم عند العبرانيين. وليس من البعيد أن نكون قد تأثرنا نحن أنفسنا بالحياة العقلية المصرية.

إننا نجد من أقدم العصور فجوة عميقة تفصل المصرى المثقف المتعلم تعليمًا راقيًا عن عامة القوم. إن الكتاب المتعلمين قد أنشأوا الأدب المصرى، ولكن كان هناك أفراد يمارسون فنا أقل من فنهم مثل غناء الفلاحين والبحارة.

وكان الفلاح وصاحب المهنة فى مصر القديمة يستعين على عمله الشاق بغنائه المتواضع. وفى نهاية الدولة الحديثة ـ فى قصة «سياحة ونامون».

سنشاهد مغنية مصرية فى سوريا عملت على نشر الحضارة المصرية من هذه الناحية ولدينا قصص للعامة فى كل العصور تدل نغمتها ومحتوياتها على أنها من أصل قديم. لدينا قصة من العصر المسيحى فى مصر خاصة «بقمبيز» ولدينا قصة من العصر الإفريقى عن «نقطانب». وقد حفظ لنا هيرودوت مما كتبه حكاية ممتعة عن «ربزنيتس». وفى نهاية الدولة الحديثة نجد قصة «الملك تحتمس» وقصة ملك الهكسوس «أبوفيس» ومن أواخر الدولة الوسطى نقرأ قصص الملك «خوفو».

أوزان الشعر

كل ما يكتبه المصرى بلغة عالية يقع فى أسطر قصيرة متقاربة الطول ولو أننا لا نعرف شيئا عن نغماتها إلا أننا نرجح كثيرًا اعتبار هذه الأسطر أبياتًا شعرية منسوبة إلى وزن من الأوزان الشعرية؛ كمثال:

«فمك مفعم بالنبيذ والجعة،

والخبز واللحم والفطير؛

وتذبح الثيران وتفتح أباريق النبيذ،

والغناء الحسن أمامك»

والسؤال الغامض هو: ما الوزن الذى كان يتبعه المصرى فى صناعة الشعر؟

ولابد أن المقطوعات الشعرية المصرية المركبة من أربعة أسطر كانت تشبه فى نغماتها الرباعيات القبطية، ونلاحظ أيضًا تكرار المعنى بألفاظ مختلفة. فنجد

جملتين قصيرتين، معناهما متشابه أو واحد تتبع إحداهما الأخرى مثال ذلك: «القاضى يستيقظ»، «تحوت يجلس».

ومن يقرأ «تحذيرات نبى» التى يصف فيها بؤس زمانه فإنه يدهش حينما يرى أن هذا الشاعر لم يبذل أى مجهود فى ربط كلامه ببعضه بطريقة منسجمة. فهو شاعر، قلبه مفعم ببؤس بلاده فينفجر قلبه حينًا بهذه الشكوى، وحينا بتلك. وقد وجدت طقوس دينية قديمة جدًا لتقديم القرابين لوحظ فيها الجناس. ونجد أناشيد الصباح توجه إلى إله الشمس وإلى الصل الملكى أو الآلهة الأخرى.

تعاليم «بتاح حتب»

تعد تعاليم «بتاح حتب» أقدم مصدر فى أدب العالم صور لنا الخُلق المستقيم. والواقع أن حكمة «بتاح حتب» التى جاءت فى تجارب تلخص لنا كثيرا من الأدب الخلقى لهذا العصر. كمثال «لا تكن متكبرا بسبب معرفتك»ولا تثقن بأنك رجل عالم، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليه» و«إنك تفوز بالحياة بمساعدة الحق والصدق» و«كن أمينا فى تبليغ الرسالة» و«لا تصغرن من شأن أولئك الذين ارتقوا فى الدنيا». وتناول أيضًا معاملة الابن والتحذير من النساء والتحذير من الشراهة، وفائدة الزواج، والحذر فى الكلام، والكرم مع الأصدقاء، واحترام الرؤساء.

كان هناك أغان للعمال وأغان فى الولائم وهناك أشعار تأملية مثل الذى يتحدث فيها الشاعر عن قلقه وحيرته عن مصير الموتى فيقول «ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا ويخبرنا عما يحتاجون إليه لتطمئن قلوبنا قبل أن نذهب نحن كذلك إلى المكان الذى ذهبوا فيه»[١٧].

ازدهار الأدب المصرى فى العهد الإقطاعى

لقد كان لانحلال السلطة الملكية وتأليف مقاطعات صغيرة مستقلة فى نهاية الأسرة السادسة أثر عميق فى رجال الفكر الذين رأوا زوال ما كانت عليه البلاد من المجد والسؤدد والاتحاد وانحدارها إلى الانحطاط والفوضى والمشاغبات وقد

أسعفنا رجال الفكر بوثائق كشفت لنا عن حقيقة حالة البلاد النفسية والمادية والسياسية.. ويعد هذا العصر أزهى عصور الأدب فى كل تاريخ البلاد. فمن هذه: تحذيرات نبى - تعاليم الملك خيتى لابنه مرى كارع - شجار بين إنسان قد سئم الحياة وبين روحه (ورقة محفوظة بمتحف برلين) - شكاوى الفلاح الفصيح (انظر الأدب المصرى القديم).

الجيش والحروب

بقيت بلاد مصر فترة طويلة من الزمن هادئة مطمئنة فى مقر دارها فصحراء لوبيا كانت سدا منيعًا لكل غارة من جهة الحدود الغربية، والأقوام الذين كانوا وراء حدودها الشرقية والجنوبية لايحسب لهم حساب كخطر على تهديد سلامتها. وسواحلها الشمالية لم يأت إليها أعداء لهم أساطيل تمخر عباب البحر. والحروب الأولى قامت بين المصريين وبدو الصحراء وأهل بلاد النوبة والوثائق تلقى بعض الضوء على اشتباك المصريين مع الآسيويين فى حروب. وتدل الآثار على الحروب المستمرة بين الوجه القبلى والوجه البحرى.

وكان زوسر مؤسس الأسرة الثالثة هو أول من أنشأ جيشًا لحماية البلاد، ووُضعت حاميات ثابتة، وأقيمت الحصون. وفى عهد الملك «سنفرو» (الأسرة الرابعة) تدلنا الآثار على أنه بعد عودته من حملة عظيمة ضد الزنوج، أتم نظام حماية بلاده من غارات الأجانب ببناء قلاع فى الوجه القبلى والدلتا. ومعلوماتنا عن الأسطول فكانت فى الأسرة الرابعة (ومدير «بيت الأسلحة» فكان ينتخب من بين أعاظم علية القوم. ولم يطرأ تغيير يذكر فى الأسرة الخامسة وكان الجيش مؤلفًا من فرق تتألف منها فيالق، كلها تحت إمرة القيادة العامة، وكانت كل فيالق الجيش تخضع لقائد الجيوش العام.

ومنذ عهد الأسرة السادسة كان الجيش المصرى يشمل غير فيالق المجندين، عساكر مرتزقة، وكان قواد الجيش ينتخبون من بين أمراء البيت المالك، وكان الأسطول الحربى مجهزًا ببحارة محترفين وليسوا كجنود الجيش البرى مجندين.

ونجد لقب «مدير الأسطول» و «رئيس الأسطول» يحملها ضباط ذوو رتب عالية جدا.

وتدل النقوش على أن الجيش كان منفصلا تمامًا عن السلطة المدنية وقد كان القائد الأعلى فى الأسرة الخامسة عضوًا فى مجلس العشرة العظيم.

الإدارة الحربية

كان جيش مصر الثابت وجماعة ضباطه المحترفين، وقلاعه، وأسطوله يستلزم قيام إدارة مهمة لتصريف الأمور، وهى بيت الأسلحة. وقد كانت إدارته موكولة إلى أمير ملكى أو لزوج أميرة ملكية فكان بذلك بعيدًا كل البعد عن الإدارة المدنية. وفى عهد الأسرة الخامسة أصبح بيت الأسلحة مزدوجًا مثل الجيش: بيت للوجه القبلى وآخر للوجه البحرى، ويشمل بيت الأسلحة عدة مصالح وبخاصة مصلحة الأشغال، لذلك نجد أن كل قائد أعلى للجيش كان يحمل لقب مدير أشغال الفرعون، وكان الجيش مؤلفًا من مجندين، ومن نقوش «ونى» كانوا يأتون بالعساكر المجندين من الحصون والمدن.

جيش الجنود المرتزقة

كان يوجد فى مصر جيش من الجنود الموالية «نحس» وكان هذا الجيش يتألف من الزنوج أو بتعبير أدق من النوبيين ومن المحتمل من اللوبيين أيضًا. وكان قواد الجنود المرتزقة يقودون جنودهم مثل الضباط الآخرين إلى ساحة القتال، وكان الجيش مكلفًا بحراسة البعوث. وحدث انقلاب فى عهد «بيبى الأول» فى نظام الجيش بسبب انحلال الدولة، ونجد أن لقب القائد العام للجيش أخذ يختفى ولم يبق فى يد الفرعون إلا جيشه المرتزق الذى كان يقوده مدير القوافل، وكانت البعوث التى كان يرسلها الملك إلى خارج البلاد أو فى داخلها تجهز لأغراض ثلاثة (١) بعوث لأغراض جنائزية للفرعون نفسه (٢) بعوث تجارية (٣) حملات حربية.

وكان فى خدمة الملك اثنان من حاملى الخاتم الإلهى (الملكى) أما الموظفون المدنيون الآخرون فكانوا مديرى مبان ورؤساء عمال. أخيرًا كان يصحب البعثة عادة قاض أو موظف قضائى.

لم يكن فى مقدرة حكومة كل من الملكين «شيتى» و «بيبى الأول» أن توقف التيار الذى كان يدفع البلاد المصرية نحو الانحلال والانقسام. والواقع أنه كان فى قبضة الحكومة فى ذلك العهد جيش حسن الإدارة. وقد حافظ الجيش على وحدته الحربية حتى عهد «بيبى الثانى» وإذا اتخذنا نص «ونى» أساسًا لحالة الجيش فى عهد الأسرة السادسة، فإنه أصبح جيشًا إقطاعيًا محضًا، ورؤساء المرتزقة كانوا أكبر سند لسلطان فرعون.

الجيش فى العهد الإهناسى

كانت حروب مصر فى عهد الدولة القديمة ضد اللوبيين فى الشمال الغربى من حدودها، والنوبيين فى الجنوب وبدو سيناء فى الشرق، يختلف اختلافا بينا عن حروب الشعوب المجاورة لها كأمم غرب آسيا، إذ كانت الأخيرة تشن الغارات للحصول على القوت أو لاستغلال الأراضى، وكانت مصر تصد غارات القبائل المجاورة وتأديبهم بسبب تقدمها فى الحضارة. وما لديها من الأسلحة وحسن نظام فنونها الحربية، لكن الفوضى سادت فى مصر خلال الأسرتين السابعة والثامنة.

وقد أنقذ البلاد أسرة هراكنبوليس (إهناسى) فى مصر الوسطى فكان أول عمل أنهم طردوا الغزاة وقاموا بتحصين الحدود المصرية، ويقول لنا «سنوهى» عندما فر من معسكر الجيش موليًا الأدبار: «ثم أسلمت الطريق إلى قدمى متجهًا نحو الشمال ووصلت إلى «جدار الأمير» الذى أقيم لصد الآسيويين ووجود الجيوش المنظمة فى المقاطعات كان بسبب الاضطرابات التى استمرت عشرات السنين فى داخل البلاد بين الأمراء أنفسهم وبينهم وبين الفرعون. والواقع أن العصر الإهناسى هو أول مظهر من مظاهر النشاط والرجولة الحربية التى أخذت تنمو فى البلاد تدريجيًا.

الأسرة فى عهد الدولة القديمة

تدل متون الأهرام أن الآلهة كان يرث بعضها بعضًا كبنى البشر ومن نص «ياوزير أنت ابن» جب «الأكبر وبِكْره ووريثه» يتقرر بصراحة نظامٌ للأسرة يظهر

فيه الابن الأكبر بأنه هو وارث والده بعد وفاته ونلاحظ مساواة المرأة للرجل فى عهد الأسرة الثالثة، وأن الأولاد كانوا يرثون عقار والديهم بالتساوى من غير تفرقة فى أنصبتهم ودون أن يميز بين الذكر والأنثى. ونجد الزوج يوصى لزوجته بشىء من ممتلكاته تفوق غالبًا نصيب أحد أولاده والأسرة نفسها تجلت فى أضيق حدودها، إذ كانت تتألف من الأب والأم والأطفال. وهناك إمارات تدل على فكرة الفردية.

ويحتمل أن الملك كانت له محظيات وإن كان تعدد الزوجات معدوما بين عظماء القوم وعامة الشعب. والأولاد هم الوراثون الشرعيون وكان أولاد المتوفى يحلون محل والدهم فى عقاره. وفى عهد الأسرة السادسة نرى «حرخوف» يقول إننى لم أفصل بين أخوين بطريقة تجعل الابن يُحرم من ميراث والده».

الشعائر الدينية واستمساك الأسرة بعروتها

تدل الدلائل أن الأسرة فى الأصل كانت تؤلف وحدة متماسكة متجمعة لإقامة الشعائر الدينية للجد الأكبر البعيد،ولما اختفى هذا المظهر أصبحت إقامة الشعائر فردية مستقلة. ومن الطبيعى أن يحدث تفكك الأسرة تطوراً فى الشعائر الدينية، وذلك بالتوجه شطر الفردية التى وجدناها فى الأسرتين الثالثة والرابعة، فنشاهد أن لملكات الأسرة الرابعة قبورًا منفصلة عن قبور الملوك.

تطور نظام الأسرة فى عهد الأسرة الخامسة

الملك الإله كان يمنح كهنته المقربين ميزات عدة إذ كان يغدق عليهم دخلاً جنائزيًا ويهبهم لوحات مأتمية ومقابر وضياعًا دخلها كاف لإقامة شعائر المتوفى، وكان أولاد المقربين يربون فى القصر مع أولاد الملك.

وكان قانون الوراثة المصرى يقضى بتقسيم ممتلكات الوالدين بين أولادهما. والضياع الجنائزية الموهوبة لمن يحمل لقب المقرب خاضعة كذلك لقواعد وراثة الحقوق العامة، إذ لابد أن تقسم بين أولاد المقرب ووقف المقرب لا يتجزأ، لذلك تم انتقال وقف المقرب إلى يد أسرته بإدارة ابنه الأكبر. أما فى الأملاك الأسرية الأصلية فلم يكن للابن الأكبر عليها أى سلطان.

وفى عهد الأسرة الخامسة كان المقربون للملك يؤلفون طبقة أشراف حقيقية لها امتيازاتها: وكان المقربون يحتكرون أوقاف الآلهة أيضًا، وأخذت إقامة شعائر الأسرة الجنازية تنظم شيئًا فشيئًا حول الضياع الوراثية الموقوفة من ذلك - بقاء إقامة الشعائر فردية رغم الصرف عليها من ضيعة واحدة، وكانت الزوجة والأولاد الذين كانوا كهنة جنائزيين لوالدهم يرون أن إقامة شعائرهم مشتركة مع شعائره وذلك بفضل الجزء الذى يمنحه إياهم من دخله الجنائزى.

ولدينا وصية «وب إم نفرست» وقد كتب أمام وجهه عملت الوصية فى حضرته وهو على قيد الحياة، وكذلك نقش بخط كبير فوق الشهود العبارة الآتية : «كُتبت فى حضرة شهود كثيرين ودونت بيده» وتعتبر هذه الوصية من أعظم الوثائق التى وصلت إلينا من عهد الأسرة الخامسة فهى تدلنا على علاقة أفرادها بعضهم ببعض.

أما فى الأسرة السادسة فكانت الأسرة تؤلف وحدة شرعية إذ للابن الحق الشرعى فى الإشراف على ثروة الأسرة، والزوجة خاضعة لسلطان زوجها وتخول لها صفتها الزوجية حق الاشتراك فى إقامة شعائر زوجها مما لم يكن فى مقدورها الحصول عليه فى عهد الأسرة الخامسة إلا بوصية. والإرث كان يتغير من جيل إلى جيل فكان يُقسم أحيانًا وأحيانًا يزداد بإضافة ضياع جديدة.

وأصبحت المرأة سيدة البيت بحكم القانون لاغير، وأصبح الرجل يعطف عليها بعد أن سلبها حقوقها، أكثر من قبل فكان «تى» يلقب زوجته بالزوجة المشغوف بها زوجها. أما نساء الحريم فلم يكن زوجات شرعيات، إذ لم نجد فى القبور أسماء محظيات ولا أسماء أولادهن قط. والحقيقة أنهن لم يؤلفن جزءًا من الأسر؛ لأن أولادهن لم يكونوا شرعيين ولاينسبون إلا إلى أمهاتهم.

تطور مركز الأسرة فى عهد الأسرة السادسة

تطورت الأسرة وتجمعت تحت سلطان فرد واحد، وقد صار هذا التطور نحو الوحدة الأسرية يزداد على مر الأيام حتى وصل إلى قمة الكمال فى عهد الأسرة السادسة، وأصبح الابن الأكبر الأمين على أملاك الأسرة من ذكور وإناث. ومن

قضية «سبك حتب» نستنتج أن الزوج أصبح له سلطان شرعى على زوجته إذ مجرد تعيين وصى عليها وعلى أولادها لإدارة أملاكه يفهم منها أنه كان المسيطر على أملاكه مدة حياته، ولاشك أن التطور التشريعى كان السبب الوحيد فى تماسك أعضاء الأسرة وتكوين وحدة منها، بل إن عدم استتباب الأمن فى هذا العصر والحاجة لحماية الأرامل والأيتام كان من العوامل التى ساعدت على تقوية أواصر الأسرة وتماسك أفرادها وتضامنهم أمام أى خطر يهددهم، وأصبحت الأسرة وحدة اجتماعية تحت سيطرة الأب. ويلاحظ تفضيل الذكر على الأنثى. وكان المتوفى يدون نسبه قبل أن يدون ترجمة نفسه بأن يكتب «إنه المحى لذكرى أسرته ونسلها، والأمين على عقارها والكاهن الذى يقيم شعائرها».

وتطورت الملكية أيضًا فبعد أن كانت فردية مستقلة أصبحت أسرية والبنات كان لهن حق الإرث فى العقار الموقوف، وترث أيضًا الأملاك غير الموقوفة ولكن يدير شئونها زوجها أو ابنها. ولاتدخل الأملاك الخاصة فى عقار الأسرة، ويغلب على الظن أن معظم العقار المنقول كان يئول إلى المرأة إذ دل الكشف على أن الحلى الثمينة من الذهب والأحجار الكريمة كانت توجد عادة مع الإناث أكثر من وجودها مع الرجل.

وفى مقبرة رئيس كهنة الروح «فيفى» نجد مثلاً على الباب الوهمى كلا من «فيفى» وزوجته «حتب حرس» أمام مائدة قربان وقد رسم خلف الأب ابنه الأكبر ورسم خلف الأم بنتها الكبرى وكل منهما يقدم قربانا للأب وللأم. وقد رسم كل زوج بحجم واحد فالابن والبنت رسما متساويين والزوج والزوجة رسما بحجم واحد.

ويلاحظ أن أولاد المحظيات لا يؤلفون جزءًا من الأسرة والأولاد الذين يولدون عن طريق غير شرعى ليس لهم أى حق فى وراثة أملاك والدهم. أما دفن أفراد الأسرة فى مقبرة واحدة فلم يحدث إلا من جيلين. ويحل الابن الأكبر محل الأب عند وفاته، والزوجة كانت تمثل بحجم زوجها فى غير المناظر الرسمية. وفى الدولة القديمة فى مقبرة «مرى رع» كان له حريم على غرار حريم الملك، من

زوجات شرعيات، وليس من بينهن إلا واحدة تحمل لقب الشرف، وقد امتازت بأن مُثِّلت بجانبها زوجها.

إنه فى عهد الدولة القديمة كانت تحفظ مكانة عظيمة للأب والأم اللذين كانا فى أغلب الأحيان معروفين. إن الوراثة والبنوه وإقامة الشعائر كلها على حد سواء كانت مرتبطة بنسل الأب فى عهد الدولة القديمة، وإن كان فى نقوش قبر «بحرى» أظهر نسبه من جهة أمه وزوجته والسبب فى ذلك ظاهر هو أن «بجرى» لم يكن له إلا جدًا واحدًا عريقًا فى النسب وهو «أحمس» والد أمه فانتسب إليه للفخر به لا أقل ولا أكثر. ويبدو للفاحص المدقق أن لا علاقة لهذا بالأمومة أو البنوة من جهة الأم، فلكل أمر ملابساته وظروفه.

* * *

الجزء الثالث

الدولة الوسطى

تمهيد الجزء الثالث

أبان لنا معول المنقب صفحات مجيدة فى حياة القوم الاجتماعية والزراعية والدينية والصناعية فى هذه الفترة لم نحظ به فى عصر آخر. **وإذا قرأنا رسائل «حقا نخت» وجدنا أمامنا صورة حية عن حياة الفلاح المصرى.** وإذا فحصنا محتويات مقبرة «مكت رع» وجدنا صفحة مجيدة نقرأ فيها حياة القوم الاجتماعية بكل مظاهرها من صناعة وفنّ ونجارة وشئون منزلية وزراعية واقتصادية، ونعرف لأول مرة فى تاريخ العالم قيمة الكلاب فى الحروب والدور الذى كانت تلعبه. أما الأسرة الثانية عشرة، وهى العصر الذهبى لمصر الخالدة فمسلسلة الحوادث.

لقد قام شعب مصر بعد سقوط الدولة القديمة بأول ثورة اجتماعية على الأغنياء والملوك، وطالب بالعدالة الاجتماعية والدينية فنال ما أراد، وبذلك سجل أول انتصار للإنسانية فى ميدان النضال لنيل الحرية الشخصية والمساواة بينه وبين الحكام الغاشمين، مما أفضى إلى مساواته فى عالم الآخرة بالملوك، وقد تأسست الأسرة الثانية عشرة بفضل حاكم عادل يظهر أنه من أسرة شعبية بل من أم نوبية (سودانية)، فسارت البلاد بخطى واسعة نحو التقدم التجارى والصناعى والفنى، وازدهر الأدب ازدهارًا عظيمًا وبدأت الفتوح المظفرة فى الشمال والجنوب، فكان ذلك إيذانًا بتأسيس إمبراطورية عظيمة لم تلبث أن امتد

سلطانها على كل أرجاء العالم المتمدن فى الدولة الحديثة، كما أن الثقافة التى عمت البلاد فى هذا العصر كانت وليدة التربة المصرية نفسها، والتفكير المصرى ذاته، فآدابها وفنونها وصناعاتها وديانتها وطرق حياتها ونظم حكمها تضرب بأعراقها إلى أصل مصرى بحت.

وتوثقت العلاقة بين مصر وبلاد النوبة فى عهد «الدولة الوسطى» حتى وصلت الفتوح المصرية فى هذه الجهة إلى ما بعد الشلال الثالث على يد «سنوسرت الثالث» الفاتح العظيم... وامتاز هذا العصر بما جاء عن عالم الآخرة فى متون التوابيت. ولم يلتفت معظم المشتغلين بالآثار إلى هذا الكتاب الذى أسموه **«كتاب الطريقين»** ولقد خصصته بعنايتى لأوجه الشبه الكبيرة بينه وبين الخرافات التى نقرؤها فى الكتب القصصية عن الجنة والنار، ولأنه يكشف عن ناحية من النواحى العقلية عند القوم ويُبيِّن تصوراتهم الفلسفية عن عالم الآخرة الذى لا يفوز فيه إلا من آمن وعمل صالحًا.

مقدمة:

الأسرة الحادية عشرة

فى العهد الذى نجحت فيه أسرة حكام «هيراكليوبوليس» (إهناسيا المدنية) فى اغتصاب السلطة من آخر ملوك «منف» الضعفاء، كانت هناك أسرة أخرى فى الصعيد تنمو وتترعرع فى مقاطعتها التى كان يطلق عليها اسم «واست» (الأقصر الحالية). وكانت عاصمة «واست» تسمى «إيون» الجنوبية أى (عين شمس) الجنوبية، وموقعها الآن بلدة «أرمنت» الحالية. والإله «منتو» (إله الحرب) هو إله المقاطعة، ولكن كان يذكر فى هذه الأماكن الإله «أوزير» وكذلك الإله «مين» الذى كان يمثّل بعضو التذكير منتشرًا. ولم نسمع قط بذكر الإله «آمون» حتى عام ٢١٤٠ ق.م.

وحسب الرواية التى يرويها مؤلف ورقة «تورين»، فقد انتهت الدولة القديمة فى عام ٢٢٤٢ ق.م.، وهو تاريخ بداية الدولة الوسطى، وتدل كل الشواهد على أن جد سلالة أمراء «طيبة» وهم الذين أصبحوا فيما بعد ملوكًا فيها كان يسمى «انتف» وكان أميرًا معروفًا للخاص والعام لدرجة أن «تحتمس الثالث» الذى خلفه على عرش مصر بعد ثمانمائة عام بنى فى معبده بالكرنك قاعة خاصة لأجداده ونقش أسماءهم عليها، وكان أول اسم نقشه على جدرانها للأسرة الحادية عشرة

هو: الحاكم والأمير الوراثى «أنتف»، وقد كشف «مريت» عن لوحة جنائزية لهذا الأمير، وقد نقش عليها بعد الصيغة الدينية: الأمير الوراثى والحاكم العظيم لمقاطعة «واست» (طيبة).

سهر تاوى أنتف ٢١٤٣ - ٢١٤٠ ق.م.

ويعتبر «سهر تاوى أنتف» فى نظر التاريخ الأمير الأول من الأمراء الستة الذين تتألف منهم الأسرة الحادية عشرة وهم الذين حكموا نصف البلاد قبل مجىء الأسرة الثانية عشرة بما يقرب من ١٤٣ سنة أى منذ نحو سنة ٢١٤٣ ق.م إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وقد كان أول حاكم طيبى كتب اسمه داخل طغراء، وكان مناهضًا للفرعون الذى كان يحكم البلاد فى «أهناسيا المدينة» و «منف» فى تلك الفترة.

واح عنخ. أنتف حوالى ٢١٤٠ - ٢٠٩٠ ق.م.

ولا شك أنه أحد أبناء «سهر تاوى». ولم يترك من مخلفاته إلا لوحة واحدة وقد عثر عليها «مريت» عام ١٨٦٠ ولكنه تركها فى مكانها ومعظمها مهشم. أما لوحة الموظف العظيم «تتى» الذى عاصر هذا الملك ففيها ما يمكن أن نستشفه فى هذا الملك وهذا العصر بالإضافة إلى أشياء تخص «تتى» نفسه.

ويتحدث عن إخلاصه لمليكه فى مقاطعة طيبة - أى من الفنتين إلى العرابة المدفونة - وعن نفسه قائلاً: «لم أحدث تقصير أستحق عليه عقابًا، لأننى كنت حازمًا؛ موضع ثقة حقيقية عند سيدى، وحاكمًا غاية فى العقل هادئ الأخلاق فى بيت سيده، ولم أتعود البحث وراء الشر الذى بسببه تكره الرجال، وإننى إنسان يحب الخير ويكره الشر وشخصية محبوبة فى بيت سيدها، وإنسان تعود أن ينفذ كل واجب حسب إرادة سيده، وإذا وُلّيت عملاً مثل تحقيق شكاية، أو فحص ملتمس إنسان فى حاجة كنت عادلاً، ولم أكن متغطرسًا لما أوتيته من ثراء، ولم آخذ شيئًا اختلاسًا لأجل أن أنهى عملاً».

ويحدثنا «تتى» بأنه كان المشرف على الأشياء الثمينة الخفية التى كانت فى حيازة هذا الملك، وأنه هو الذى كان يعلم المكان الذى أخفيت فيه مما يشعر بثقة


البحر المتوسط
رشيد
ابو قير
الاسكندرية
العلمين
دمياط
رفح
العريش
الاسماعيلية
وادي العريش
السويس
سينا
وادي سرابيط الخادم
بركة قارون
القاهرة
الواحة البحرية
المنيا
بني حسن
البرشا
اسيوط
البدارى
واحة الفرافره
سوهاج
اخميم
ابيدوس
قفط
القصير
الاقصر
طيبة
الواحات الداخلة
الواحات الخارجة
اسنا
الكاب
ادفو
كوم امبو
اسوان
الجندل الاول
البحر الاحمر
خريطة مصر
ميل

خريطة مصر

الملك به، وكذلك بأن الملك فى خوف على متاعه الثمين الخاص مما يدل على اضطراب الحال فى البلاد. وكذلك يحدثنا «تتى» بأن العظماء كانوا يدفعون ضرائب، وأن الملك كان يقوم بنفسه ليحاسبهم على ذلك إذا خالف واحد منهم الأوامر، ونعرف أيضًا بأنه فى عهد الدولة الوسطى قام رجال الإصلاح يطالبون بالعدالة الاجتماعية، وتحدث عن ثورة المقاطعات. وتحدث أيضًا عن حفر ترع عندما كانت البلاد كلها قاحلة ثم تكلم عن رعايته لسكان مقاطعته فى وقت القحط.

أما مقاطعات الشمال فقد انتشرت فيها الفوضى والعصيان، ويحدثنا أحد حكام المقاطعة المتأخرين (مقاطعة الأرنب - الخامسة عشرة فى الوجه القبلى) وهو «نحرى» بأن العصيان قد حدث قبل قيام الثورة فى الجنوب مما يدل على تبجح حكام المقاطعة ويحدثنا عن شهامته فيقول: «خلصت الضعيف من القوى، وجعلت من بيتى حصنًا لمن أصابهم الخوف يوم النزال». ويصف لنا أحد كبار القوم ويدعى «تحوت تحت» عن دوره فى إنقاذ المدينة التى كان بها فيقول: «وكنت حصنًا فى «شديت شا» يأوى إليه كل الناس، وكنت إنسانًا ترتعد الناس منه».

وبقدر ما كانت عليه أسيوط من أمن ودعة كان الفزع يغزو الجهات التى فى أعلى النيل مما استوجب تأديب العصاة.

نخت نب تب نفر. أنتف ٢٠٩١ - ٢٠٨٨ ق.م.

لم يمكث على العرش إلا مدة قصيرة بعد تتويجه. وتم دفنه فى جبانة «طيبة الغربية فى مكان بين مقبرة والده ومقبرة ابنه».

سعنخ. أب. تاوى. منتوحتب ٢٠٨٨ - ٢٠٧٠ ق.م.

كان ترتيبه الرابع فى ورقة تورين - وفى نفس الوقت كان الفرعون «واح. كا. رع. خيتى» ملك هيراكليو بوليس يتقدم فى السن. وقد أخذ على نفسه أن يتنحى جانبًا ليكتب طائفة من التعاليم وتجارب الحياة التى مارسها لينتفع بها ابنه - «مرى كارع» - وقد كان من رأيه أن الخطر الأعظم لا يحيق ببلاده إلا من الأجانب النازحين من «آسيا» ومن ثم لا يستحق مثل العناية التى توجه إلى الشمال لنزح

أولئك الآسيويين. ولذلك نراه يحض ابنه على أن يترك (طيبة) تسلك طريقها وبخاصة بعد أن ألحق بها هزيمة نكراء فأصبح السلم مخيمًا على ربوع البلاد. وليس لدينا ما يدعو إلى عدم تصديقه. ويقول لابنه: «حافظ على مهادنة الجنوب الذى يأتى إليك محملاً بالهدايا ... وطالما يأتى إليك الجرانيت دون عائق فلا تحدث تلفًا بآثار الآخرين، واقطع أحجارك من محاجر طرة.. وإذا كانت تخومك من جهة الصعيد فى خطر كذلك من جهة البدو الذين يتمنطقون بالحزام ويجب عليك أن تقيم حصونًا لصدّهم فى مصر السفلى». ولم نعثر على آثار لمنتوحتب إلا خاتمًا من حجر ستا يتيت على شكل عجل جاثم على الأرض.

نتر حزت (وفيما بعد) نب حبت رع منتوحتب (الثانى)

٢٠٧٠ - ٢٠١٩ ق.م.

ظل فى الحكم واحد وخمسين عامًا، ويظهر أن أملاكه لم تكن واسعة فى مستهل حكمه؛ لأن والده كان قد فقد «طينة» والعرابة. وقد كانتا من أملاك أمراء «طيبة» منذ أيام جدّه الأكبر «واح عنخ». ولا نعرف شيئًا عن الحروب التى أدت إلى القضاء الأخير على سلطان ملوك «هيراكليو بوليس» بعد مضى ١٨٠ سنة من بداية تربعهم على عرش البلاد. وفى متحف القاهرة توجد لوحة عُثر عليها فى «ذراع أبى النجا» نقش عليها «حور نتر حزت» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب حبت رع منتوحتب».

وقد أقام لزوجاته الستة (هنهنب - كاويت - كمسيت - عاشيت - مايت - ساره) ستة هياكل فى صف. وهذه الهياكل كانت تتألف من مجموعتين كل مجموعة ثلاثة هياكل، وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تنتحل لنفسها لقب المحظية الملكية الفريدة، وكذلك كانت تلقب كل منهن بكاهنة الإله «حتحور». وكانت «حتحور» تلقب بإلهة الغرب وإلهة الحسن إلهة الجبل، وكان إظهار «حتحور» بصفتها الأم الإلهية للملك كما كانت من قبل أم «حور» التى أرضعته فى مناقع الدلتا (أى أنها تمثل الإلهة إيزيس).

والمناظر والرسوم التى وجدت تشبه ما وجدناه فى جدران مقابر الدولة القديمة ومعابدها مما كان ينقله المصرى من مناظر الحياة الدنيا إلى قبره، بالإضافة إلى صيغ دينية وأدعية أو بعض ألقاب المتوفى، والبقرات التى كانت تدر لبنًا سائغًا، والخيرات التى يُعتقد أن الأميرة ستتمتع بها فى الحياة الآخرة. والتابوت الخشبى الذى وجد داخل التابوت الحجرى فإن ما رسم عليه من الزينة كان خاصًا بعالم السحر، هناك قوائم التعاويذ والصيغ الدينية اللازمة لروح المتوفى حتى تفلت من الأخطار والشراك التى نصبت لها فى العالم السفلى. وفى مقبرة عاشيت هناك وثيقة مصرية مهمة فى العادات الجنائزية.

نهاية الحروب بين هيراكليو بوليس وطيبة

وتدل قرائن الأحوال على أن ختام الحروب بين طيبة وهيراكليو بوليس كانت سنة ٢٠٦١ ق.م. وليس لدينا معلومات صريحة مباشرة عن سير القتال منذ أن استطاع أمراء ضم مقاطعة «طينة» إلى ملكهم ولذلك لا نعلم شيئًا قبل الهجوم العام الذى قام به «منتوحتب» الثانى وهو الهجوم الذى أدى إلى توحيد البلاد كلها وجعلها تحت سلطانه.

استعمال الكلاب فى الحروب:

كان الكلب فى مصر القديمة كعادته حيوانًا أليفًا كما كان يدرب على فنون الحرب، ومناظر الجنود الرماة وكل منهم بيده مقود كلب، فإن الكلب كان يساعد سيده فى الموقعة فيستخدم لاقتفاء أثر العدو أو مهاجمته. وهذا الاستنتاج يخول لنا أن نفسر بطريقة مقنعة فاصلة سبب وجود الكلاب - من فصيلة الكلاب السلوقية - بكثرة فى لوحات العهد الإقطاعى الأول.

لوحة الجنود النوبيين:

فلوحة «تحنو» تمثل اللوحات الأسرية التى تسودها روح المحبة الخالصة وأفرادها كلهم جنود من النوبيين.

الحياة الحربية فى هذا العصر:

كان يوجد فى هذا العصر أسر بأكملها من النوبيين يعملون فى الجيش المصرى فى المملكة الجنوبية وبينهم من الود والإخاء ما نطقت به أوضاع صورهم على اللوحة التى مثلوا عليها.

استمرار الحروب بين الشمال والجنوب:

من النقوش الموجودة على اللوحات نستنبط أن مصر لم تكن قد وضعت السلاح مباشرة بعد أن سمى «نب حبت رع» باللقب الرنان «موحد القطرين».

الاحتفال بعيد سد:

(أى عيد الثلاثين) وبعد الاحتفال ابتدأ بنحت مقبرة ضخمة أخرى وهى المعروفة الآن بباب الحصان. وقد شاءت الأقدار أن يبقى هذا القبر بعيدًا عن الأنظار مدة تقرب من أربعة آلاف سنة إلى أن كشف عنه حديثًا. وقد وجدت لوحة فى وادى شط الرجال على بعد ٣٥ كيلو مترا جنوب «إدفو».

والملك «منتوحتب» الثانى الذى لا يحتاج إلى تعريف قد حكم البلاد على أقل تقدير نحو ٥١ عامًا، ويعد حكمه أطول حكم فى هذه الأسرة، وفى عهده توحد القطران ثانية. ووجدت عدة صور لأشخاص معه مثل الكاهن المطهر، ولكن أهم شخصية هو «مكت رع» مدير المحاكم الستة العظيمة. وقد عُثر على قبره بين بلاط الملك (سعنخ كارع) (منتوحتب الثالث).

زوار شط الرجال فى عهد الأسرة الثامنة عشرة:

إذا كان زوار «شط الرجال» فى العصر الإقطاعى قليلين فإنهم كانوا أندر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة رغم النشاط العظيم فى محاجر الحجر الرملى العظيمة، والنقوش التى لدينا كلها فى وادى (شط الرجال) بعيدة عن النهر، فلا نعتبرها تسجيلاً لرحلات نهرية، بل يمكن تفسير نقوش (شط الرجال) الخاصة بالملك «منتوحتب» وحاشيته بأنها تسجل قافلة صحراوية كالتى قام بها «حرخوف» و «بيبى نخت» و «سبنى» فى عهد الدولة القديمة. ومما لا نزاع فيه أنه فى أوائل حكم هذا الملك ـ فى سنة ضرب الأراضى الأجنبية.. فى عهد «نب -

حبت - رع» - قام الملك «منتو حتب» بحملة بنفسه بين الشلال و «كلبشة» حسبما جاء فى نقوش «دهميت» التى نقشها «ثيهامو» وكان ضمن رجال الجيش المصرى فى ذلك العصر.

بعض آثار من عهد الملك منتوحتب الثانى:

وبعد الرحلة التى قام بها هذا الفرعون إلى «شط الرجال»، أتى حامل خاتم الملك ورئيس الخزانة خيتى، وأتى موظف يدعى «ماعت» وأتى مدير مالية الملك «ببى»، وهناك عدة لوحات جنائزية عن عصر هذا الفرعون. وتوجد لوحتان لموظف يدعى «خيتى».

مبان هذا الفرعون فى طود:

كان هناك معبد صغير من اللبن وعُمده من الجرانيت ويرجع تاريخه على أقل تقدير إلى الأسرة الخامسة، فلما تولى «نب حبت رع» أعاد بناء هذا المعبد المتهدم للإله «منتو». وعلى جدران المعبد مناظر تمثل الفرعون واقفًا أمام الإله «منتو» والإلهة «سانت» ثم الإلهة «نخبت» والإلهة نيت ربة «سايس». وأهم منظر فى هذا المعبد الصغير هو الذى يظهر فيه «نب حبت رع» وأجداده الثلاثة من الأناقة (أى أنتف) يقدمون قربانًا للإله المحلى «منتو».

آثاره فى طيبة:

بنى معبد للإله «منتو» ومعبد للإله «أوزير» كما ترك آثار فى بلده (دير البلاص) وفى العرابة المدفونة.

إقامة المعبد الجنائزى بالدير البحرى

شرع الملك «نب حبت رع» قبل توحيد الأرضين فى بناء معبده الجنائزى فى سفح الصخور الواقعة فى «طيبة» الغربية. وقد كان فى عزمه أن يتسع فى عمارته ليكون أعظم معبد قام ببنائه واحد من أسرته غير أنه إلى وقت فتحه للدلتا والاستيلاء عليها لم يكن أقام فى بناء هذا المعبد إلا جدارًا عظيمًا أمام ردهته وشيَّد ستة محاريب فوق المقابر الستة التى نحتت لنسائه، ولكنه بعد فتح الدلتا أحدث تغييرات أساسية فى تصميم هذا المعبد، وهذه التغييرات لم ينقطع

معينها مدة الأربعين عامًا التالية من حكمه. وقد وجدنا فى ورقه «أبوت» اقتباسًا يدل على أن هرم الملك «نب حبت رع بن الشمس منتوحتب» الذى فى «جسر» (المكان العالى أى الجبانة) وجد سليمًا. وقد قام اللورد «دفرين» بحفائر بالقرب من هذا المكان، ويقال إن من بين القطع التى فى مجموعته تمثال للملك «نب حبت رع» ومن النقط المهمة التى تسترعى الأنظار أن مرور الاحتفال بقارب آمون المقدّس كان يعرقله وجود الهرم فى وسط قاعة العمد المسقوفة. وفيما بعد أى عندما وضعت الأسرة الثانية عشرة النظام لحج الإله عندما تسلم أمنمحات الأول مقاليد الحكم كان الدير البحرى مسرحًا لهذا الاحتفال، وقد كان «أمنمحات» متأثرًا تأثرًا عميقًا بتصميم هذا المعبد ولذلك نجد أن هرمه فى اللشت قد وضع على رصيف مقصورته الأصلية التى كانت عبارة عن مبنى صغير من اللبن فى أسفل جانب الهرم الشرقى.

أما ضريح هذا الفرعون، فعلى بعد عدّة أمتار جنوبًا وشرقًا نحت مدخل باب الحصان وله ممر تحت الأرض وقد كان تصميمه يؤدى إلى حجرة تحت الهرم على مسافة ١٤٠ مترًا نحو الغرب. وقد وجد داخل المعبد نحو ٢٣ مدفنًا منها ثلاثة لم يكن قد تم صنعها بعد. من بينها أربعة لرجال واثنا عشر لنساء ويحتمل أن المدافن الباقية كانت لنساء أيضًا.

مقبرة الأميرة «نفرو»:

وفضلاً عن الأمير «أنتف» الذى كان مدفونًا خارج الردهة الشمالية كان يوجد عضو آخر من الأسرة المالكة قد حفر قبره فى الصخرة الشمالية قبل أن يقام أى جدار من الجدران المصنوعة من اللبن وهو «الأميرة» أكبر بنات الملك من جسده، زوج الملك المسماة «نفرو» التى وضعتها «أعج»، فلم تكن بنت الملك «سعنخ أب تاوى» وشقيقة «نب حبت رع» وحسب بل تزوجت هذا الأخير أيضًا، وكذلك عثر على خيط منفرد من الخرز سقط من اللصوص.

لوحة «خنوم أردو»:

يشير صاحب هذه اللوحة أنه كان أمين مكتبة الملكة «نفرو كايت» التى قد ورثتها عن أمها.. حق؟ إن هذه اللوحة تعتبر كشفًا جديدًا عن المرأة المصرية وقيمتها الأدبية فى هذا العصر الذى كان قد بدأ الكتاب يتسابقون فيه بتنسيق الألفاظ من جهة والدعاية إلى عهد جديد قوامه العدالة الاجتماعية من جهة أخرى. وبذلك يمكننا أن نقول بحق إن المرأة قد أسهمت فى هذه النهضة بل أكثر من ذلك كانت من العمد التى قامت عليها النهضة وذلك بتسهيل البحث للكُتّاب الاجتماعيين.

مقابر الأشراف:

وتدل الحفائر التى عُملت حديثًا على أن وادى الدير البحرى كان مقسمًا بين أشراف هذا العصر بما يحتويه من مقابر عدة منحوته فى الصخر. فهناك مقبرة الوزير «داجى» وغيره من النبلاء وهناك تماثيل خشبية.

من حجرة تحنيط الوزير «إبى» نجد منسوجات وعقاقير وزيوت عطرية، ونشارة وأوان من الفخار عديدة تفوق ما يحتاج إليه عادة لتحنيط الجسم. وقد استحضر كل ذلك فى هذه الحجرة استعدادًا لليوم الذى سيحنط فيه، يضاف إلى ذلك أنه وجدت كذلك مغسلة من الخشب طولها سبعة أقدام وعرضها أربعة أقدام وهى فى شكلها تشبه المشرحة الحديثة.

وكان يعتقد أن ما يعسر على المحنط القيام به وتعجز عنه مقدرته ومهارته يستطيع الكهنة أن يدركوا تحقيقه بما لديهم من التعاويذ السحرية، فمثلاً كان يمكن للساحر فى هذا العصر أن يصنع مومياء سحرية من الشمع ويقرأ عليها تعاويذ خاصة فتنقلب إلى الصورة الحقيقية التى تمثلها، وتعتبر التماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع هى السابقة لتماثيل المجاوبين التى انتشرت فيما بعد مع فارق أن الأولى كانت تصنع لتمثل المتوفى نفسه، أما الثانية فكانت لتمثل خدّامه الذين كانوا يقومون بالعمل المفروض على الشريف للإله «أوزير» فى عالم الآخرة، ولذلك سمى كل منها «مجاوبًا» لأنه يحل محل سيده فى القيام بما فرض عليه من الأعمال التى تحتاج إلى عناء ومتاعب جثمانية.

ما يوضع مع المتوفى

أما القرابين التى كانت توضع فى المقابر فكانت تحتوى على رءوس وأفخاذ وضلوع من لحم البقر وكذلك كانت توضع فى المقبرة نماذج للنساء حاملات القربان آتيات بالمؤن فى سلات، كانت تعد قوارب ليقوم المتوفى بسياحاته حتى لا يحبس الروح فى القبر طويلاً، وكان يوجد القوس والسهم الطويلان. وأحياناً كان يعثر على دمية من الخشب مسطحة مثل المجداف وعليها نقط مستديرة من الطين على خيطان لتمثل الشعر.

وقد عُثر على نماذج آلات وأزميل حقيقى تركه حجَّار خطأً. ومن الأدوات الخاصة بالرجال التى عُثر عليها فى هذه المقابر المحْبرة والورق، وكذلك جعارين نادرة وأشكال أخرى للأختام. أما أدوات النساء فقد عثرنا منها على صاجات على هيئة العصا السحرية نحتت من أسنان فرس البحر.

وكذلك عثر على حيوانات خرافية لتطرد الشياطين الذين جبلوا على محاربة الأطفال. ووُجدت نعال مصنوعة من الجلد أو نماذج نعال معمولة من الخشب. ووجدت مرايا وصناديق للزينة والعطور وأوانى الكحل ووسادات الرأس. وهناك أخشاب عطرية كانت تطحن لتكون عطورًا.

لقد عاش الأمير «أنتف» بكر أولاد «نب حبت رع» حتى جاوز سن الكهولة ثم وافاه القدر المحتوم قبل والده، ولذلك آل الملك لأخ له يُدْعى «منتوحتب» وقد اشترك «منتوحتب» هذا فى الحروب والغزوات التى شنّها والده على ملوك «هيراكليو بوليس» إذ نشاهده فى منظر من مناظر معبد الدير البحرى مرسومًا خلف والده مباشرة، بوصفه ابن الملك «منتوحتب» فى ملابسه الحربية ويحمل بلطة وقوسًا.

وعلى إثر وفاة والده تقلد الألقاب الفرعونية المعتادة وأسلوب الملك مسميًا نفسه «خور - سعنخ تاوى - إف» «الذى يجعل أرْضَيْه تَحْيَيَان وصاحب الإلهتين» «سعنخ تاوى إف» و، حور الذهبى «حتب» (السلام) ملك الوجه القبلى والبحرى، سعنخ كارع (الذى يجعل روح رع تعيش)، ابن الشمس «منتوحتب» وفى القرون التالية كان اسمه ذائع الصيت فنجده فى نقوش الكرنك يسمى «الإله الطيب رب الأرضين، وسيد القربان سعنخ كارع» المبرأ - وقد ذكرت هذه التسمية بعد ذكر اسم (نب حبت - رع) مباشرة. وقد ظهر اسمه كذلك على لوحة «يتيزى» التى عثر عليها فى مقبرته بسقارة، وفى ورقة «تورين» نص عنه أنه حكم اثنتى عشرة سنة وقد كانت أعوام سلام وهدوء إذ كان قد انقضى على السنين الأولى الطافحة بالعصيان والثورات من حكم (نب حبت رع) جيل، وخلفها عهد سكينة واستقرار

استمتع به «سعنخ كارع» حينما تولى العرش وكان وقتئذ يناهز الخمسين من عمره، وقد كان يذعن لأخيه الأكبر «أنتف» الشطر الأعظم من حياته هذه بعد توليته الملك.

أعماله:

أقام معبدًا فى الفنتين، وأقام بعض المبانى فى «أرمنت»، وفى «الطود» بنى جزءًا كبيرًا من معبدها، وفى الكرنك عُثر على جزء من تمثال صغير من المرمر له.

بعوثه إلى بلاد بنت ووادى الحمامات.

أرسل فى السنة الثامنة من حكمه القائد «صخر» - حامل ختمه - فى بعثة إلى بلاد «بنت» فسار بجيش يبلغ عدده نحو ٣٠٠٠ مقاتل واتخذ طريقًا حفر فيه عدة آبار حتى وصل إلى البحر الأحمر وكذلك جهز سفينة هناك قامت بالرحلة إلى بلاد «بنت» وعادت محملة بالتحف التى أحضرتها من هذه الأقطار، وفى عودته إلى البلاد المصرية مرّ «بوادى الحمامات» واستخرج منها الأحجار النادرة وحملت إلى مصر.

حالة البلاد الزراعية والاجتماعية

إن الأوراق التى عثرنا عليها فى مقابر طيبة تضع أمامنا صفحة مجيدة عن الحياة الأسرية والحياة الزراعية والاجتماعية فى ذلك العصر الغامض وفيها تلميح عن نواحى الحياة الدينية، ولذلك وجدنا أن نثبت بعض محتوياتها هنا ليرى المصرى الحديث التشابه العظيم بين حياته الحالية وحياة أجداده منذ أربعة آلاف سنة مضت. كان المصرى رغم تشككه الدينى فى هذا العصر وتحوّطه للمحافظة على قبره، لايزال يبذل عن سخاء محافظة على بقاء روحه المادية (كا) فيجهز القبر بكل ما يحتاج إليه.

وقد أسعد الحظ الأستاذ «ونلك» فعثر على بعض الأوراق بعد أن مضى عليها أربعة آلاف عام وكانت تعد من المهملات، وقد وجدنا فيها أن كاهن الروح الطيبى الأصل كان يفكر فى أشياء أخرى خارجة عن نطاق الأمور الدينية التى تصوّرها

لنا دائمًا بعض مناظر القبور، وأول مهملات من هذا النوع عثر عليها كان فى شق طبيعى فى مغارة صغيرة بالقرب من مقبرة «حور حتب» بمقابر الدير البحرى إذ عثر على بعض من الفخار كتب عليها كاهن الروح مذكرات بقطعة من الفحم وكذلك عثر على قطع بردى وكتب عليها أناشيد دينية.

رسائل (حقا نخت)

يمكننا أن نعتبرها أبسط وأصدق صورة صوّرها المصرى بنفسه عن حياته الريفية بكل ما فيها من محاسن ومساوئ، كان يلزم كاهن الروح «حقا نخت» أن يقوم برحلات متعددة طويلة الأمد فى الدلتا، وفى أثناء انتقالاته هذه كان ينوب عنه ابنه الأكبر «مرسو» فى الإشراف على ممتلكاته الواقعة فى «طيبة». وكذلك كان يقوم بدلاً عنه فى كهانة الروح فى مقبرة «إبى» على أن «حقا نخت» المسن لم يهمل الكتابة لأسرته مدة غيابه فى الوجه البحرى وقد كان فى غربته يهتم بإدارة بيته فكان يكاتب ابنه، وقد عثر على هذه الرسائل ضمن المهملات، وتعد أوراق «حقا نخت» من أهم الكنوز التى عثر عليها فى حفائر «طيبة» من عهد الأسرة الحادية عشرة، كانت للأسرة ضيعة بعيدة عن «منف» وأخرى بعيدة عن «طيبة» وقد كان السفر فى تلك الفترة إلى «منف» متعبًا، وكانت زيارات «حقا نخت» لهذه الضياع تستغرق نحو ثمانية عشر شهرًا أحيانًا، ولذلك كان يرتب أعماله الأسرية بدقة وعناية قبل الشروع فى السفر، وقد عين ابنه الأكبر «مرسو» مديرًا لأشغاله فى بيته ونائبًا عنه فى كهانته مدة غيابه، و «مرسو» هذا هو الذى أحضر هذه الوثائق لدرسها وقت فراغه من أعمال الكهانة فى مزار المقبرة.

إننا نجد بيانًا عن الخبز، وعن المحصول الذى كان يقدر بنحو ٥,٥ مكيال (بوشل) من الشعير والشوفان، وأنه أرسل مقدار ٥٠٠ بوشل من القمح، نجد تحذيرًا من إغراق الأراضى. وفى السنة التالية كان الفيضان منخفضًا فأرسل فى خطابه «البلاد كلها تموت جوعًا، ولقد وصلت هنا فى الجنوب وقد جمعت لكم كل ما يمكن من طعام، أليس النيل منخفضًا؟» ثم يقدم قائمة بأسماء الأفراد الذين تتألف منهم أسرته ويحدد النصيب الذى يستحقه كل واحد منهم من الطعام ثم يستأنف الكلام قائلاً: «ويجب عليكم ألا تغضبوا لما يحدث إذ الواقع

أن البيت كله بما فيه من أطفال عبء عليّ وكل شيء ملكي، وأن عيشة التقشف خير من الموت كلية، والإنسان لا يمكنه أن يتكلم عن القحط إلا إذا كان هناك قحط فعلاً، وعلى أي حال فإن الناس قد بدءوا يأكلون الرجال والنساء».

وعن المعاملات والمقايضة فإنه يطلب من ابنه «مرسو» أن يذهب مع شخص من بلدة «برحاعا» لزراعة حقلين من أرض مستأجرين على أن يأخذ قيمة أجرهما من المنسوجات التى نسجت هناك، وبعد بيعها يدفعان إيجار الأرض بثمنها وطلب منه أن يستشير شخصًا يدعى «رع نفر» فهو الذى يستطيع أن يرشده للأرض الجيدة السهلة الري ويخبره «أن جراية الشهر هى أردب من الشعير» وأنه سيعطى أسرته نصف أردب آخر من الشعير فى أول الشهر». وعرفنا من الخطابات مبادلة المحصول بزيت وحدد القيمة «ولابد أن يعطى مقابل كل أردبين من الشعير أو ثلاثة من الشوفان مكيالاً «حبت» من الزيت» ونعرف عن المقايضة أيضًا بأن «حقا نخت» كان يرسل لشخص آخر ٥ أرطال من النحاس ليدفع بها الإيجار المطلوب منه، ونعرف عن العلاقات الأسرية بالإشارة إلى محظيته ويلومهم قائلاً: «وما الذى يمكن أن تعمله محظيتى ضدكم وأنتم خمسة أولاد»؟ ثم يهدد «من يسيء إلى محظيتى فهو عدوى وأنا عدوه؛ وأفهم أن هذه هى محظيتى ومن المعلوم أن محظية الرجل يجب أن تعامل معاملة حسنة» ثم يكرر لهم «كيف يمكن أن أعيش معكم فى دار واحدة إذا لم تحترموا محظيتى إكرامًا لى؟».

آثار الملك سعنخ كارع

بقى لنا عدد محدود من الآثار الصغيرة التى تحمل اسم الفرعون «سعنخ كارع» ففى سقارة عثر له على تمثال محفوظ الآن فى «متحف اللوفر» ويقال إن له كذلك خاتمًا من الذهب نقش عليه «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى» «سعنخ كارع» محبوب «منتو» رب طيبة، وعُثر على خرزة كرّية الشكل لونها أزرق قاتم تحمل اسمه أما معبد الفرعون فكان يتألف من جدار رخيص ملتو، بُنى من اللبن.

مقبرة مكت رع

إن محتويات هذه المقبرة قد كشفت لنا عن صفحة مجيدة فى حياة القوم الاقتصادية والصناعية والدينية بشكل مجسم مما لم نكن نحلم به فى هذا العصر البخيل بآثاره، وصاحب المقبرة موظف كبير، والظاهر أنه عاش فى عهد الملوك الذين خلفوا «منتوحت الثانى»، ورغم أن المقبرة وجدت منهوبة فقد عثر فيها على حجرة سرداب لم يمس بعد.

كان السرداب شائعًا فى عهد الدولة القديمة ومخصصًا لحفظ تماثيل المتوفى فى بادئ الأمر، ثم أخذ القوم بالتدريج يضعون فيه مع تمثال المتوفى بعض أفراد أسرته أو خدمه. ويرجع الفضل فى بقاء هذه المجموعة لنا إلى مهندسه الذى عاد إلى اتباع طريقة بناء السرداب كما كان الحال فى عهد الدولة القديمة مما لم يتنبه إليه اللصوص الذين تعودوا نهب القبور فى هذا العهد. ولذلك أفلتت من أيديهم هذه المجموعة الفذة لفائدة العلم والتاريخ. وبلغت النماذج التى وجدناها فى المقبرة أربعة وعشرين، جهز بها «مكت رع» قبره لتقوم بحاجياته فى الحياة الآخرة، وأهمية هذه النماذج أنها صور مجسمة من الحياة اليومية بعيدة عن الفكرة الدينية المحضة التى كانت الوازع فى عمل الأثاث الجنازى.. فهناك مثلاً بنتان واقفتان على جانبى السرداب وتحمل كل منهما قربانًا، فإحداهما على رأسها سلة فيها لحم وخبز وفى يد كل منهما أوزة حية، وتمثالا هاتين البنتين مصنوعان من الخشب بنصف الحجم الطبيعى.

ومَثَّل «مكت رع» طريقه تسمين الثيران فى الحظيرة، وذبح الثيران وتجفيف لحمها، واهتمامه بالحبوب التى كانت تُعدّ لطعامه، وصناعة الخبز والجعة، نشاهد امرأتين تطحنان القمح، ورجلا يضع أقراصًا من عجين يلوكها آخر فى وعاء، وبالقرب منه نجد العجينة التى تركت لتختمر فى أربعة قدور.

وهناك الأشغال اليدوية مثل النسيج والنجارة. فهناك مجموعة نساء يغزلن وينسجن فى حانوت. وفى حانوت النجارة هناك آلات النجارة وصندوق ضخم يضم الآلات اللازمة ففيه مناشير وقواديم وأزاميل ومخاريز. وهناك بيته

وحديقته. كما توجد نماذج سفنه المختلفة. والقوارب التى تقلع نحو الجنوب تنشر فيها أربعة من الشراع، أما فى العودة فتخفض السارية ويلف الشراع. على سطح السفينة ويشتغل الملاحون بالمجاديف لأنهم يسيرون مع تيار النهر. وهناك قاربان يصيدان السمك.

الحروب الداخلية. ٢٠٠٧ . ٢٠٠٠ ق.م.

كانت السنوات السبع عهد فوضى؛ تطاحن فيها سنوسرت الوالد المقدس و «نب تاوى رع» وغيرهما على تولى العرش الذى فاز به الأخير مدة وجيزة ثم انتزعه منه «أمنمحات الأول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة. وأرسل هذا الملك بعثة بقيادة «أمنمحات» الوزير العظيم إلى وادى الحمامات لجلب الأحجار. ومن النقوش فى وادى الحمامات نعرف أن «نبتاوى رع» هو منتوحتب الرابع.

لوحة الوزير «أمنمحات»:

تحدث فيها عن مناقب سيده وعن صفات الوزير ذاته، ولم يكن «أمنمحات» هو الوحيد الذى قام بحملات فى الصحراء فى عهد «منتوحتب»، بل كان هناك بعثة القائد سعنخ.

وقام «سعنخ» - قائد جنود الصحراء - بحملة فى تلك الصحارى حتى وصل إلى البحر الأحمر وأحضر معه أسرى من البدو ليستعمروا واحة (سليمة) وكذلك أحضر معهم ماشيتهم وبذلك أصبح كل الإقليم الجبلى والصحراوى الواقع فى الشرق تحت إدارة مقاطعة «منعات خوفو» (بنى حسن) فى مصر الوسطى.

ومنذ ذلك العهد أصبحت البعثات التى ترسل إلى بلاد «بنت» المشهورة وقتئذ بروائحها العطرية وبالبخور لا تذهب عن طريق السويس كما كان الحال من قبل بل صارت تخرج من قفط إلى وادى حمامات ثم البحر الأحمر حيث أسست ميناء «ساوو» (وادى جاسوس الحالية الواقعة فى شمالى القصير). ويعتبر منتوحتب الرابع أول من استغل وادى الهودى الذى كان يجلب منه حجر الجمشت (الأماتيست).

نظام الحكم فى العهد الإقطاعى الأول

مقدمة:

إن أقدم عهد إقطاعى معلوم لنا من النقوش المصرية هو العصر الذى جاء بعد تفكك الدولة المتحدة التى قامت فى مصر فى عهد الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة، ثم بدأ عصر الانحلال فى أوائل الأسرة السادسة، وتحولت المديريات القديمة إلى إمارات وراثية قامت على الأعطية التى كان يهبها الملك الأمراء المستقلين الذين لم يكن له سلطان عليهم منذ سنة ٢٥٠٠ ق.م. اللهم إلا السلطة الشخصية التى كان للملك على أتباعه. وهذا العصر الإقطاعى يمتدّ من أواخر الدولة القديمة حوالى سنة ٢٤٧٥ إلى بداية الأسرة الحادية عشرة حوالى سنة ٢١٤٠ ق.م. وفى هذه الأثناء كانت الوحدة المصرية فى طريق التكوين ثانية تحت حكم أسرة كانت ينتخب ملوكها على ما يظهر، ولكنها أصبحت فيما بعد وراثية فى عهد الأسرة الثانية عشرة حوالى ٢٠٠٠ ق.م. وقد حلت هذه الأسرة بدلاً من الإقطاعيات المفككة التى كانت تتألف منها البلاد فكوّنت مملكة إقطاعية متحدة مهدت السبيل إلى الدولة الحديثة التى بدأت بالأسرة الثامنة عشرة حوالى سنة ١٥٨٠ ق.م. والواقع أن هذا العهد الإقطاعى منذ الأسرة الثامنة إلى العاشرة بقى مجهولاً لنا.

عراقة مدنية الوجه البحرى:

كانت الدلتا مدنًا يشتغل سكانها بالتجارة البحرية والنيلية وبالصناعة، ومن أجل ذلك كانت أغنى البلاد المصرية وأكثرها سكانًا وأعرقها حضارة، ولوحة الملك «نعرمر» الذى يختلط اسمه باسم الملك «مينا» لها أهمية عظيمة جدًا فى موضوعنا هذا. فقد مثل هذا الملك وهو يضرب عُصاة الدلتا مرتديًا تاج الوجه القبلى وهؤلاء العصاة هم أناس يسمون بالمصرية «رخيت» (سكان المدن) وهم من الخوارج.

وتوحيد مصر فى عهد «مينا» لم ينتج عنه تهدئة الأحوال فى مدن الدلتا نهائيًا، وذلك لأن ذكرى استقلالها القديم كان يعاودها، فكانت تقوم بثورات ضدّ السلطة الملكية، وأخيرًا قضت الأسرة الثالثة على كل مقاومة من ناحية هذه المدن فلم تعد تجد أثرًا (لعشرة الرجال) الذين كانوا يحكمونها منذ أربعة أجيال مضت.

والظاهر أن هذه المدن كانت لاتزال تحتفظ بعض الشىء باستقلال قضائى ومالى يختلف عن الجهات الزراعية فى البلاد، ويلاحظ أن الأسرة الرابعة بعد أن ركزت السلطة الملكية فى يدها، كان الوزير يلقب بلقب جديد وهو «مدو رخيت» أى رئيس المدنيين، ولما كان الوزير هو القاضى الأعلى فى البلاد فإنه عُنى بمد سلطانه حتى على سكان المدن .

محكمة العدل العليا:

وحدت الأسرة الرابعة الأنظمة الإدارية فى البلاد كلها، وأنشأ ملوك الأسرة الخامسة فى «منف» محكمة ستة المجالس وهى محكمة عليا يرأسها الوزير. وأصبح (سكان المدن) منذ ذلك الوقت تحت سلطانهم كباقى المواطنين الآخرين. والحاكم كان لا يقوم بالعدالة فى مقاطعته إلا بصفته رئيسًا لمجلس أشراف. ومن المحتمل أن هؤلاء لم يكونوا فى المدن إلا خلفًا (لعشرة الرجال) الذين كان فى أيديهم قبل حكم «مينا» إدارة الحكومة فى كل مدينة، وفى عصر الأسرة التاسعة نرى عشرة الرجال الذين شاهدناهم فى لوحة «نعرمر» كانوا يحكمون المدن قبل

السلطة الملكية فى يد (مينا) مما يعنى عودة الحكم الديمقراطى إلى الدلتا فى العهد الإقطاعى، وظهر عشرة الرجال ثانية فى متن تعاليم الملك (خيتى) لابنه «مريكارع».

تعاليم مريكا رع

نعلم من هذا المتن أن الملك الإقطاعى كان قبل كل شىء كاهنًا أعظم، على أنه وإن كان سلطانه من جوهر إلهى فإنه لم يكن بإله كما كان الفراعنة العظام فى عهد الدولة القديمة، أما ميزة الملك الرئيسية فإقامة العدل، ولكن ما أبعدنا فى متون «خيتى» عن النظام القضائى الفاخر الذى كان سائدًا فى الدولة القديمة، فمحكمة ست القاعات المقامة فى «منف» وهى التى كان يشرف عليها الوزير وتصدر الأحكام باسم الفرعون قد اختفت وحل محلها الملك نفسه يعمل قاضيًا فى قصره. أما القصر فلم يعد بعد يطلق عليه اسم البيت العظيم (برعا) الذى كان مقرّ الملك يحيط به حاشيته وعظماء ضباطه وجمع غفير من موظفيه، بل كان مجرد قصر الملك «خنو» أى بيته الخاص، وكان الملك يجلس فيه وسط حاشيته المؤلفة من أتباعه الذين يقيم معهم العدالة فى البلاد.

نزاهة الحكم والعدالة:

من الضرورى أن يكون عظماء حاشيته مستشارين مخلصين له وقضاة نزيهين فى أحكامهم، ولذلك كان من واجب الملك أن يجعلهم من أهل اليسار لأن «جيتى» يقول لابنه: «إن الرجل الذى لا يحتاج إلى شىء فى مأمن من أن تشترى نفسه بالمال».

ويجب أن يكون الملك متعلمًا تقيًا، وكان مجلس (عشرة رجال الجنوب) يؤلفون نوعًا من مجلس عشرة العظماء الإقطاعيين. والمزارعون أو الفلاحون تحولوا فى أواخر الأسرة السادسة إلى مستأجرين.

تقسيم الدلتا إلى مراكز ديمقراطية:

وكانت الدلتا خلافًا لمصر الوسطى مقسمة بين العظماء وتتألف من مراكز. لكل مركز مدينة عظيمة تُتخذ حاضرة له: وفى كل من هذه المدن كانت السيادة

فى أيدى عشرة رجال وكان الحاكم يستمد إيراده من الضرائب المختلفة. أما الكاهن فكان له حقل (أى أن الكاهن كان له حقل بصفة مرتب يستغله هبة وراثية). وعند وصف أتريب (بنها) ذكر المتن بأن بلاد الدلتا تنتج القمح بلا قيد ولا شرط. وهذا القمح ملك لمن يزرعه.

ولقد كانت هذه هى الميزة الأساسية لبلاد الشمال، والمدينة كانت بالنسبة للملك كإقطاعية أى أنها ليست تابعة لأى أمير إقطاعى، فالمدن كانت منظمة جمهورية تتمتع بحكم ذاتى وتحت سيطرتها الأراضى المنبسطة، وسكان هذه المدن كانوا يتألفون من مواطنين أحرار، وكانوا قابعين تحت أسوارهم، وفى قبضتهم الأراضى المنبسطة. أما مصدر حياتهم فكان التجارة، وسكان المدن من الطبقة الوسطى. والملك وإن لم يكن يضرب الضرائب على أهل المدن، فإنه كان له عليهم نفوذ تشريعى إقطاعى الصِّبْغة، فالقاضى كان يُحْضرهم أمام محكمته ويحكم عليهم.

تكوين جيش الفرعون:

إن المدينة تقدم للملك فرقًا عسكرية من المجندين. فإذا كان أمراء الإقطاع كما نفهم من نقوش أسيوط لهم جيوشهم الخاصة فإن الملك كذلك له جيشه الذى كان يهتم دائمًا بزيارته. ولا شك فى أن الملك كان يفرض خدمة عسكرية خاصة على سكان المدن.

وفى جزء آخر من المتن يفسر لنا الملك كيف تنتهز الفرصة لإجبار المدن على الخضوع، وذلك أن المدن كانت دائمًا فى حروب مستمرة فيما بينها، فمثلاً نجد أن «أتريب» لأجل ألا تقهرها «أهناسيا» حاضرة الملك، قد أقامت سدًا ضدها، وهو سد فى عرض النهر لوقف الملاحة وإجبارها على التسليم والخضوع.

وحوادث الثورة الاجتماعية وهى التى تعرف باسم (تحذيرات متنبى) ففيها نرى الشعب يقتل الأشراف ويخرب دواوين المساحة ويتخلص من نير الملكية القديمة، أما تعاليم «مريكارع» فتحتل على ما يظهر مكانة تاريخية ذات أهمية ممتازة، فاللوحات التى من عهد ما قبل التاريخ تثبت وجود الحكم الذاتى فى

مدن الشمال قبل عهد «مينا» ووثائق الأسرة السادسة والعشرين تبرهن على الصبغة الأصلية للمدينة الصاوية التى نمت فى الدلتا بعد العصر الإقطاعى الثانى (الأسرة ٢١ ـ ٢٥). أما تعاليم «خيتى» التى وصفت لنا الحياة فى المدن المصرية بأنها حياة صاخبة قوية فتبرهن لنا أن هذه الحياة قد ظلت فى خلال أربعة آلاف عام محورًا يدور حوله نظام الحكم، ويرجع به إذا اقتضى الأمر إلى نظام الإقطاع فى وادى النيل، ويجعل من هذه المدن المتحضرة جُزرًا تسود فيها حرية ما بفضل التجارة والملاحة التى تربط بينهم.

الأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ - ١٧٨٧ ق.م.

مقدمة:

أمنمحات الأول ٢٠٠٠ . ١٩٧٠ ق.م.

لدينا مصادر تاريخية تشير إلى وجود صلة دم بين «أمنمحات» مؤسس الأسرة الثانية عشرة وبين ملوك الأسرة الحادية عشرة. وقد جرت التقاليد فى التاريخ المصرى القديم ألا يتولى عرش الفراعنة إلا من يجرى فى عروقه الدم الملكى الخالص، فالشعب المصرى كان يميل إلى التمسك بأهداب الماضى. من أجل ذلك لم يعتمد «أمنمحات الأول» فى استيلائه على العرش على القوة وحدها، بل أذاع أسطورة بين القوم قوامها نبوءة لحكيم قديم بظهور مخلص منتظر للبلاد وصاغها الكاهن المرتل «نفر روهو».

وتقول النبوءة «سيأتى ملك من الجنوب اسمه «أمين» وهو ابن امرأة نوبية الأصل سيوحد البلاد وينشر السلام فى الأرضين (يعنى مصر)» والفرعون الجديد ليس من سلالة البيت المالك القديم. وأشار المتنبئ «إن العدالة ستعود إلى مكانتها، والظلم سُينبذ بعيدًا».

نشأة أمنمحات وعبادة الإله آمون:

من مدلول اسمه «أمنمحات» (آمون فى الأمام) نلحظ أن أسرته كانت تنتمى إلى عبادة الإلة آمون، وكان ملوك الأسرة الحادية عشرة يقدسون الإله «منتو» إله الحرب ويمزجون اسمه فى اسمهم «منتوحتب».

ومنذ ذلك الفرعون أخذ ثالوث مدينة «طيبة» يزداد شهرة ويتألف من الأب وهو «آمون» ومن الأم وهى «موت»، ثم من الابن وهو «خنسو» أى «القمر» وكلهم حسب الاعتقاد المصرى إله واحد، أما الآلهة الآخرون فأخذوا يتضاءلون أمام هذا الثالوث، اللهم إلا الإله «أوزير» إله الآخرة. كما أن كهنته لاحظوا أن الإله «رع» أى الشمس كان أعظم الآلهة المصرية نفوذًا وعظمة فمزجوا اسم «رع» «باسم» «آمون» وأصبح يسمى «آمون رع».

مقر الملك الجديد:

اتخذ الملك عاصمة جديدة «اث تاوى» (اللشت) الحالية ومعناها (مراقبة الأرضين). وأمكنه بفضل كفاءته فى إدارة البلاد بعد طول الفوضى أن يكون المصلح المنتظر، وتلك المقدرة التى ورثها عنه أخلافه ميزت هذه الأسرة وجعلتها أقوى أسرة مصرية، حكمت البلاد فى كل عصورها بمقدرة فذة وكفاية منقطعة النظير، حتى أصبح عصرها يعرف بالعصر الذهبى فى تاريخ الديار المصرية، وبخاصة من حيث الإدارة والأدب والفن:

ومن أجل الحد من شوكة الحكام الوراثيين أخذ يضمهم إلى جانبه بالحظوة والوعود الخلابة. وبفضل سياسته الحاذقة تركت الأسرة الثانية عشرة ذكرى لعصر كان نظامه الإدارى غاية فى القوة والرخاء.

آثاره المندثرة وما بقى منها:

فى تانيس عثر على عتب باب منقوش باسمه، وبقايا معبد فى «تل بسطة»، وفى «منف» مائدة قربان للإله «بتاح»، وبقايا تماثيل وأعمدة فى بلدة «شدت» أى (الفيوم)، وفى «قفط» عثر على قطعة من جدار معبد، وفى العرابة المدفونة

أهدى مائدة قربان (مذبح) للإله «أوزير» وعثر فى «الكرنك» و «دندرة» على بقايا أعمدة، وقاعدة تمثال فى «سينا». وأقام هرمه بالقرب من «اللشت» عاصمة الملك.

بعثته إلى وادى الحمامات: للاستفادة بالحجر هناك.

حروبه فى آسيا والنوبة: لمنع هجرة الأسيويين والنوبيين إلى البلاد.

إشراك ابنه «سنوسرت» معه فى الحكم:

والواقع أن سلطان الفرعون قد زاد بإشراك ابنه «سنوسرت» معه فى حكم البلاد عام (٢١ من حكم أمنمحات) فقد أخذ يتدخل فى شئون حكام المقاطعات الخاصة، واستطاع أن يحفظ لنفسه حق تولية كبار الموظفين فى المقاطعات وعزلهم.

سلطة الوزير:

وفى ظل هذه السلطة استعادت الحكومة المركزية نفوذها القديم، ولا شك فى أن إدارة الوزير للبلاد بما فيها من أنظمة حازمة، كانت نموذجًا صالحًا لكل الأنظمة الرئيسية.

تفكير الفرعون فى إصلاح الفيوم:

وهو أول من فكر فى إنشاء خزان المياه الذى عرف فيما بعد باسم بحيرة «موريس» وينسب إلى «أمنمحات الثالث» إتمامه جملة.

محاربته اللوبيين:

وكان هذا آخر حادث مهم فى حياة الفرعون المسن هو إرسال جيش إلى الحدود الغربية لتأديب اللوبيين وكبح جماحهم. فسار «سنوسرت» ابنه وشريكه فى الحكم على رأس الجيش، وعندما كانت الحملة عائدة من الحدود مظفرة قابلها رسول ليخبر «سنوسرت» باغتيال والده.

المؤامرة ضد ولى العهد ونصيب «سنوهيت» فيها وفراره: (راجع كتاب الأدب المصرى القديم).

الدعاية للملك «سنوسرت الأول»:

وهكذا اغتيل «أمنمحات» الأول بعد أن مكث يحكم البلاد المصرية أكثر من ثلاثين عامًا قضاها فى كفاح مر فى داخل البلاد وخارجها. واحتال الفرعون الجديد على استمالة قلوب الشعب إليه وإثبات شرعيته للعرش، فكتب له «خيتى بن دواوف» نصائح وتعاليم جعلها على لسان والده، فقد جعل «أمنمحات يظهر لابنه فى رؤية صادقة بعد وفاته، ويلقى عليه تعاليمه ونصائحه وتجاربه فى الحياة ليتخذها نبراسًا له يهتدى به فى حكم البلاد..

وقد نصح الملك المتوفى ابنه سنوسرت بألا يتكل على أحد آخر فى أن يحافظ عليه، لأن الرجل لا صديق له فى يوم، الشدّة. والإنسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة.

هرم أمنمحات ومعبده:

أقامه بالقرب من مدخل الفيوم (اللشت). وبناء قلب هرم «أمنمحات» وجدت فيه أحجار كبيرة منقوشة، معظمها يرجع إلى عهد الدولة القديمة، وقد اغتصبت إما من «دهشور» أو «سقارة».

سنوسرت الأول. حوالى ١٩٨٠ - ١٩٣٦ ق.م.

مقدمة:

بعد أن قضى على الفتنة، خلا «لسنوسرت» الجو وأخذ فى الدعاية لنفسه وقد حكم البلاد نحو ٤٠ سنة منها عشر سنوات بالاشتراك مع والده. ويمتاز عصر «سنوسرت» الأول بجلائل الأعمال وبالإصلاحات التى قام بها.

ملخص تمثيلية عيد التتويج:

«حور» يدرس الشعير - يمزق أوصال عدوّ والده «ست» انتقامًا له - مبارزة بينهما - إرجاع عين «حور» إليه ثانية - الملك يرتدى ملابس الحزن على والده - إحضار معدات التطهير.

مبانيه الدينية. معبد عين شمس:

لقد أراد «سنوسرت» من إقامة هذا الأثر أن يثبت للملأ أنه من نسل «رع».

وأقام مسلة عين شمس فى موضعها الأصلى بالمطرية، وهى أقدم المسلات الخمسة التى لاتزال قائمة فى مكانها الأصلى.

وقد أهدى «سنوسرت» هدايا للآلهة المصرية وكأمثلة: «عقد من حجر مسنت، خاتم، آنية من الفضة، آنية من الذهب، آنية من النحاس، مبخرة من العاج، مبخرة من الفضة».

آثاره:

أقام معبدًا فى الفيوم . مسلة فى «انجيج» . تماثيل فى تانيس لوحة فى العرابة المدفونة . قاعدة تمثال فى «الفنتين».

أعماله فى المناجم وآثاره الأخرى:

وجد اسمه فى مدينة «الكاب» عند بداية طريق الصحراء لمناجم الذهب، واستثمر محاجر صحراء «النوبة الغربية» على مسافة ٦٥ كيلو مترًا فى الشمال الغربى من «أبو سمبل». وقد عُثر فى هذه المحاجر على حجر الديوريت الجميل الذى كان يستعمله «خفرع» لصنع تماثيله العظيمة. واستحضر حجر الجمشت من وادى الهودى.

وهناك إشارة إلى منجم الأحجار التى من الجمشت فى نص لوحة «منتوحتب» وتعتبر لوحة «حور» أعظم اللوحات التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون، وفى جنوب الشلال الأول عثر له على لوحتين فى معبد «بوهن».

أعماله الحربية

أخضع النوبيين حتى الشلال الثالث. وكان غرضه تثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعد نحو ٢٥٠ كيلو مترًا من جنوبى «وادى حلفا» التى تعتبر الآن الحد الشمالى لبلاد السودان.

حملاته للبحث عن الذهب:

قامت حملتان لبلاد كوش للبحث عن الذهب الغفل وكان يصحب الحملة الأولى أربعمائة جندى والحملة الثانية ستمائة جندى. كما أرسل إلى الواحات لفحص الحدود.

وتدل النقوش التى عُثر عليها من عصر هذا الفرعون بأنه كان إداريًا يقظًا حازمًا. وكان رجال الإدارة يهابونه. ومن الكشوف الأثرية نعرف أنه قد حدث زحف قام به أقوام من السودان فى العصر الذى يقع بين الدولة القديمة والدولة

الوسطى. وهؤلاء القبائل ليسوا من الزنوج وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الأقدمين بل ينتسبون إلى الجنس الحامى.

وقد كان الخطر الذى يهدّد الحدود المصرية منبعه مملكة دنقلة، وقد كان سكان النوبة يشدون أزرهم، ولذلك جعل ملوك الأسرة الثانية عشرة هذه الجهة ميدان قتالهم، والمكان الذى يدافعون منه عن بلادهم، من أجل هذا جعل «سنوسرت الأول» وجهته فى بادئ الأمر الأقليم الشرقى من بلاد النوبة، ومد الحدود المصرية حتى الشلال الثانى.

ومن قصة «سنوهيت» نتعرف على الخُلُق المصرى فى هذا العصر، وَتبدِّيه فى مظهر يجمع بين السذاجة والمكر ونفاذ البصيرة والشعور بالعظمة والبراعة فى النكته. ونتعرف على المبارزة بين «سنوهيت» والفلسطينى ثم على الصفة الكامنة فى المصريين وهى الحنين إلى الوطن. وقد أصدر الملك قرارًا ملكيًا وحضر «سنوهيت» لمصر لكى يحظى بالدفن فى أرض الوطن.

وفاة «سنوسرت الأول»:

وقد حكم خمسا وأربعين سنة كما جاء فى ورقة «تورين» وترك هرمًا فى اللشت. كما ترك عشرة تماثيل ـ وهى موجودة الآن بالمتحف المصرى ـ وكذلك تمثاله فى صورة الإله «أوزير».

أمنمحات الثانى: ١٩٣٨ - ١٩٠٣ ق.م.

كان عصره عصر هدوء وسلام، ولم يقم بأعمال جسيمة فى الفتوح والغزوات. وسارت البلاد فى عهده نحو التقدم. أرسل البعوث العديدة إلى مختلف نواحى ممتلكاته لاستخراج المعادن من جبالها الغنية بها، أو لتهدئة الأحوال فى الجهات التى حدثت فيها اضطرابات، كما أرسل البعوث للبلاد الأجنبية بقصد التجارة ونشر الحضارة المصرية.

أرسل بعثتين إلى سيناء لاستخراج المعادن والأحجار الكريمة. ومن «أسوان» أحضر الجرانيت ومن مناجم «حجر البرشيا» الشهيرة الواقعة فى الصحراء الشرقية. وأحضر حجر الديوريت والجرانيت من محاجر صحراء النوبة وأحضر

الجمشت من «وادى الهودى». وأرسل بعثتين إلى بلاد بنت، وعن بلاد بنت نجد «قصة الغريق» المكتوبة فى الأدب المصرى القديم.

أما علاقة مصر ببلاد آسيا فى عهد هذا الفرعون، فكانت العلاقات مع «فينيقيا» على خير ما يكون. ولم نعثر له على مبان فى المدن المهمة، بل أقام هرمه فى نقطة منعزلة فى الصحراء على مسافة خمسة أميال جنوبى «سقارة» فى «دهشور» وعلى مسافة عشرة أميال شمالى «اللشت» حيث يوجد هرم والده. وقد وُجد الهرم مخربًا تمامًا منذ الأزمان القديمة، ولكن قد عوضنا عن ذلك بعض الشىء مقابر سيدات الأسرة المالكة التى أقيمت على مقربة من هذا الهرم.

ويعتبر مدفن «خنمت» أغنى هذه المدافن جميعًا. ويحتوى على تاجين وُجدا معًا واحد منهما من الذهب الخالص المرصَّع بالأحجار نصف الكريمة، والثانى مؤلف من أسلاك من الذهب محلى بزهيرات مرصعة بحجر الكرنالين، وهذا التاج يكاد يكون أحسن قطعة فنية وصل فيها الصائغ المصرى إلى محاكاة الطبيعة قدمها لنا الفن القديم. إن مجوهرات «دهشور» لشاهد عدل على وجود مجتمع لا يقل عن مجتمعنا الحالى إن لم يكن أرقى منه فى الذوق الفنى، يضاف إلى ذلك أن أحواله المعيشية كانت تجمع بين الثقافة والرخاء والرشاقة والتهذيب إلى درجة لم تصل إلى مثلها مصر إلا نادرًا فى أى عصر آخر من عصور حضارتها.

سنوسرت الثانى: ١٩٦٠ - ١٨٨٣ ق.م.

وهو ملقب باسم «خع خبر رع» واشترك مع أبيه فى الحكم حوالى سبعة أعوام. وحكم بمفرده اثنتى عشرة سنة، واضطربت الأحوال فى بلاد النوبة لدرجة أن القبائل النوبية هدّدت البلاد المصرية نفسها بالغزو. ومن لوحة «حابو» المشرف على تفتيش الحصون فى عهد سنوسرت الثانى نعرف السبب الذى من أجله قام «سنوسرت» الثالث على أثر توليه الملك بحملة على بلاد النوبة.

عثر له فى «الكرنك» على رأس من الجرانيت الأحمر وفى «هيراكليوبوليس» وجدله تمثال، وفى «سرابيط الخادم» وهى مركز المناجم فى شبه جزيرة «سيناء»

عثر كذلك على تمثال صغير له. أما فى «وادى الحمامات» وهو المكان الذى يستخرج منه حجر البرشيا، فقد عثر على نقش ذكر فيه اسم هذا الفرعون. وفى «القصير» على البحر الأحمر وهى الميناء التى كانت تقلع منه السفن الذاهبة إلى بلاد بنت عثر على قطعة حلى. وعثر له على عدة أسطوانات وجعارين فى أماكن مختلفة.

الملكة «نفرت » زوجة «سنوسرت الثانى»

وتزوج «سنوسرت الثانى» من سيدة كانت شهرتها تفوق جمالها، وعثر على تمثالها فى «تانيس» صورة حقيقية لها (ومعنى اسمها الجميلة وربما سميت بهذا الاسم رغبة فى أن يغطى اسمها على قبحها).

وقد تمتعت مصر فى أيامه بالرخاء والثروة والسعادة مما جلب إليها المهاجرين الساميين من الصحراء، وكذلك أهل البلاد الأخرى التى تجاورها. ونرى منظر العامو الوافدين إلى مصر بالجزية. ثم يأتى بعد ذلك «خيتى» رئيس الصيادين وخلفه هؤلاء الأجانب يتقدمهم رئيسهم ومعه غزال أليف واسم هذا الرئيس «أباشا» ويحمل لقب «حقا خاست» (ومعناها « حاكم البلاد الأجنبية») وهو الاسم الذى حُرِّف فيما بعد إلى لفظة «هكسوس» وهم القوم الذين غزوا البلاد بعد سقوط الدولة الوسطى.

هرم «سنوسرت» الثانى ومدينته:

أقام هرمه فى اللاهون بالقرب من مدخل الفيوم. والظاهر أن «سنوسرت الثانى» لاحظ أن أهرام من سبقه كانت فريسة للصوص ولذا نجده يجعل مدخل الهرم المؤدى إلى حجرة العرض فى الجهة الجنوبية تاركًا بذلك نظام وضعه فى الجهة البحرية كما كان متبعًا من قبل فى عهد الدولة القديمة، ثم يعمد بعد ذلك إلى إخفاء مكان الدخول إلى جوف الهرم بأن نحت كل الحجرات الجنائزية فى الصخر الصلد دون أن يترك فتحة يمكن الوصول إليها من بين الصخر والبناء.

وكان المدخل الرئيسى للهرم مغطى بأرضية مقبرة إحدى الأميرات، وذلك احتراسًا وتفاديًا من اللصوص. أما المدخل الثانوى فإنه كان مخفيًا تحت أرضية ردهة الهرم. أما مدينة الهرم فقد بنيت بجوار معبد الوادى.

مقبرة الأميرة «سات حتحور أنت» ومحتوياتها

وفى الجهة الجنوبية من هرم «سنوسرت» عثر على أربع مقابر لأعضاء البيت الملكى، وقد خُرِّبت ونُهبت جميعها إلا مقبرة الأميرة «سات حتحور أنت»، فإن إحدى حجراتها الصغيرة قد أخطأها اللصوص. ووُجد فيها قطع تفوق قطع كنز «دهشور» فى جمالها ودقة صنعها. وأهم هذه المجوهرات تاج لملكة، محلى بالرسوم والأشكال الرائعة يعد أحسن مثال معروف يبرهن على نبوغ المصرى ومهارته فى هذا النوع من العمل. وقد وجدت صدريات وأحزمة وأساور وخلاخيل.

سنوسرت الثالث: ١٨٨٧ - ١٨٤٩ ق.م.

يعد «سنوسرت الثالث» عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعًا عن حدود مصر من جهة الجنوب ضد السودان، ومن جهة الشمال ضد الأسيويين. وبقى اسمه تتناقله الأجيال ويذكرونه فى خرافاتهم باسم «سوزستريس».

رأى «سنوسرت» ضرورة حفر قناة عند الشلال الأول ليعبر فيها إلى أعالى الشلال. وقد لا يكون المقصود من ذلك حفر قناة بالمعنى الصحيح كما نفهمه نحن الآن، بل قد يكون القصد تعميق الممر الموجود الآن شرق جزيرة سهيل ليساعد على جر السفن فيه بدون كبير عناء. وقام بغزو بلاد أعدائه، ثم قام بحفر ترعة الشلال من جديد وسار بجيشه ليهزم الكوش الخاسئين.

واهتم بحصن «الفنتين» وقام بتحسين مدخله وبعد ذلك قام بالحملة الثالثة ثم الرابعة وأقام لوحة الحدود المشهورة، وأقام عدة حصون وقلاع منها قلعة «سمنة» عند آخر حدود جنوبية فى عهد سنوسرت الثالث. ومما جاء ضمن **لوحة الحدود الخالدة**: «لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى، وإننى ملك يقول وينفذ. إن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يُقَوِّى قلب العدو. والشجاعة هى مضاء العزيمة، والجبن هو التخاذل».

إن عبادة «سنوسرت» أصبحت على قدم المساواة مع عبادة الإله «ددرون» والإله «خنوم» فى قلعة «سمنة»، ولما تولى «تاهرقا» الفرعون النوبى حكم البلاد بعد انقضاء ألف ومائتى سنة من حكم «سنوسرت»، أعاد معبد «سمنة» وعبادة فاتح «النوبة» العظيم «سنوسرت الثالث».

آثاره:

وُجد اسمه منقوشًا فى «الفنتين» و «سهل» و «أمادا» و «توشكى» وكل هذه الأماكن شمال الشلال الثانى. أما جنوبه فقد وجدنا اسمه كذلك على معبد أقيم تكريمًا له فى «مرجرس» ويقع على الشاطئ الغربى من الشلال الثانى، وفى آسيا يحتمل وجود مثل وحيد فيه تَدّخل المصرى فى الشئون السورية.

وقد استولى فى السنة التاسعةعشرة من حكمه على كميات عظيمة من الذهب من بلاد النوبة، وقد اعتزم أن يستعمل جزءًا منه فى ترميم مقبرة «أوزير» فى «العرابة». وهناك مقبرة ثانية لسنوسرت الثالث مدفونة بالعرابة. وأقام هناك أيضًا معبدًا جنائزيًا صغيرًا لنفسه.

هرم «سنوسرت الثالث»:

ويقع فى دهشور شمالى اللشت أى فى اللاهون وسماه «حتب» (أى سلام) وبالقرب من هذا الهرم مدافن الملكة «نفرهنت» وأميرات أخريات.

وأقام هذا الفرعون عدّة مبان فى جهات القطر، كما أرسل البعوث لقطع الأحجار فى «وادى الحمامات». وأستخدم الأحجار المستخرجة لبناء معبد أهناسية المدينة.

وفاة «سنوسرت الثالث» وقداسته فى نفوس شعبه:

ولما مات انتهى حكم ملك قوى البأس مهيب الجانب، وعهده من أفخر العصور وأمجدها فى التاريخ. وقد عثر بين أوراق «كاهون» «اللاهون» على قصيدة تخليد لذكراه. ومن الجمل فيها:

«والرعب منه قد ذبح قبائل «البدو التسع» (أعداء مصر)» «وهو الذى يفوق السهم كالآلهة «سخمت»»

«وما أعظم اغتباط مصر بقوتك! فقد حميت النظام القديم».

«وما أعظم اغتباط الشعب بحكومتك! فقد قمعت السلب».

أمنمحات الثالث: ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق.م.

يعتبر «أمنمحات الثالث» فى نظر التاريخ من أعظم فراعنة مصر وأقدرهم، فقد كان حكمه الطويل الذى دام نحو ثمانية وأربعين عامًا عصر هدوء وسكينة ومشاريع عظيمة، وأعمال جليلة حيوية اجتماعية بقدر ما كان عصر والده «سنوسرت الثالث» عصر حروب وغزوات وتوسيع فى رقعة البلاد، وقد قام أمنمحات الثالث بإصلاحات من حيث الزراعة والتعمير الدنيوى والدينى، وأرسل بعوث لجلب المعادن والأحجار. وقد وجدت آثار لهذا الفرعون فى «كرمة» عند الشلال الثالث، وأرسل بعوث إلى شبه جزيرة «سيناء» وافتتح منجم فى «سرابيط الخادم»، وهناك نقوش طريفة لبعض الموظفين الذين ذهبوا إلى هذه المناجم مثل بعثة «سبك حرحب» والذى التحم مع البدو الآسيويين، وموظف يدعى «حورور رع» يكتب عن المصاعب التى لاقاها فى استخراج الفيروز فى فصل القيظ قائلاً «وإن لم يكن الوقت مناسبًا للذهاب إلى أرض هذه المناجم» ويعلق موظف آخر «إن الفيروز لفى هذه التلال الخالدة، ولكن من الحمق أن يبحث عنه فى هذا الفصل من السنة»، وهناك لوحة «سابست» لاستخراج الأحجار الثمينة.

آثار «أمنمحات الثالث» فى أنحاء القطر:

له آثار متفرقة عثر عليها فى طول البلاد وكمثال: «لوحة فى مدينة الكاب» - قاعدة تمثال فى «تل اليهودية»، وفى «منف» زاد فى معبد الإله «بتاح»، وفى الكرنك عثر له على تمثال كبير وآخر صغير، وفى بلدة «نخن» (الكوم الأحمر» له تمثال. وتوجد له آثار عدة فى أنحاء متاحف العالم تشمل مجوهرات وجعارين وأختام أسطوانية الشكل - ولوحات صغيرة وتماثيل.

تعاليم «سحتب أب رع» لأولاده ومكانتها التاريخية:

وهى من الوثائق التى تكشف لنا عن مقدار ما وصل إليه الفراعنة فى أواخر الأسرة الثانية عشرة من الاحترام والتقديس ومقدار ما وصل إليه الأمراء الوراثيون: احترموا الملك «نيماعت رع» بأجسامكم، وألّفوا بين قلوبكم وجلالته. إنه هو «الفهم» (سيا) «الذى فى القلوب، وعيناه تفحصان كل إنسان، وإنه «رع» الذى يرى بأشعته، وأنه يضىء الأرضين أكثر من قرص الشمس....».

بحيرة قارون (بحيرة موريس)

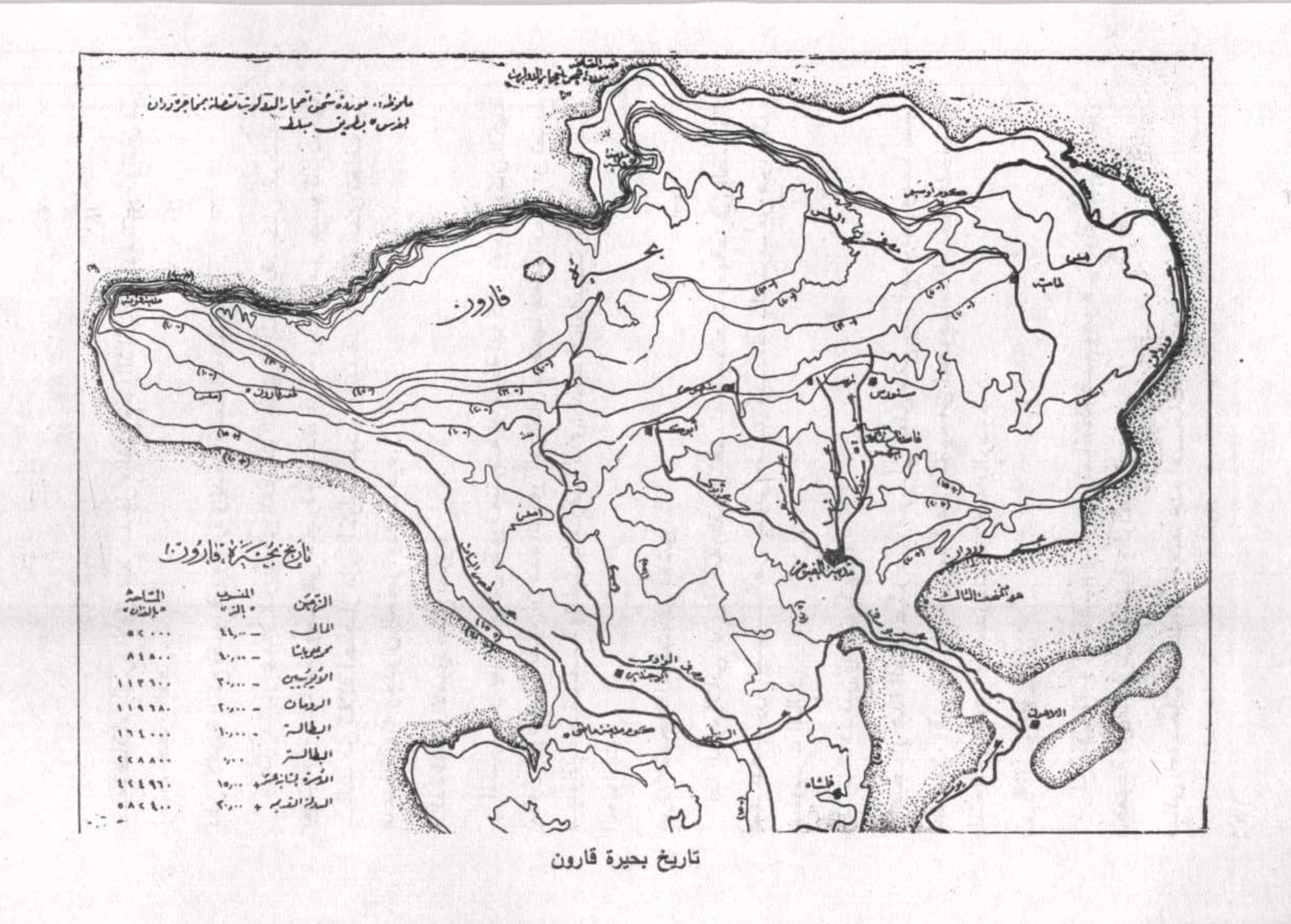
لا جدال فى أن «أمنمحات الثالث» قد وجه عناية عظيمة لأقليم الفيوم. ويقول كل من «هيردوت» و «استرابون» عن البحيرة: «إن مياه النيل كانت تتوفر فى البحيرة مدة ستة شهور، وفى مدة ستة الأشهر الأخرى من السنة تخرج منها المياه بطريق القناة نفسها، ولكن بواسطة عيون أخرى، وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور تدل عن أن هذا الواحة الغناء (الفيوم) هى من عمل النيل، وبخاصة ما قام به «أمنمحات» من العمل المجيد الذى سيبقى ما بقيت «الفيوم»» .

لقد رأى «أمنمحات الثالث» فى منخفض الفيوم منقذًا للبلاد من ويلات القحط، إذ اتخذه خزانًا طبيعيًا يمكن أن يمد البلاد الشمالية جميعًا بالمياه أثناء انخفاض النيل سنويًا فى فصل التحاريق، وكانت مياه الفيضان تنساب فى منخفض الفيوم فى فصل الخريف. والظاهر أن هذا الفرعون أو مهندسيه قد فكروا فى طريقة لتنظيم دخول هذا الماء وخروجه، وكانت النتيجة أن فكروا فى استعمال الترعة شمال «أسيوط» عند «ديروط» وهذه الترعة الطبيعية هى المعروفة الآن «ببحر يوسف».

وأعاد «أمنمحات الثالث» بناء المعبد الذى أقامه «أمنمحات الأول» فى «الفيوم»، وله تمثالان فى بلدة بياهمو. وقام بتدوين مناسيب النيل. وترك مقاييس النيل عند «سمنة» و «قمة».

هرم أمنمحات الثالث

لم يشذ «أمنمحات الثالث» عن أسلافه فى إعداد هرمين لنفسه، واحد منهما ليتوارى فيه جثمانه الحقيقى، والآخر لتأوى إليه الروح (كا) ويقدم القربان إليها



تاريخ بحيرة قارون

فيه. فأقام الهرم الأول عند مدخل «الفيوم»، والثانى فى «دهشور» وتفنن فى إخفاء حجرة الدفن.

دفن الأميرة «بتاح نفرو» فى مقبرة والدها أمنمحات الثالث:

وهذا يعتبر عملاً فريدًا فى العادات الجنائزية المصرية. وكان غرضه أن يجتمع روحها مع روحه فى حجرة واحدة، من أجل ذلك أمر بصنع تابوت لها يتألف من ثلاثة أحجار من «الكوارتسيت»، وُضع فى الفراغ الذى تخلف بين قاعدة تابوته وجدران الحجرة ودفنت فيه.

مائدة قربان الأميرة «بتاح نفرو»:

المصرى كان يعتقد أن كل صورة منقوشة أو ملونة لها كيان روحى. وكان الكهنة يبثون فى عقول القوم أن هذه الصور التى كان بعضها مضرًا يمكن أن تصبح حيوانات حقيقية وتلحق بالمتوفى الأذى؛ لذلك كانوا يبترون بعض أجزاء الحيوانات.

هرم «أمنمحات الثالث» فى دهشور:

أما الهرم الثانى الذى أقامه، فقد انتخب له «أمنمحات» موقعًا فى الصحراء عند «دهشور» القريبة من جنوبى «منف» وكذلك بالقرب من هرم والده «سنوسرت الثالث».

مقبرتا الأميرتين ومحتوياتهما:

وبجوار هذا الهرم عثر «دى مرجان» على مقبرتى أميرتين وهما ابنتا الفرعون، وقد عثر فى قبريهما على كمية من المجوهرات الفاخرة المحفوظة بالمتحف المصرى. والصدريات مزدحمة بالرسوم.

معبد الهرم «اللبرنت»:

يبلغ طوله نحو ألف قدم وعرضه ثمانمائة قدم وهو فى الواقع عبارة عن مجموعة من المحاريب والأبنية والردهات.

مبانى «أمنمحات الثالث» فى معبد جده أمنمحات الأول فى الفيوم:

وهى عبارة عن قاعة واسعة أعمدتها ورقعتها من الجرانيت الوردى، وأبوابها من الذهب النضار.

أخلاقه من فن عصره:

بلغ الفن المصرى فى عصره لمدة قصيرة درجة من المحاكاة الطبيعية الصافية، وهناك مجموعة صور للفرعون «سنوسرت الثالث» العظيم - التى عُثِر عليها فى الدير البحرى - تمثله فى أدوار مختلفة من حياته منذ شبابه إلى شيخوخته. وكان يتميز بتقاسيم خاصة ويلوح فى عينيه التفكير. نظرة الرجل الذى أنهكته الهموم، ووجه عبوس ترتسم عليه ملامح الكآبة، ويشاهد فيه هذه النظرة التى تنم عن الحزن السافر، الجفنان قد ثقلا وأن تجاعيد غائرة قد خطت تحت عينيه الحزينتين. والباحث فى صور ملوك الأسرة الثانية عشرة وما انطوت عليه من حزن وآلام ويأس وقنوط وجرأة ورزانة، يستدل على أنها كانت فى الواقع تمثل حالة العصر الذى وجدت فيه، إذ كان كله عصرًا مملوءًا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفن فى ذلك العصر، وأعنى به فن النحت والتمثيل، وبخاصة فى ملوكهم وعلى رأسهم «أمنمحات الثالث» الذى سار بالبلاد إلى القمة فى كل ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية، والزراعية، والدينية، والفنية. وقد كان موضع تقديس بعد موته. لم يفرض هذا الرجل العظيم على الشعب احترامه وتعظيمه بالقوة والعنف، بل بما خلَّفه من عظيم الآثار الباقية التى أفادت البلاد. إن «أمنمحات الثالث» يعد بحق محيى أقليم الفيوم.

أمنمحات الرابع: ١٨٠١ - ١٧٨٨ ق.م.

لا نزاع فى أن «أمنمحات الثالث» قد ترك لابنه مملكة عظيمة المنزلة، ثابتة النظام، بفضل جمع السلطة كلها فى قبضة فرعون، وتلاشى أمراء المقاطعات الوراثيين جملة من البلاد، واستبداله بهم موظفين تابعين للحكومة الرئيسية. ولم يكن «أمنمحات الرابع» بالشخصية البارزة المناضلة مثل والده وأجداده الذين كانوا يسيرون بالبلاد دائمًا إلى الأمام.

ترك له والده البلاد هادئة مطمئنة فى كل تخومها، لذلك نشط «أمنمحات الرابع» فى إرسال البعوث السلمية لاستحضار الأحجار والمعادن.

هرم أمنمحات الرابع:

عزا المستر «ماكى» إلى هذا الفرعون بناء هرم «مزغونة» الجنوبى وقال إنه دُفن فيه.

آثار «أمنمحات الرابع» فى أنحاء القطر:

وقد عثر لهذا الفرعون على آثار عدة فى جهات متفرقة منها هياكل وتماثيل. وهناك نقش يظْهر لنا « أمنمحات الثالث والرابع» مشتركين معًا فى الحكم، وهناك نقوش فى «قمنة» كتب عليها مقاييس مناسيب النيل. وكان نشاطه عظيمًا فى استخراج المعادن من سيناء.

ومن نقوش موظفيه مثل «زاف» نجد ذكر الإلهة «حتحور» سيدة الفيروز. ومن لوحة عثر عليها فى «وادى الهودى» على بعد أربعين كيلو مترًا جنوب شرق أسوان تبين أنه أرسل بعثة لإحضار «حجر الجمشت».

ويوجد لهذا الفرعون بعض تحف صغيرة منها لوحة صغيرة، من الإردواز عليها طلاء أخضر، ومنقوش عليها اسم هذا الفرعون، وهى الآن فى «المتحف البريطانى» وكذلك يوجد صندوق صغير من الأبنوس والعاج مكتوب عليه اسم الفرعون واسم صاحبه «كمن» الذى كان يشغل وظيفة حارس إدارة المطبخ.

وذكرت لنا ورقة (تورين) أنه حكم تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يومًا.

الملكة سبك نفرو: ١٧٩٢ - ١٧٨٧ ق.م.

تدل الأحوال على أن «أمنمحات الرابع» قد توفى دون أن يترك له خلفًا من الذكور، والظاهر أن الأميرة «سبك نفرو» أخته كانت الوريثة الوحيدة للملك فتوجها أشراف البلاد ملكة عليهم، وقد ذكر لنا «مانيتون» أنها أخت «أمنمحات الرابع» وعلى ذلك تكون بنت «أمنمحات الثالث».

ومـعنى «سـبك نفـرو» (حـسن الإلـه سـبك) وهو الإله الذى يمـثل فى صـورة تمساح والإله الحارس «للفيوم».

آثارها الباقية:

تمثال «أبو الهول» فى «الخطاعنه بالقرب من تانيس (حـان). بعض عقـود بناء من الجرانيت فى معبد «أهناسيا المدينة».

وتخبـرنا ورقـة «تورين» أن «سـبك نفـرو» قـد حكمت البـلاد مـدّة ثلاث سنوات وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يومًا. ولما لم يكن لها خلف من الذكور فإن حكمها يُعّد خاتمة هذه الأسـرة. وكذلك نلاحظ أن قائمة ملوك سقارة قد وضعت لقب الملكة فى مكانه الصحيح فى نهاية أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة. أما قائمة «العرابة» فقدحذفت اسم «سبك نفرو».

المدنية فى عهد الدولة الوسطى

مقدمة:

كـان بـلاط أمـــراء الإقطاع مكانًا للعناية بالعلوم والفنون فى طول البـــلاد وعرضها، وكذلك أصبحت الطبقة المتوسطة الحرة تقوى فى البلاد، وتأخذ مكانها فى الصف أول من الحياة الاجتماعية. وكان أمير المقاطعة يتبع فى سياسته مع موظفيه من النصح ما كان يسير على نهجه حكام الدولة القديمة، فلنستمع إلى الكلمات التى كان يتغنى بها أمير «أسيوط» فى العهد الأهناسى: «لا يوجد امرؤ فصلته عن عمله، ولا إنسان اغتصبت أملاكه مادام متبعًا حدود وظيفته؛ ولقد نشرت السعادة على الأرض، واقتفيت أثر اللص، وكنت أمقت انتهاك حرمة الملكية».

وقد كانت توجد بجانب طائفة الموظفين الذين حُرموا وظائفهم فى أنحاء المقاطعات بسبب الفقر الذى عم البلاد عندما أخذت موجة التدهور الأولى تطغى على مصر فى نهاية الأسرة السادسة. وظهرت أسر قوية يدعون بحقهم فى وراثة عرش مصر مثل أمراء «طيبة» و «أسيوط» و «أهناسيا». وظهرت أوصاف عن مظاهر الظلم وعدم استتباب الأمن فى صور مقالات أدبية كتبها جماعة من حملة الأقلام مطالبين بالعدالة الاجتماعية وتأسيس سلطة جديدة تخلص البلاد مما حاق بها من ظلم وجور.

ومنذ العهد الأهناسى كان يسير فى ركاب أمير المقاطعة فرقة حربية وكانت تظهـر مع «أتبـاع الأمـيـر» وكـان جنودهـا مـسلحـين بالدروع والحـراب و (البلط) والأقواس، والنشاب، والسهام، وكان يحاط حكام الأقاليم بأعظم مراسم الاحترام ومظاهر العظمـة فى احتـفالات البـلاط مما كـان يندر وقـوعه فى عهـد الدولة القديمة حتى لوزير.

وفى عـهـد الفـوضـى كـان فى اسـتطاعـة أصـغـر الأمـراء أن يقـاوم الفـرعـون وينتـصـر عليـه بحدّ السـيف. فـمن ذلك أن أمـيـرين مـن الأمـراء الذين حكمـوا مـقـاطعـة الأرنب «البـرشـة» وعـاصـمـتهـا «الأشـمـونين» العظيـمـة كانا يفـتخـران بانتصـارهما على الفرعون فيقـول أحدهما: «لقـد خلّصت مدينتى فى أيام الشدّة من طغيـان البيت المالك» وهذا أكبـر دليل على منتهى الفوضى فى البـلاد. وضعف فرعونها فى تلك الفترة. وجاء ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

وكـان أول تغيـيـر هو تحـريم الحـروب الداخلية التى كـان يثيرهـا هؤلاء الأمـراء الأقوياء بينهم. أما التغير الثانى فهو محـو انتقال ملكية المقاطعـة بالوراثة بلا قيد ولا شرط بين أولاد أمراء المقاطعات.

السلطات التى اكتسبها الفرعون.

تأليف جيش قائم ـ تقييد وراثة الملك فى المقاطعات ـ رضا الفرعون وموافقته أمـر طبـيـعى عند حدوث أى تغـيـيـر ـ مع وجـود حـرية العمل وحـرية الحـركة فـإن الإدارات ومـراقبـة الشـرطة تحت سيطرة الملك ـ يقـوم بتعـيين قـضـاة المحـاكم فى المدن ـ نشـر العـدالة الاجـتـمـاعـيـة ـ تشـجـيع العلم والمصلحين الاجتمـاعـيين مثلمـا وجد فى (تعاليم خيتى).

وصـور لنـا مـدير مكتب مـن عصـر «سنوسـرت الأول» حيـاتـه المثـاليـة التى كـان يسير على نهجها فى معاملته للناس، مما يدل على بعث جديد فى الأخلاق يتجه نحو العدالة الإنسـانية فيقول: «لقد كنت إنسانًا يلزم الصمت أمام المتهور، صبورًا فى حـفـرة الجـاهل، مـبـتـعـدًا عن الثـائر، وكنت حليـمًـا خلوًا من الانـدفـاع... كنت إنسـانًا مـصـادقًا مع رعـاياه، واضـعًـا مـصـالح النـاس على قـدم المسـاواة.. كنت رب

الطعام (سخيًا) بعيدًا عن الشح، صديق المعوز، رحيمًا بالفقراء، وكنت امرءًا يأوى المسكين الجائع، كريمًا مع الفقراء، وكنت مثقفًا لمن لا علم له، ومعلمًا لأى إنسان ما يفيده».

الحروب والعلاقات الخارجية

يرجح أن «أمنمحات» كان أول من استعمر الواحات، أُرسلت حملات لتأديب اللوبين - كان أشد أعداء مصر وأصلبهم عودًا هم «الكوش» سكان بلاد النوبة الوسطى مدّ «سنوسرت الثالث» الحدود المصرية حتى منحدرات مياه «سمنة» و «قمة» فيما وراء الشلال الثانى وحماها بإقامة ثمانى قلاع على المرتفعات، وفى الجزيرة التى وسط النهر هناك - أقام «سنوسرت الثالث» ست عشرة قلعة.

نشاط مصر خارج حدودها من جهة آسيا

كانت الحملات قد بدأت ترسل إلى «بنت» منذ عهد الأسرة الحادية عشرة، قيام حروب بين مصر ولوبيا - عادت العلاقات بين مصر وجاراتها فى الشمال الشرقى فى «سوريا» و «فلسطين» على أحسن ما يكون من ود وصفاء بسرعة مدهشة - «سنوسرت الثالث» كان قد مدّ سلطان بلاده حتى الشلال الثانى - ووصلت المحطات التجارية فى عهده حتى «كرمة» بجوار الشلال الثالث - وجود «العامو» (الأسيويين) فى مصر، تجارًا أو عبيدًا لا يدل على أن بلادهم كانت تحت النير المصرى بل قد تكون بين البلدين علاقات سلمية كالتجارة - ولدينا إشارات عابرة عن إحضار أسيويين إلى مصر بمثابة عبيد اشتروا بالمال كما جاء فى ورقة «كاهون».

علاقة مصر بجزر البحر الأبيض المتوسط

ظهور الشكل الحلزونى فى مصر له بعض العلاقات بانتشاره العظيم فى وقت واحد فى «كريت» و «جزر بحر إيجه». ووجدت بعض الأوانى التى تعزى إلى «كريت» فى حفائر الجيزة.

تتم تماثيل الدولة الوسطى عن تقاسيم أقوى، تمتاز بأنها تعبر عن قوة بشرية وتنبعث منها إرادة قدت من حديد، شيوع استعمال التماثيل التى تفوق الحجم البشرى الطبيعى، أما تماثيل الأفراد فإن السائد فى جودة فنها لا يتعدّى الحد المتوسط فى الاتقان، يندر فى الفن المصرى أن يرى الإنسان موظفًا مصريًا عظيمًا يشعر بشخصيته ورفعة مركزه واحترام مكانته منحوتًا فى الحجر مثل تمثال «خرتى حتب» الجالس، تماثيل العمال المصنوعة من الخشب، وهى التى كانت توضع فى المقابر لتقوم مقام الخباز والطحان والعجان والجندى والراعى، فقد عثر منها على جيش بأكمله، ولكن لابد من تمييزها عن التماثيل الفنية.

النقوش الغائرة والبارزة تنبعث منها حيوية، وبخاصة من حيث تأثيرها فى النفس، إذ تجذب النظر لها اجتذابًا، وظهرت كذلك لأول مرة فى التاريخ المصرى الجعارين، أما الأوانى الحجرية فكان استعمالها فى الدولة الوسطى يحتل مكانة عالية تلفت النظر، والواقع أن استعمالها وقتئذ كان إحياء للقديم، أما الخزف فقد اندمجت صناعته فى شخصية فن الدولة الوسطى، ولهذا هجر استعمال الطراز الذى كان شائعًا فى الدولة القديمة.

الأدب فى عهد الدولة الوسطى

تعاليم «أمنمحات» التى تعتبر أهم قطعة أدبية فى هذا العصر فهى وصية جاءت على لسان «أمنمحات» لابنه ووريثه «سنوسرت الأول».

«نبوءات نفر روهو» تمجد «أمنمحات» فى صورة تنبؤات قيلت فى الأزمان الغابرة، **«مخاطرات «سنوهيت»** فى باكورة عهد الأسرة الثانية عشرة هى عبارة عن حوادث تاريخية حيكت فى ثوب أدبى قصصى.

«قصة الغريق» تروى عن البحار السندباد البحرى، بل إن مغزاها فى تجارب الحياة هو أن يحافظ المرء على شجاعته وثقته بنفسه والهدوء ورباطة الجأش، ووصلتنا قصائد مديح وأخرى دينية محضة، وكذلك لدينا بعض الأغانى الدنيوية الطريفة، وأخيرًا وصلت إلينا مسرحية لتتويج الفرعون من عهد «سنوسرت الأول».

العدالة الاجتماعية وتعميم المسئولية الخلقية فى عهد الدولة الوسطى

قام بحملة الإصلاح كُتّاب اجتماعيون بعد الفوضى التى اعترت البلاد أثناء الثورة بعد انهيار الدولة القديمة. فالغرض من قصة الفلاح الفصيح هو إنشاء طائفة من الموظفين المتصفين بالكفاية والأمانة حتى يقوم على أكتافهم بناء طبقات العهد الجديد الذى تسود فيه العدالة الاجتماعية. وفى القضية التى حكم فيها «خيتى» ظلمًا لم يرض الملك بذلك فبالرغم أن الوزير جار فى حكمه على بعض عشيرته الأقربين ممالئًا أجنبيًا خوفًا من أن يتهم بمحاباة أقاربه خيانة منه. وعندما استأنف أحد أقاربه الحكم أصر الوزير على حكمه المجحف رغم أن هذا الوزير ذائع الصيت من عهد الدولة القديمة. وكان تعليق الملك لابنه بقوله:

«إن ذلك يعد تخطيًا للعدالة، فلا تنسى أن تحكم بالعدل، لأن التحيز يعد طغيانًا على الإله... وعامل من تعرفه معاملة من لا تعرفه».

الإله الأعظم الذى يشرف على الحكومة يمقت الظلم

«الرجل التعس» كان قد حل به الظلم الاجتماعى، فعبر عنه فى صورة الروح البائس الذى يعبر عن يأسه وأسبابه، لم يظهر «أوزير» حاميًا للعدالة بشكل صريح إلا فى العهد الإقطاعى، «أوزير» و «رع» قد وضعا جنبًا إلى جنب فى التفكير الخلقى لذلك العصر.

عثر فى متون التوابيت الخشبية على خطاب أساسى مهم لإله الشمس فى عصر نشر الديمقراطية (أى تعميم المساواة بين الناس) وهذه فقرات مهمة منه: «لقد خلقت الرياح الأربعة ليتنفس منها الإنسان مثل أخيه الإنسان مدة حياته، ولقد خلقت المياه العظيمة ليستعملها الفقير مثل السيد، ولقد خلقت كل رجل مثل أخيه، وحرمت عليهما إتيان السوء، ولكن قلوبهم هى التى نكثت بما قلته»

الطبقة الوسطى:

كان من نتائج محو الأشراف أن قام فى البلاد طائفة الطبقة الوسطى لتناهضها، فاكتسبت من الحقوق ما كان له شأن عظيم فى توطيد العدالة الاجتماعية.

معبد الأمير «زفاى حعبى»:

وقد نقش عليه الشروط العشرة الخاصة بالوقف منها تقديم رغيف من الخبز الأبيض لتمثاله - والجعة واللحم - والفطائر ومما كتب نعرف عن أقدم «عيد لكل الأرواح».

احترام مقابر الأجداد:

فقد قام حكام مقاطعة «البرشة» بإصلاح مقابر أجدادهم التى يرجع عهدها إلى عصر الأهرام.

الصلوات والأدعية:

وقد حاول المصرى القديم أن يجد علاجًا يضمن به المتوفى سعادة خالدة، فقام بنقش صلوات وأدعية فوق واجهة قبره كان يعتقد أنها ذات تأثير فى

إمدادها للمتوفى فى الآخرة بكل ما يحتاجه إليه فيها... وتلك الأدعية توضح لنا الاعتقاد فى مقدار ما كان لتلك الكلمات من التأثير الفعال.

ظهور متون التوابيت:

ظهر فى عالم الوجود طائفة أخرى من «الأدب الجنائزى» وهو ما يسميه علماء، الآثار «متون التوابيت» وهى صيغ مشابهة لسابقتها (متون الأهرام) وتتحد معها كل الاتحاد فى القيام بوظيفتها، غير أنها كانت أكثر ملاءمة لحاجات الإنسان العادى من أى شخص من الطبقات العليا، ولذلك كان كل دهماء الشعب يستعملونها فى ذلك الوقت أى فى العهد الإقطاعى. وقد كان ما يسمى «كتاب الموتى» الذى جاء فيما بعد مؤلفًا من منتخبات أخذت من «متون التوابيت» وهذه كانت فى الواقع تتألف من مقتبسات كثيرة أخذت من «متون الأهرام»، وكانت تكتب فى هذا العصر على أوجه التوابيت الداخلية المصنوعة من خشب الأرز (١٣٨ تابوتًا).

إن اللاهوت الأوزيرى الذى كان قد أخذ فى الانتشار بصفة واضحة منذ الأسرة الخامسة قد تدخل فى «متون التوابيت» بل فى الواقع استولى عليها كما تدخل كذلك فى «متون الأهرام» بالضبط. وأحسن مثال لذلك هو المتن الذى صار فيما بعد جزءًا من «كتاب الموتى» باسم الفصل السابع عشر، وقد أصبح فى العهد الإقطاعى الذى نحن بصدده من الفصول المحبوبة إذ نجده يتقدّم على كل المتون الأخرى المكتوبة على عدة من التوابيت، وهو فى جملته يعبرعن توحيد المتوفى مع إله الشمس ولو كان يظهر معه بعض الآلهة الآخرين أيضًا. إذ يقول الرجل المتوفى:

«إنى «آتوم» وأنا الذى كنت وحيدًا.

«وإنى «رع» عند أول ظهوره.

«وإنى الإله العظيم خالق نفسه.

«والذى سوى أسماءه ورب الآلهة.

«والذى لا يدانيه أى إله بين الآلهة.

«وأمسى ملكى وإنى أعرف الغد».

ويقول الشارح: «ذلك هو «أوزير» مع أنه من الواضح تمامًا أن هذا النص كان خاصًا بإله الشمس فقط كما يفهم من سياق الكلام. ولقد كان من جراء صياغة تلك المتون بالصيغة الأوزيرية، أن أدخل العالم السفلى الذى كان خاصًا بأوزير فى المتون الشمسية والسماوية... والنتيجة أن «رع» إله الشمس قد حشر الآن فى عالم الآخرة السفلى الخاص «بأوزير». وعلى ذلك يمكن عرض الحوادث فى ذلك الصدد بصورة تشعر بشىء من المبالغة إذا قلنا إن «أوزير» فى «متون الأهرام» قد رفع إلى السماء فى حين أننا نجد أنه فى «متون التوابيت» و «كتاب الموتى» قد أنزل «رع» من مقره السماوى إلى الأرض.

كانت توجد تعويذة يصبح بها المتوفى ساحرًا وهى موجهة إلى الأفراد المنعمين الذين فى حضرة «آتوم» إله الشمس. وهذه التعويذة فى ذاتها رقية تختم بالكلمات التالية: «إنى ساحر». وخوفًا من فقدان المتوفى قوته السحرية كان هناك احتفال يحتوى على وضع رقية سحرية مع المتوفى حتى لا تنزع منه قواه السحرية حينما يكون فى العالم السفلى. كما أن هناك «تعويذة لدخول النار والخروج من النار خلف السماء». والكهنة قد رسموا للمتوفى مصورًا للسياحة ليكون مرشدًا له عند باب النار العظيم فى المدخل ليريه الطريقين اللذين يمكنه أن يستأنف منهما سيره، وقد كان أحد هذين الطريقين بريًا والآخر مائيًا.

فحتى الآخرة الشمسية الملكية قد صارت الآن من حق الجميع يستوى فيها الفرعون مع بقية أفراد الشعب. وبقدر ما كان مذهب «أوزير» قويًا فى عصر الأهرام فإن انتشاره العام فى العهد الإقطاعى كذلك قد فاق كل انتشار معروف سبق من قبل، إذ نجد فيه ظفر ديانة الشعب التى كانت مناهضة وقتئذ لعبادة «رع» الحكومية، وقد كانت سيادة «رع» تعتبر ظفرًا سياسيًا، أما ظفر ديانة «أوزير» التى كان يشدّ أزرها بلا ريب طائفة من مهرة الكهنة وربما كانوا يقومون لها بدعاية مستمرة وقتئذ، فإنه لم يكن فى طاقة أية طائفة، ولا طاقة الحكومة،

ولا الأشـراف مناهضـتـهـا، وذلك لأن النعم التى كـان يقـوم بإغـداقـهـا المصـيـر الأوزيرى فى الحـيـاة الآخـرة على كل الناس يجعلها ذات جاذبيـة قوية شـاملة لا تناهضها أية جاذبية أخرى منافسة لها.

مسرحية آلام أوزير:

تمدنا لوحة «أخونوفرت» التذكارية المحفوظة الآن بمتحف «برلين» بملخص لها.

كتاب الطريقين إلى عالم الآخرة «أوزير»

مقدمة:

كان من نتائج الثورة الاجتماعية التى قام بها عامة الشعب من جراء الظلم الذى حاق بهم من طبقات الأشراف فى البلاد أن انقلبت الأوضاع الاجتماعية المألوفة رأسًا على عقب، فأصبح السيد مسودًا، وصار الفقير غنيًا، فسارت الفوضى مدة من الزمان مما دعا إلى قيام جماعة من حملة الأقلام المصلحين يطالبون بالعدالة الاجتماعية ويندون بالملك الذى كان منزويًا فى عقر داره يلهو ويلعب.

ويعد كتاب الطريقين حلقة الوصل التى تربط بين «متون الاهرام» وهى الخاصة بالملوك وبين الكتب التى ظهرت فى عهد الدولة الحديثة مثل «المرشد» الذى يسمى «ما يوجد فى عالم الآخرة السفلى» ومثل «كتاب البوابات» وهذان الكتابان كان يستعملهما الملوك والشعب على السواء، على أن الباحث المحقق يجد أن الفكرتين اللتين احتواهما «كتاب الطريقين» لا يخرجان عن تلخيص لكل من المذهب الشمسى (ديانة الملوك) والمذهب الأوزيرى (ديانة الشعب).

جنة الفرعون السماوية كانت محرمة على الشعب، وكانت جنة الشعب مركزها الأرض.

الجزء الرابع

عهد الهكسوس
وتأسيس الإمبراطورية

تمهيد

إن عهد الدولة الوسطى كان عصر حضارة ورقى، وفن عظيم وخلفه عهد مظلم حالك. كان ملوك هذه الدولة لايكاد يستقر أحدهم فى عرشه حتى تتزلزل قواعده، ويهوى بين عشية وضحاها، وهكذا ظلت هذه الحال المفجعة تطغى على البلاد، على إثر سقوط الأسرة الثانية عشرة، حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة، عندما ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا زمام البلاد. لقد تسربوا إليها ببطء وعلى مهل، حتى إذا نشروا ثقافتهم ومبادئهم، ووضحت أمامهم سبل مصر وشعابها، انقضوا عليها بجيش جرار، سيطروا به على الدلتا فى بادئ الأمر، ثم امتد سلطانهم إلى مصر الوسطى.

ولم يكن هؤلاء الغزاة الذين اجتاحوا مصر جملة حوالى عام ١٧٣٠ ق.م) همجًا ولا متوحشين، بل كانوا مثقفين ذوى حضارة وعرفان، فنهلت مصر من موردهم، واستنارت بمدنيتهم التى انتظمت فنون الحرب، ونواحى الصناعة وأخذت عنهم كثيرًا من المخترعات التى لم تعرف قبل فى وادى النيل. واستيقظ الروح القومى، وهب الوعى المصرى، وشعر بما تعانيه البلاد من ذل ومهانة.

وهب المصريون إلى ساحة القتال يناضلون لاستقلال بلادهم، يقودهم سلسلة من ملوك مصر الشجعان، لتخليص البلاد من النير الأجنبى. ولقد أسهم الجنود

السودانيون الشجعان فى القضاء على هذا العدو المشترك منذ بداية الأمر، إذ كانوا يؤلفون فرقة فى جيش الفرعون.. كامس».

وقد كان «أحمس الأول» مُجْلِى الهكسوس عن البلاد، وأول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، المؤسس الأول لبناء الامبراطورية المصرية. أما الفلاح فكان يعمل لسيدة بقلب مطمئن ونفس راضية، لأن صاحب الأرض، والموظفين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد لم يكونوا من طبقة أشراف وراثيين، بل كانوا أفرادًا من عامة الشعب، شقوا طريقهم إلى المجد والرفعة بما قاموا به من خدمات مخلصة لبلادهم وللفرعون فى ساحة القتال، أو فى تسيير دفة الحكم فى البلاد. وتجد موظفًا يفخر فى مقبرته بأنه نشأ من أبوين رقيقى الحال. ونشاهده وقد أرسله الفرعون فى بعثة إلى «سوريا» أو «فلسطين» أو «السودان» لإنجاز مهام سياسية أو لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور. وقد عنى الموظف بتصوير حياته الحكومية، معددًا لنا ما كان متصنعًا به من فضائل وعدالة فذة.

هؤلاء العظماء وكبار الموظفين لم ينسوا أن يصوروا لنا على جدران مزار مقابرهم نصيبهم من الحياة الدنيا ومتاعها، فقد صوروا لنا مناظر خروجهم للعيد والقنص فى عرباتهم المطهمة، تتبعهم كلابهم المدربة. ونشاهد ما كان عليه المصرى صاحب اليسار من أناقة الملبس والتهام أشهى الأطعمة المختلفة الألوان، وفى هذا الحفل ترى أواصر الأسرة المحكمة والحب المتبادل، كما ترى من ناحية أخرى مقدار ما وصل إليه المثَّال من الدقة والإبداع فى إخراج الصور وتنسيقها.

وقد أتى على مصر فترة فى عهد هذه الأسرة كان الفلاح فيها سعيد الحال موفور العيش لدرجة أنه كان يرتدى الملابس الجميلة، وينتعل النعال المتينة فى أثناء قيامه بحصد المحصول مما يتمناه فلاح مصر اليوم. كان المصرى فى كل مناظر قبره يدون الصلوات والتعاويذ الدينية، كما كان يعد أكبر مواطن أحب وطنه إذا كان يعده متاعه فى الحياة الدنيا، ونعيمه المقيم فى عالم الآخرة، لأنه كان يعتقد أن جنة عالم الآخرة ليست إلا صورة أخرى لمصر وطنه المحبوب.

ومناظر مزارات قبور النبلاء تكشف لنا عن حياة الشعب الاجتماعية. ومقبرة الوزير «رخ مى رع» الذى يعدّ بحق أعظم وزراء مصر. فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، بل فى التاريخ المصرى كله تعطينا فكرة واضحة عن تنصيب الوزير ومهام وظيفته فى قاعة العدل واستقباله للوفود من الممتلكات المصرية، والمعاملة الحسنة لأسرى الحرب. بل نعرف عن الحرف والمهن والمسئوليات وخُلق الوزير الكريم والمكانة الفذة. ومناظر المقبرة تصف لنا الحياة المصرية كما كانت عليه منذ ٣٥٠٠ سنة تقريبًا. وهذا هو التاريخ الحىّ الحق، ذلك التاريخ الذى يعنى بالشعب وحياته من كل الوجوه. وكما عرَّف أحد المؤرخين المحدّثين علم التاريخ بأنه هو «علم الاجتماع».

وفى المعابد سجلات دونت عليها حروب ملوك مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والبعثة البحرية السليمة التى أرسلتها «حتشبسوت» إلى بلاد بنت. وزيادة نفوذ الطائفة الدينية تسببت فى انحلال البلاد. لقد ضرب لنا الوزير«وسر» ومن بعده الوزير «رخ مى رع» المثال بأن عمل رئيس الوزراء ينحصر فى إسعاد مصر وراحة شعبها بتوفير أسباب العدالة الاجتماعية.

الدولة الوسطى: الأسرة الثالثة عشرة

مقدمة:

ملوك الأسـرة الثالثة عشـرة كانوا نحـو ستين فرعـونًا، وأنهم اتخذوا مـدينة «طيبة» عاصمة لملكهم، وأنهم حكموا نحو ثلاثة وخمسين وأربعمائة عام ثم خلفهم ملوك الأسرة الرابعة عشرة واتخذوا مدينة «سخا» من أعمال الدلتا مقرا لملكهم، وكان ملوكها ستة وسبعين فرعونًا حكموا نحو أربعة وثمانين ومائة عام. وفى عهد هذه الأسـرة كانت كارثة غزو البلاد بقـوم من الأجانب يعـرفون بـ «الهكسوس» أو ملوك الرعاة والمعروف أن هؤلاء الفاتحين ظلوا يسيطرون على البلاد طيلة عهد الأسرتين الخامسة عشرة - وملوكها ست - والسادسة عشرة - وفراعينها اثنان وثلاثون فرعونًا -.

وهناك سلسلة الملوك المزدوجة من الهكسوس والمصريين الذين ظهروا فى عهد الأسرة السابعة عشرة. ويلاحظ أن قائمة الكرنك المنسوبة إلى «تحتمس الثالث» قد تجاهلت أسماء ملوك «الهكسوس» التجاهل كله. أما عن الآلهة فى عهد الدولة الوسطى، فقد أخذ الإله «أوزير» يحتل مكانة عظيمة حتى أصبح يعتبر أعظم الآلهة شأنًا، وبخاصة فى إقامة شعائره الدينية.

نظرة عامة فى حكم الأسرة الثالثة عشرة

إننا نلمس اضطراب البيت المالك، فما يكاد الفرعون يستقر فى عرشه حتى يغتصب منه المُلك ويطرد ثم يتلوه غيره، وتتجدد معه المأساة. مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المشين.

الأسرة الرابعة عشرة

لم يحكموا الوجه القبلى، بل كان سلطانهم منكمشًا غرب الدلتا حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرق الوجه البحرى.

عهد الهكسوس

مقدمة: يكاد يكون من المتفق عليه الآن أن تاريخ طردهم من أرض الكنانة كان حوالى عام ١٥٨٠ ق.م على يد الفرعون أحمس الأول. وكانوا قد أصبحوا أصحاب سلطان فى أرض الدلتا حوالى عام ١٧٣٠ق.م. وهناك أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية فى وادى النيل منذ عهد الملك «سنوسرت الثانى» (١٩٠٦ - ١٨٨٧) ق.م. فغزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بين عشية وضحاها، ولكنه قد تم تدريجيًا وعلى مهل. فلم يدخلوا البلاد دفعة واحدة، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة.

أما ثقافة الهكسوس فقد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص إلى مدة لايستهان بها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة. أما من جهة فلسطين فإنا نعتقد أن «تحتمس الثالث» قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على أطماعهم فيها وعلى نفوذهم فى «آسيا».

تفسير كلمة هكسوس: كلمة «هكسوس» تنسب نشأتها للمؤرخ «مانيتون» فهى مركبة من كلمتى «حقاو» و «خاسوت» ومعناها «حكام الأقاليم الأجنبية». والهكسوس على مايظهر كانوا خليطًا من أجناس متباينة مما جعلنا نجهل حقيقة كل شىء عن آلهتهم أو الإله المرشد لقبيلتهم. وقد وحدوا الإلهين «بعل» و «تشب» بالإله «ست» حيث إنه بوصفه إله الحرب قد ظهر فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين آلهة الأسيويين مما حبب فيه الهكسوس.

«تانيس» = «أواريس» = «بر رعمسيس»

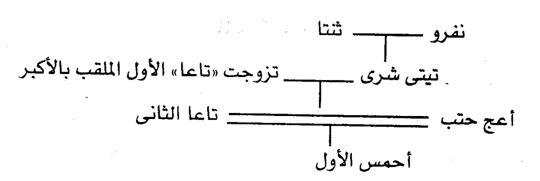
هذه الأسماء الثلاثة قد تدل على مدينة واحدة بعينها. أما عن ملوك الهكسوس فكل مالدينا لايمكننا ترتيبها ترتيبًا تاريخيًا متسلسلاً. وأشهرهم «أبوفيس» و «خيان».

الملك سنخت إن رع = تاعا الأول وزوجه «تيتى شرى»

حسب نظرية «وتلك» يكون «سنخت إن رع» هو «تاعا الأول»، وقد لقب بالأكبر، وهو والد «سقنن رع تاعا» الثانى جدّ «أحمس» الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة. وعلى ذلك يكون «سنخت إن رع تاعا» الأكبر زوج الملكة «تيتى شرى» التى كانت جدة «أحمس» وتنسب «تيتى شرى» إلى أسرة من عامة الشعب، فقد كانت تلقب «بالأم الملكية» «تيتى شرى».

الملك سقن رع «تاعا» الثانى

كان الفرعون «سقنن رع تاعا» الثانى من أعظم ملوك مصر وأمجدهم فى تاريخ البلاد، إذ تدل كل الأحوال على أنه فى عهده قد بدأ النضال الفعلى لطرد الهكسوس من مصر، وتخليص البلاد من النير الأجنبى الذى ظل يثقل عاتقها حقبة طويلة من الزمن.



وصف تابوت الملك سقنن رع: التابوت الخشبى كان محلى برسم ريش عليه وتغطيه طبقة من الذهب.

الملك سقنن رع يموت فى ساحة القتال: ويظهر هذا من الجروح التى فى رأسه والتى تدل أيضًا بأنه فريسة هجمة غادرة قام بها عدوَّان أو يزيد، فقد أُخذ على غِرَّة عندما كان نائما فى فراشه. فالسيوف والعصى على وجهه هشمته وهو ملقى طريحا وتدل شواهد الأحوال على أن تجهيز الجثة للدفن كان على عجل.

الكشف عن تابوت الملكة «أعج حتب»: عام ١٨٥٩م وكان يحتوى على مجوهراتها فى التراب القريب من «ذراع أبو النجا».

التعرف على شخصية «أحمس نفرتارى» ولما كانت «أعج حتب» الابنة الملكية العظيمة قد تزوجت من أخيها «تاعا» الثانى، فإن هذه الابنة الملكية «أحمس» كانت لاشك.. «أحمس نفرتارى» التى نعرفها بوصفها أخت الفرعون «أحمس» وزوجه.

بداية المناوشات مع الهكسوس

تدل شواهد الأحوال على أن الفرعون «تاعا» الثانى الملقب بالشجاع هو أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة. وظاهر الخلاف هو أن «أبو فيس» ملك الهكسوس ادعى وهو فى.. أواريس» الواقعة فى شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى «بحيرة طيبة» تزعجه وتُقّض مضجعه لقوتها، على الرغم من أن المسافة بين «طيبة» و «أواريس» تبلغ نحو ٥٠٠ ميل. وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة لإعلان الحرب.

الملك كامس

يعتبر الملك «واز خبر رع كامس» آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة من أبرز الشخصيات الملكية فى التاريخ المصرى القديم، لأن الحرب قد بدأت فى عهده وقد كشف «مريث» فى ديسمبر ١٨٥٧ عن تابوت الملك «كامس» فى جبانة «ذراع أبو النجا» ولقد لوحظ أن المومياء لم تجهز للدفن بعناية. ووجد خنجر وجعران وبعض تعاويذ داخل تابوت هذا الملك. وتدل ظواهر الأمور على أن الفرعون قد قضى نحبه بعد حكم قصير، فلم يستطع أن يجهز لنفسه تابوتًا ملكيًا يتفق مع ملكه، ولذلك نجد أن خلفه قد دفنه بعد وفاته بزمن قصير فى تابوت رخيص.

والجدير بالملاحظة أن نجد كامس يطلق عليه اسم التتويج «واز خبر رع» الأمير الشجاع، «وأمير الجنوب» و «الأمير العظيم» ولم يتخذ لنفسه اسما شمسيًا وحسب، فأضاف لاسمه الشخصى نعت «الشجاع».. لقد مزجوا أسماءهم بصفات الشجاعة. فنعت «سقنن رع» أول مناضل مع الهكسوس نفسه بالشجاع، ثم خلفه «كامس» وسمى نفسه «بالأمير الشجاع» ثم جاء بعده «أحمس» فأطلق على نفسه «أمير الأرضين» وأخيرًا جاء «تحتمس» الأول وقلد جده فسمى نفسه كذلك «أمير الأرْضَين»

لوح كارنرفون الخاص بحروب الملك «كامس»

محتويات هذا اللوح: «كامس» أراد أن يخلص مصر من قبضة الأسيويين الذين لم يكونوا يملكون الدلتا وحدها، بل كانوا وقتئذ قد زحفوا نحو الجنوب حتى مصر الوسطى. فجهز جيوشه وأقلع شمالاً منحدرًا فى النيل وهزم الهكسوس هزيمة منكرة عند «نفروس»، وهذا المكان غير معروف موقعه، ولكنه على مايظهر يقع على مسافة بضعة أميال شمالى «الأشمونين» وخلف «أحمس الأول» على عرش الملك (١٥٨٠ - ١٥٥٧) الملك «كامس» وحسب ماجاء فى «مانيتون» مؤسس الأسرة الثامنة عشرة.

ما نستخلصه من رواية أحمس بن أبانا عن حروب الهكسوس:

الهكسوس كانوا قد حملوا على «أحمس» خمس حملات أربعًا منها فى «أواريس» نفسها. وعند نهاية الهجوم الخامس والأخير قضى على النفوذ الأجنبى جميعه.

الدور الذى قام به أحمس «بنخبت» فى حروب الهكسوس:

الحملة التى قام بها «أحمس» الأول على الهكسوس لم تكن نهايتها سقوط «شاروهين»

والعالم «برستيد» رأى أن آخر طائفة للهكسوس لم يُقْضَ عليها إلا فى حروب «تحتمس» الثالث.

طراز فخار تل اليهودية: وأحسن طراز معروف خاص بعصر الهكسوس هو ما يسمى طراز «تل اليهودية» وقد سمى بذلك من اسم موقع مهم ينسب للهكسوس فى الدلتا، حيث قد وجد فيه هذا النوع من الفخار بكثرة وقد كان الهكسوس أصحاب نشاط كذلك فى ميدان صناعة المعادن. فقد أحضروا معهم البرنز إلى البلاد فى صورة راقية رقيًا بارعًا. أما عن تحصينات الهكسوس فكانت من أعظم التحصينات.

الهكسوس يجلبون الخيل والعربات إلى مصر: وإذا كنا نرى أن كثيرًا من نجاح الهكسوس يُعزى إلى أسلحتهم المتفوقة وحصونهم الممتازة. فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الخيل والعربات قد لعبت دورًا كبيرًا فى أقدارهم. لقد جلبوا هذه العناصر المهمة من المدنية إلى مصر.

عظم مدَنِيَّة الهكسوس: إنهم قوم على جانب عظيم من المدنية. فصفاتهم الحربية ظاهرة فى كثير من المواد التى شاهدناها حتى الآن. وكانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعى الصحيح. وكان الحداد، وصائغ المجوهرات كل يُنْتِج فى صناعته بمهارة فائقة. والإتقان فى ميدان صناعة المعادن يدل عليه عمل السبائك والتفنُّن فيها. وكانت محاصيل الهكسوس تُشحن إلى قبرص.

وقد ترك الهكسوس آثارا عديدة فى عدة أماكن، ففى «بوهن» القريبة من (وادى حلفا) من أعمال بلاد النوبة عثر على عدة أوان من طراز «تل اليهودية»

وتركوا آثارًا فى الفيوم واللشت وكاهون وببلوحى. وينسب إلى الهكسوس ذلك السيف «خبش»، والشكل الحلزونى أيضًا.

موازنة بين هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين: كان أول ظهور معروف الكاسيين فى «بابل» فى خلال حكم الملك «حمورابى» (١٩٤٧ ـ ١٩٠٥ ق.م) وعلى إثر غارة «الخيتا» على «بابل» أضحت البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية أما الهكسوس فقد استولوا على مصر من غير معركة.. فقبلها كانوا يحضرون إلى مصر بوصفهم نزلاء مسالمين.

عصر الهكسوس المتأخر

ظهر فى هذا العصر طراز من الفخار ذى لونين من صنع الحورانيين. والأسرتان اللتان خصصهما «مانيتون» لعهد الهكسوس لم يمتد أجلهما أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان. وفى فلسطين نجد أن الفخار الحوارنى فى هذا العصر الذى امتدَّ من عام ١٦٥٠ ق.م حتى عام ١٤٤٥ق.م. وذلك عندما أخمد. أمنتحتب الثانى.. ثورة أوقد نارها القوم الذين حاربوا والده سنين عدة. وكان العالم «الكنعانى» الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البلاد يرتكز إلى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس.

السلالات التى تألف منها شعب الهكسوس

القليل الذى لدينا من البراهين الخاصة بفحص الهياكل العظمية، يدل على أن جنسًا من أجناس البحر الأبيض المتوسط القدامى، قد حل محله جزئيًا فى خلال عهد الهكسوس جنس يشبه الجنس الألبى.. ويحتمل أن عددًا من السلالات قد اشتركت فى تنشئة الهكسوس. وكان يوجد فى الهكسوس عنصر سامى واضح قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس. وهذا ليس بغريب بالنظر إلى التفوق الشامل للسامية (ويشمل ذلك العاموريين والكنعانيين) فى فلسطين وسوريا حول ٢٠٠٠ ق.م. ويقال إن أقوامًا من سلالة غير سامية كانوا يزحفون على حدود عريضة شمالية فظهر الحورانيون فى الأناضول، أما

الكاسيون الذين كان بعض آلهتهم من أصل هندى إيرانى فكانوا ينجرفون كالسيل فى «مسوبوتاميا»، ومن مكان ما خارج فلسطين وسوريا، وهم قوم من الأجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقية، وأفكارًا جديدة فى صناعة الفخار، وكذلك أحضروا الحصان والعربة. ومن الذى أتى بالبرنز؟ ومن الأدلة التى تبرهن على أن الهكسوس قد حاولوا أن يعدوا أنفسهم لقبول الثقافة المصرية مانشاهده فى استعمالهم إشارات هيروغليفية رديئة الصيغ لاتفهم فى نقش عدد عظيم من الجعارين. وهذا يدل على أنهم اتخذوها لغة لهم، وتدل شواهد الأحوال على أن يوسف كان وزيرًا لأحد الفراعنة الهكسوس فى مصر. وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس. وقد وصف يعقوب بأنه آرامى جوال. وكذلك يمكننا أن نشير هنا إلى أن إسحاق ويعقوب كانا قد تزوجا من آراميات.

الأسرة الثامنة عشرة ـ أحمس الأول ١٥٨٠-١٥٥٨ ق.م

لم تمض أربع أو خمس سنوات على بداية النضال العنيف (حرب التحرير) حتى أفلح «أحمس» فى طرد الهكسوس من البلاد جملة بل سار بجيشه حتى بلاد «زاهى» وبعد أن تم له النصر فى هذه الأصقاع الأسيوية عاد ثانية موليا وجهه نحو الحدود الجنوبية حيث كان السود قد اقتنصوا فرصة اشتغاله بالحروب فى آسيا، وزحفوا شمالا نحو البلاد المصرية فلحق بهم، وأعمل السيف فيهم فى مذبحة عظيمة كما دون ذلك على جدران قلعة «سمنة» الملك «تحتمس» الثانى.

وفى السنة الثانية والعشرين من حكمه، حيث نجد «أحمس» قد أقام لوحة عظيمة بمعبد «الكرنك» تكشف لنا عن نواحٍ عدّة من نشاطه، وماقامت به والدته «أعج حتب» من أعمال عظيمة وعلاقتها بجزيرة كريت وملكها.

يبدأ النص بذكر ألقاب الفرعون الخمسة الرسمية ثم طلب الملك إلى رعيته أن يحترموه، وكذلك دعوة القوم إلى تبجيل الملكة «أعج حتب» ومديح تلك الأميرة لما لها من سلطان ثم يذكر الهدايا والمبانى التى أمر الفرعون بإقامتها للإله آمون ثم يشير إلى علاقة مصر بجيرانها وامتداد سلطانه حتى «بوت» العاصمة الدينية للوجه البحرى بعد طرد الهكسوس.

إصلاحات أحمس: بعد أن خلص البلاد من ربق العبودية الأجنبية، وجه عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار إلهه العظيم «آمون» الذى كان بزعمه قد هيأ له النصر على الأعداء، هذا فضلاً عن أنه كان إله الدولة، وحامى حماها، فأمر بصنع أوانٍ جديدة لمعبده «بالكرنك» معظمها من خالص النضار والفضة، والأحجار الغالية على يد أمهر الصناع. ولابد أن الذهب كان يوجد بكثرة فى مصر بعد أن أخضع بلاد النوبة التى كانت أكبر مصدر لهذا المعدن الكريم.

وقام بتحويل عنايته لإعادة بناء المعابد المهمة فى عاصمة الملك. وقد سجل فتح محاجر لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد «بتاح» بمنف ومعبد «آمون» بطيبه. وتحت هذا النقش رسم ستة ثيران تجر زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر.

الملكة نفرتارى: ومما يلفت النظر فى هذه اللوحة بروز اسم الملكة «أحمس نفرتارى» مما يدل على الأهمية العظمى التى كانت تمتاز بها الوارثة الملكية فى الأسرة الفرعونية فى هذا العهد. ومن المدهش أن هذه الملكة كانت تُقدَّسُ أكثر من زوجها، فاللوحة التى أقامها فى العرابة للملكة تيتى شرى: يجد الإنسان فيها التعبير فى الأحاسيس بالبر البنوى نحو الوالدة، إذ الواقع أن «أحمس الأول» وزوجه «نفرتارى» قد أظهرا فى نقوش اللوحة فضل جدتهما عليهما.

مربية الملكة نفرتارى: ومن مشهورات نساء هذا العهد مربية الملكة «نفرتارى» التى تدعى «رى» وقد حُفظ جسمها بين المومياوات الملكية. ويدل بروز أسنان فكها على أنها من الأسرة المالكة.

مومياء أحمس الأول: وتدل مومياء هذا الفرعون الذى تدين له مصر بتحريرها النهائى من ربق عبودية الهكسوس، وبتأسيس أسرة تعدّ من أشهر أسر العالم إن لم تكن أعظمها، مما جعله من أعظم ملوك التاريخ المصرى، على أنه مات فى ربيع العمر بين الأربعين والخمسين. وكذلك نستنبط من مومياءه التى وجدت بين المومياوات التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى، أنها لرجل قوى

الجسم عظيم المنكبين عريضهما، طوله نحو خمسة أقدام، وست بوصات. أسود الشعر مجعده.

عبادة أحمس الأول: والظاهر أن عبادة «أحمس الأول» كانت منتشرة فى البلاد، وبخاصة فى العرابة المدفونة حيث أقيم له ضريح وهمى وشعائر دينية وقد ظلت عبادته حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وبخاصة، لأن تمثاله كان يقوم بالفصل فى المخاصمات التى كانت تقوم بين أفراد الشعب.

رجال الدولة والحياة الاجتماعية فى عهد أحمس الأول

كل فرعون يرغب فى أن يظهر أمام العالم بأنه هو الملك المؤله التقليدى، وكان لذلك تأثيره السىء على فهمنا تاريخ أولئك الملوك. وإذا أردنا أن نعلم شيئًا عن الحالات الاجتماعية المعاصرة لكل فرعون أو نختلس بعض نظرات سانحة عن شخصيات أولئك الفراعنة وشعوبهم، فعلينا أن نوجه عنايتنا وكل اهتمامنا إلى النقوش التى تركها لنا كبار رجال الدولة الذين كانوا يقومون بالأعمال الحكومية فى عهد كل ملك ويتعاملون مع أفراد الشعب من كل الطبقات. ولاشك فى أننا مدينون لمثل أولئك الأفراد ومادونوه على جدران مقابرهم بجزء كبير من تاريخ البلاد الحقيقى؛ أى تاريخ البلاد الاجتماعى. فإن الموظف عندما كان يعدد لنا ما ناله من منح وشرف على يد مليكه يذكر لنا لمحات مهمة عن أعمال سيده وعلاقته بشعبه فمنذ عهد «أحمس الأول» نجد أن الألقاب الدينية المحضة قد أخذت تفسح الطريق لغيرها من الألقاب الحربية والإدارية الجديدة. ولابد أن نشير هنا إلى أن الأفراد الذين كانوا يحملون هذه الألقاب معظمهم من عامة الشعب الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم فى تلك الفترة التى اختفى فيها كل الأمراء الوراثيين الذين قد قضى عليهم منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة.

وكان أول نتائج توسيع رقعة البلاد ومد حدودها فى الجنوب أن عَيَّن الفرعون نائبًا له فى السودان، وكان من جراء ظهور «طيبة» واتخاذها عاصمة للملك بوصفها مقر الإله «آمون» أن عَيَّن لها حاكمًا خاصًا أطلق عليه لقب «عمدة المدينة الجنوبية» كما أصبح للإله «آمون» أملاك خاصة وموظفون مختصون بإدارة شئون أملاكه التى كانت وقفًا عليه فى آسيا وبلاد النوبه.

ومن التجديدات المهمة التى تسترعى الأنظار فى الدولة الحديثة الوظائف والألقاب التى اكتسبتها المرأة فى هذه الفترة، والواقع أن المرأة المصرية لم تكن محجوبة عن الأنظار كما هى العادة فى التقاليد الشرقية؛ بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما فى المجتمع منذ الدولة القديمة، ولكن ظهور المرأة فى المجتمع الراقى قد ازداد زيادة محسة فى عهد الدولة الحديثة، وبخاصة لتمسك القوم بتقاليد وراثة الملك، وما كان للمرأة من نصيب فى حكم البلاد، فكان للملكة حاشيتها الخاصة وأملاكها وموظفوها، وقد عظم سلطان الملكات حتى كنّ يعين أصحاب الحظوة عندهن فى أعلى مناصب الدولة، وكذلك أخذ الفراعنة يتخذون لأنفسهم وصيفات وخليلات ومربيات ومرضعات لأولادهن. وقد نتج عن ذلك أن كل من اتصل بأولئك النسوة عن طريق النسب أو المصاهرة يمنح أعظم الوظائف فى الدولة.

الشخصيات المهمة والمعلومات المهمة: نستطيع أن نستخلص معلومات مهمة من مقابر موظفى عهد «أحمس الأول» فترك لنا «أحمس بن أبانا» تاريخ الحروب التى شنها الفرعون «أحمس» على الهكسوس وكانت نتيجتها طردهم من البلاد. وهذه الوثيقة تعدّ مصدرنا المهم عن حرب الخلاص. ومن جندى آخر ظهر فى بلدة «الكاب» يدعى «أحمس بنخبت» عرفنا الدور المهم الذى لعبه فى حروب الهكسوس. أما «سنى» الذى بدأ حياته فى عهد أحمس الأول حتى عهد «تحتمس الثانى» فقد كانت دائرة عمله فى الأصل بلدة «طيبة» حيث كان يشغل وظيفة «أمير» أو «عمدة المدينة الجنوبية» فقد عُين فيما بعد «نائب الملك صاحب كوش» ولقب بـ «ابن الملك»

ومن مناظر قبر «تتى كى» نأخذ فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة. ونرى عبادة البقرة المقدسة «حتحور» العزيزة سيدة «دندرة»، ونشاهد الملكة «أحمس نفرتارى» تحرق البخور وتصب الماء على قربان محروق وضع أمام البقرة المقدسة. ونرى مناظر وليمة ومناظر الإشراف على الحصاد ومناظر الاحتفال بالجنازة، والمرضعه الملكية.

أمنحتب الأول (١٥٥٧-١٥٣٥ ق.م)

لما لاقى - «أحمس» الأول حتفه كان ابنه «أمنحتب» الأول لايزال حديث السّن لم يبلغ مبلغ الرجال ليتولى العرش بنفسه، فأخذت «نفرتارى» زمام الحكم فى يدها، وأصبحت الوصية على العرش، كما فعلت والدتها «أعج حتب» مع «أحمس» الأول.

حروب أمنحتب الأول: أول حملة قام بها كانت على بلاد «كوش» ثم قام بحملته على اللوبيين. ولا مراء فى أن البلاد المصرية كانت فى حاجة إلى فترة من الراحة، والنزوع عن متابعة الحروب ابتغاء أن تشفى من الجروح التى أصابتها مدة الحروب الطويلة التى عانتها البلاد فى عهد والده وسلفه مع الهكسوس.

وفاة أمنحتب الأول: وقد توفى بعد أن حكم البلاد مايربو على عشرين عاما. ومقبرة هذا الفرعون تعد الأولى بين طائفة المقابر الطويلة العمق التى انتشر نموذجها فى عهد الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

عبادة أمنحتب الأول والملكة نفرتارى: ولا غرابة فى أن يكون قبره عظيمًا بهذا الوصف فإنه كان يعد إلها يقدسه المصريون، ولما كانت أمه «نفرتارى» قد أصبحت فى نظر الشعب تمثل «إزيس» فإنه هو بدوره يمثل «أوزير» حامى الجبانة.

كانت عبادة الفرعون أمنحتب الأول تعد أهم عبادة وأطولهم مدة بين الفراعنة الذين قدسهم الشعب المصرى بعد مماتهم.

العمال وأمنحتب الأول»: والواقع أن أمنحتب الأول كان أول من نحت قبره فى صخور تلال طيبة، فكان أول من أحسن للعمال وأوجد لهم عملاً فى الجبانة الملكية وهم الذين أطلق عليهم خدام «مكان الصدق».

وكان تمثال «أمنحتب الأول» يفصل فى المخاصمات بين العمال بواسطة الوحى الذى كان ينطق به التمثال فى المحراب أو خلال المواكب.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد أمنحتب الأول

ومن مقبرة «رنى بن سبك حتب» وهو من مدينة الكاب، ومن المناظر التى زينتها نتعرف على بعض نواحى الحياة الاجتماعية اليومية فى هذا العصر، وتشمل مناظر زراعية نجد فيها تجديدًا لم يُلحظ من قبل، فنشاهد عربة بخيلها تنتظر «رنى» ليركبها. وذلك خلافا لما نشاهد من مناظر الدولة القديمة إذ كان صاحب الضيعة يركب فى محفته التى كانت تحمل على أكتاف خدمه عندما يريد الإشراف على مزارعه، أو كان يركب فى هودج يحمله حمار. ولكننا نشاهد الآن العربة التى تجرها الجياد تحت تصرف صاحب الضيعة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة. ومن المناظر الطريفة فى هذه المقبرة منظر الإشراف على عدّ الماشية وبخاصة الخنازير. كذلك يشاهد صاحب المقبرة فى وليمة ومعه أفراد من أسرته. ومن النقوش المهمة التى بقيت لنا مدونة على صخور «شط الرجال» نقوش «بن آتى» الذى عاصر ثلاثة فراعنه مبتدئا بالفرعون «أمنحتب الأول» والظاهر أنه كان مكلفًا بقطع الأحجار من هذه الجهة. وتوجد فى متحف «اللوفر» لوحة لموظف يدعى «أتف نفر» وتذكر لنا لوحته أنه كان «حاكم الواحة». وفى المتحف المصرى لوحه أهداها خادم الإله «منتو» رب «أرمنت» للفرعون «أمنحتب الأول»، وفى أسفل اللوحة نشاهد «بازو» (صاحب اللوحة) راكعًا فى هيئة تعبد. وهذا الموظف يشغل وظيفة «رئيس خبازى معبد آمون»، وقدْ عثر له

على لوحة فى خبيئة معبد الكرنك التى كشف عنها «لجرات»، ويشاهد عليها الملكة «أحمس نفرتارى» والفرعون «أمنحتب الأول» يتعبدان لثالوث «طيبة» وهم «آمون» و «موت» و «خنسو».

وذكرنا أن عبادة كل من «أمنحتب الأول والملكة «أحمس نفرتارى» كانت شائعة فى عصرهما وظلت بعدهما عدّة قرون. وفى عهدهما نجد «حوى» الذى كان يلقب «خادم الإله آمون» قد ترك لنا لوحة يتعبد فيها لهما، وكذلك نشاهده يتعبد للفرعون «أحمس الأول».

تحتمس الأول

توج ملكًا على البلاد حوالى عام ١٥٣٥ ق.م. أى بعد وفاة «أمنحتب» مباشرة. وهو يحمل لقب «الثور القوى» وهذا اللقب ينطبق عليه وعلى ماقام به من أعمال الشجاعة. إذ كان طويل القامة عريض المنكبين. وكانت كل البلاد السودانية حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض ملكًا للفرعون، وكان الآلهة المصريون يعبدون فى «نباتا» كما كانوا يعبدون فى «طيبة».

ولما قام أهالى السودان ببعض المناوشات سار على رأس جيشه حتى وصل إلى «تومبس» الواقعة بعد الشلال الثالث مباشرة، وخلع كل أمير مُعاد لمصر. أما عن حروبه فى النهرين فقد وصل فى زحفه على نهر الفرات إلى المنحنى العظيم بالقرب من «قرقميش». وقد جاء فى النص الذى تناول حروبه فى آسيا بأن مياه نهر الفرات تسير عكس مياه النيل؛ لأنها تسير من الشمال إلى الجنوب فى حين أن مياه النيل تسير من الجنوب إلى الشمال. (أى أنها الماء المقلوب).

مبانى تحتمس الأول: إقامة أعمدة خلف البوابة الخامسة فى معبد الكرنك، إقامة مسلتين أمام البوابة الرابعة. ولاتزال مسلة منهما منصوبة فى مكانها أما التى فى الشمال فهى ملقاة الآن على الأرض.

وقد كان يدير أعمال البناء رجل عظيم يدعى «إننى» وهو الذى كان يقوم لسلفه «أمنحتب» بأعمال البناء، ومن الجمل التى تلفت النظر فيما جاء على لسان «إننى» قوله عن قبر الملك: «وأشرفت على كيفية حفر قبر الملك، وكنت وحيداً، ولم يره أحد ولم يسمع إنسان به». وهذه الجملة تشعرنا بالتكتم الهائل الذى كان يتخذ عند حفر قبر الملك بسبب الخوف من أن ينهبه اللصوص. وانتخب مكانا لمدفنه فى الركن الجنوبى من الوادى العظيم المشهور الآن باسم «وادى مقابر الملوك » وقد كان فى ذلك الوقت واديا قاحلاً لم تمسه يد إنسان.

كانت أول، ماوجه إليه عنايته بعد الكرنك الإصلاحات التى قام بها فى معبد «العرابة المدفونة» الذى كان يهتم به كل ملك مصرى تقريبا. فتم تجديد قارب الإله المقدس الذى كان يسبح فيه. كما أمر بنحت تماثيل للتاسوع الأعظم الذين فى العرابة. واهتمام الملوك بالعرابة راجع إلى مكانه «أوزير» أعظم الآلهة فى أعين الشعب المصرى وملوكه بوصفه إله الآخرة.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد «تحتمس الأول»

إن اللوحة الجنائزية التى تركها لنا «باحرى» عليها نقش دينى يعد من أهم المصادر عن ديانة القوم فى هذا العهد. فهو يتحدث عن الإلة «آمون»، «الذى خلق الناس والآلهة واللهيب الحى الذى يخرج من المحيط الأزلى (نون) ويمنح الناس النور»... وفى خطاب عن مصير المتوفى فى عالم الآخرة: «إنك تدخل وتخرج (من القبر)، وقلبك فرح بحظوة رب الآلهة (آمون)... وتصير روحاحية تحصل (أى الروح) على الخبر والماء والهواء، وتتحول إلى بجعة (فنكس) أو حمامة أو باشق، أو طائر كما تحب... وسيحدث أنك تعيش مرة ثانية، ولاتبعد روحك عن جسمك، وتؤله روحك مع المنعمين.

ومن المناظر الاجتماعية والخاصة فى مقبرة «باحرى» مناظر جنائزية عامة، وهذه المناظر قد شفعت لحسن الحظ بنقوش مفسرة لها مما جعلها ذات مزايا عظيمة، وبخاصة لأنها تلقى بعض الضوء على حياة القوم اليومية وأعمالهم بما

فيها من فكاهات ومداعبات حلوة قبل أن نحصل عليها فى وثائق تلك الأزمان السحيقة. فنرى عربة «باحرى» تنتظره، ونشاهد أمام «باحرى» منظر الزرع والحرث وعمال يجرون محراثًا . والقمح وقد نضج والعامل يغنى وهو سائر. والكاتب يدون حساب الحيوان. ثم نرى «باحرى» يسير إلى شاطئ النهر على قدميه حيث يرقب شحن السفن المحملة بالغلال المستحقة لمخازن غلال الحكومة . ومنظر وليمة وقد جمعت بين مناظر الدنيا ومناظر الآخرة.

الفرعون تحتمس الثانى

تولى «تحتمس» الثانى العرش بعد أن تزوج من أخته «حتشبسوت» التى كانت المسيطرة على البلاد لأنها كانت الوارثة الحقيقية للعرش. وقامت ثورة فى بلاد النوبة وأخضعها تحتمس الثانى. ومن نقش فى واحة الفرافرة نشعر بأن هذا الفرعون قد أخضع القبائل اللوبية التى كانت تسكن فى هذه الواحة، والواحات الأخرى الواقعة فى الصحراء الغربية.

مبانى تحتمس الثانى: بدأ تحتمس الثانى إقامة (البوابة) الثامنة، وأقام بعض المبانى فى «إسنا» وفى معبد «قمة». ونحت تمثالا لوالده «تحتمس الأول» وهو محفوظ الآن بمتحف «تورين»

تحسن الأحوال بين تحتمس الثانى وحتشبسوت فى أواخر أيامه: أخذ الجفاء تقل حدته وحل محله بعض الود والمهادنة.

تحتمس الثالث والعقبة فى توليه الملك

من بين الأولاد الذين أنجبهم تحتمس الثانى من زوجات أخريات كان له ولد يُدعى باسمه وكان بارزا وهو الذى تَسمَّى فيما بعد «تحتمس الثالث». كان اسم هذه الزوجة «إزيس» ولم يكن يجرى فى عروقها الدم الملكى. وتدل ظواهر

الأحوال أن والده قد نصبه ملكًا على البلاد على الرغم من صغر سنه، على أن يتـزوج من أختـه «نفـرو رع» عندمـا يبلغ الحلم، ومن ثم جـاءت الفـرصـة «لحتشبسوت» أن تضرب ضربتها السياسية الهائلة التى كانت نتيجتها أن تولت حكم البلاد بوصفها وصية على «تحتمس الثالث» وابنتها «نفرورع» وبعد ذلك نفَّذت ما كانت تصبو إليه فأعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد.

حتشبسوت وتحتمس الثالث

تولى «تحتمس» الثالث عرش الملك غير أن الوصاية بحكم التقاليد والشرع كانت لابد أن تبقى فى يد الملكة «حتشبسوت» مادام «تحتمس» وزوجه «نفرورع» لم يبلغا الحلم. والظاهر أن «حتشبسوت» كانت تفكر منذ توليه «تحتمس» العرش فى تكوين حزب يضم بين أعضائه كل رجالات الدولة المخلصين، الذين أظهروا مهارة وحذقًا من أبناء جيلها لتستعين بهم فى قضاء مآربها، ولتضرب ضربتها الحاسمة عندما تحين الفرصة، على أنه لم يغنها أن تجعل رجال الدولة القدامى لاينفضون من حولها. وقد كان أول من وقع اختيارها عليه من شباب عصرها مدير بيت الإله «آمون» المسمى «سنموت» وقد كان شابًا نشطًا يسترعى محياه النظر. وكان يريد اكتساب حظوة الملكة التى كانت تقبض بيديها القادرتين الخلابتين على أقدار البلاد وإدارتها.

وقد كانت أول خطوة فى توطيد العلاقة الوثيقة بينها أن جعلت «سنموت» المربى الأول لابنتها الابنة الملكية، وأميرة الأرضين والزوجة الإلهية «نفرورع» وأن يكون بجانب ذلك مدير البيت العظيم لأملاكها. وقد كان «سنموت» دائمًا إداريا من الطراز الأول. وفى الوقت الذى كان «سنموت» يجمع الوظائف التى تدر عليه الذهب والفضة تباعا فى الكرنك والقصر كانت «حتشبسوت» وقتئذ المسيطرة الوحيدة التى لامنازع لها فى مصر.

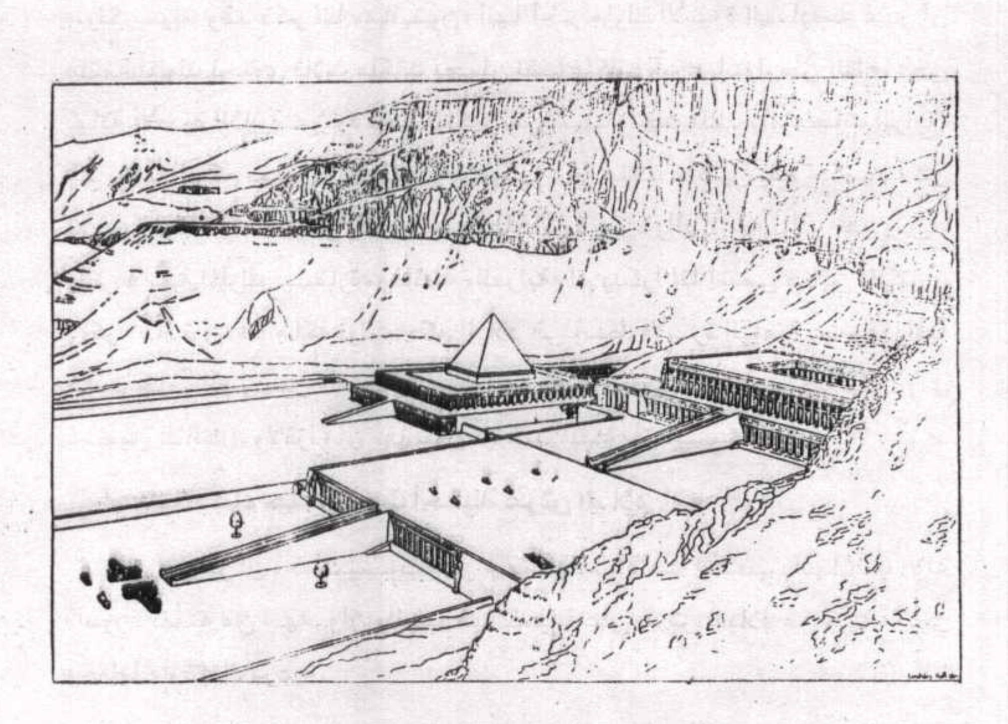
سلطان حتشبسوت والعقبات التى اعترضتها فى تولى العرش

كانت حتشبسوت الحاكمة المطلقة فى البلاد. والواقع أن تولى المرأة حكم البلاد المصرية كان من الأمور النادرة جدًا. فقد ذكر «هيردوت» أن من بين الملوك الذين حكموا مصر وعددهم ٣٣٠ ملكًا لم يكن بينهم إلا ملكة واحدة تسمى «نوتكريس». وقد ذكر لنا «مانيتون» أنها آخر ملوك الأسرة السادسة غير أن قائمة الملوك تحتوى ثلاث ملكات يحملن لقب ملكات شرعيات لِبسْنَ التاج. ففى نهاية الأسرة الثانية عشرة نجد الملكة «نفروسبك» أخت الملك «أمنمحات الرابع» قد تولت الحكم بعد وفاته ويقول «مانيتون» أن هناك ملكتين يقع حكمهما فى الأسرة الثامنة عشرة وأولاهما سماها «أكرفيس» وأنها ابنة الملك «هوروس». ولكن قائمة الملوك «بسقارة» وقائمة «العرابة» لم يذكرا لنا اسمى هاتين الملكتين. وذكر «مانيتون» لنا ملكة تولت حكم البلاد فى وسط الأسرة الثامنة عشرة. وأنها كانت خلف الفرعون «أمنوفيس الأول».. ثم جاء بعدها الملك «تحتمس» (أى تحتمس الثالث). ولانزاع أن «مانيتون» يقصد الملكة حتشبسوت.

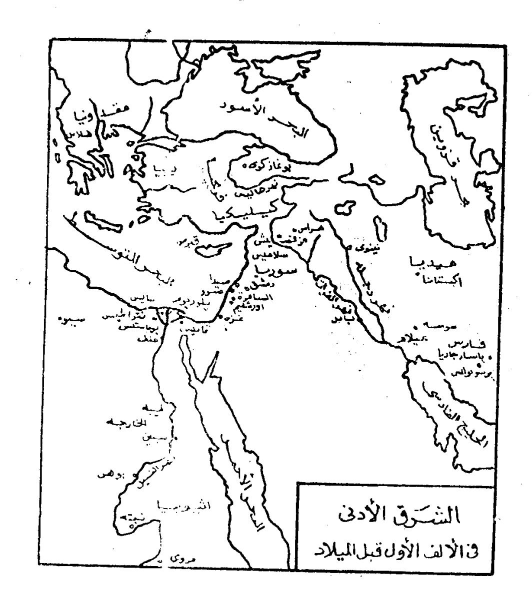
أسباب ادعاء حتشبسوت أحقية عرش البلاد

ومن الجائز أن «حتشبسوت» من جهتها قد أقنعت الشعب بأنها بنت الإله «آمون» نفسه من جهة، وأن والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة أخرى وجعلها وارثته الشرعية.

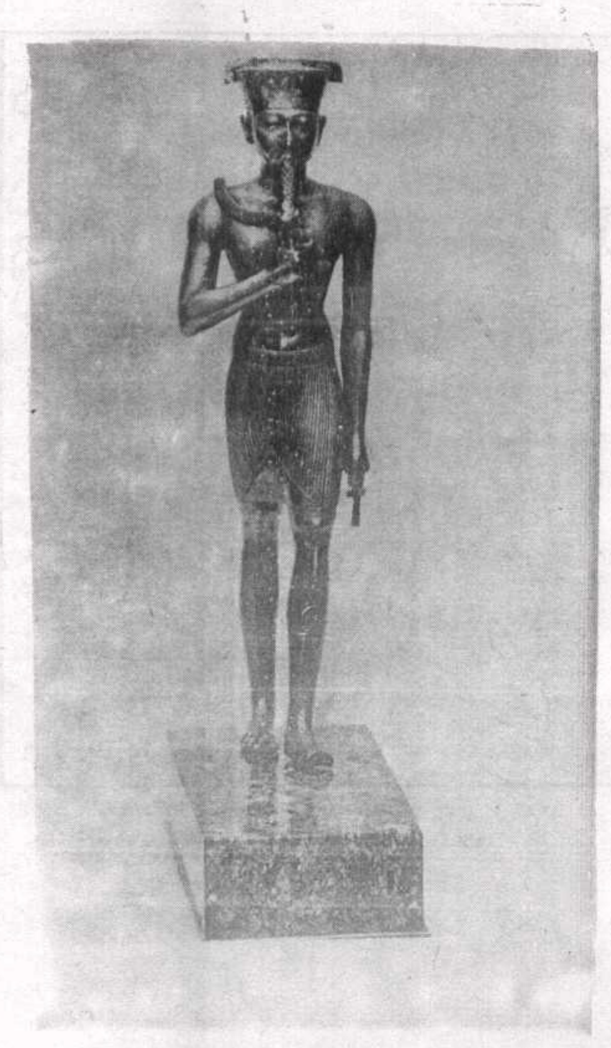
ومن مناظر الدير البحرى يذكر الإله «تحوت» الإله «أمون» بوجود «أحمس» الجميلة زوج الأمير الذى أصبح فيما بعد «تحتمس الأول» ويقترح عليه أن يتقمص صورته عندما يكون الأمير غائبًا، وبذلك يمكنه أن يدخل حجرة الملكة، ثم تحدثنا القصة أن الإله «آمون» قد تزيا بزى «تحتمس الأول» ووجد الملكة فى غفوة فى قصرها الجميل، فأيقظها شذى عطور الإله، وعندئذ ذهب إليها فى الحال وضاجعها.. وسرى حبه فى أعضائها. وبعد ذلك فعل جلالة هذا الإله كل مايرغب فيه ثم قال لها سيكون اسم ابنتى التى وضعتها فى جسمك «خنمت



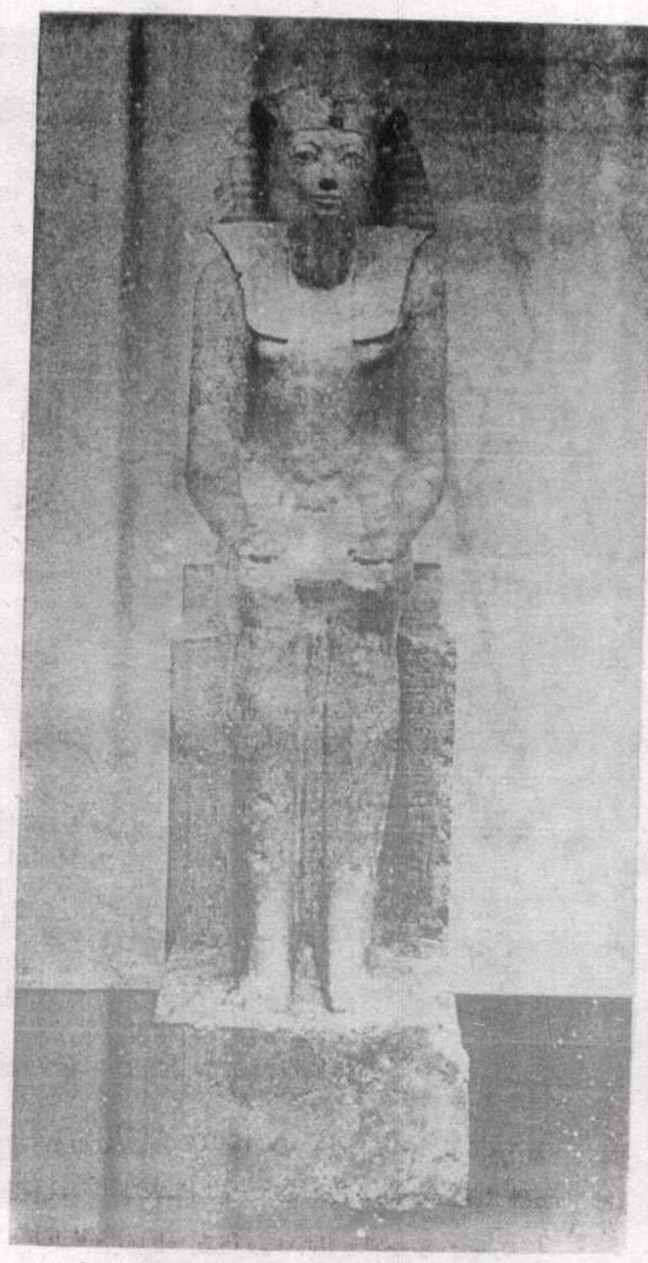
معبد حتشبسوت ومنتوحتب



الشرق فى الألف عام قبل الميلاد

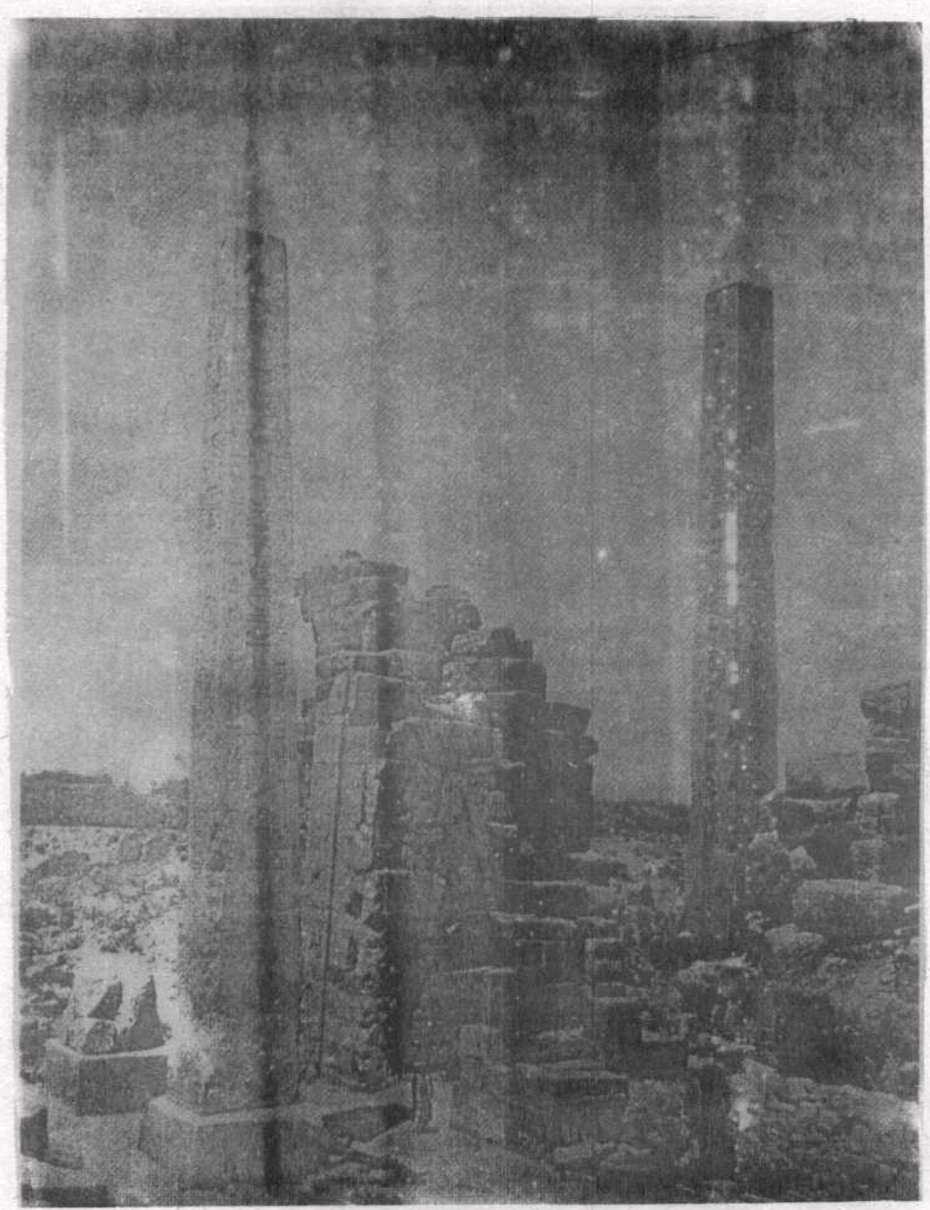


تمثال أمنتحتب الثانى
المتحف المصرى



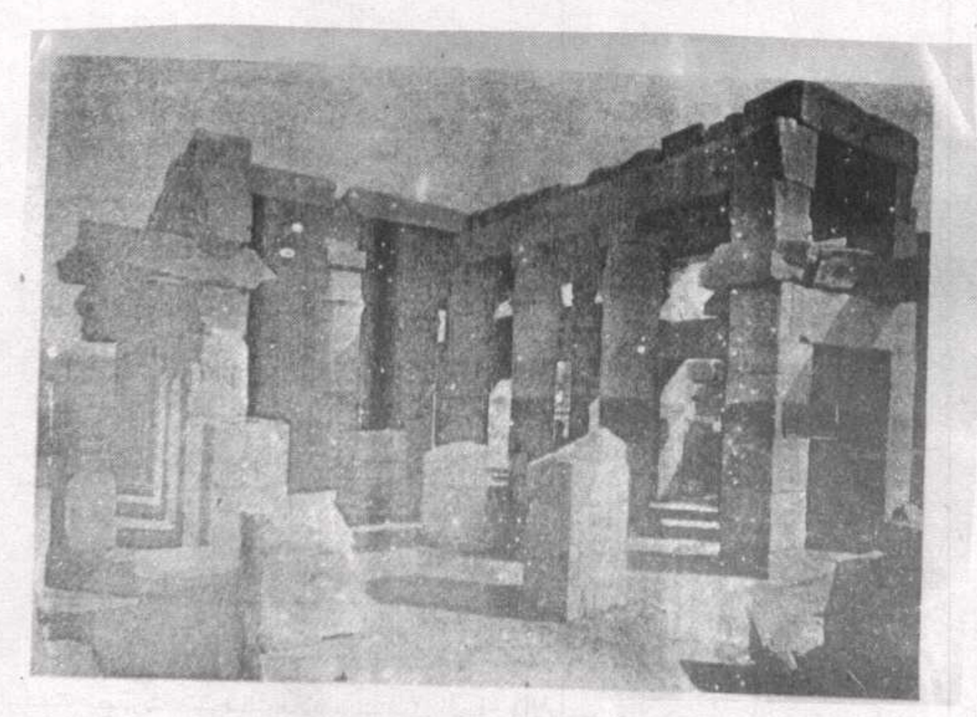
تمثال الملكة حتشبسوت (متحف متروبوليتان للفن)

٢٠٧

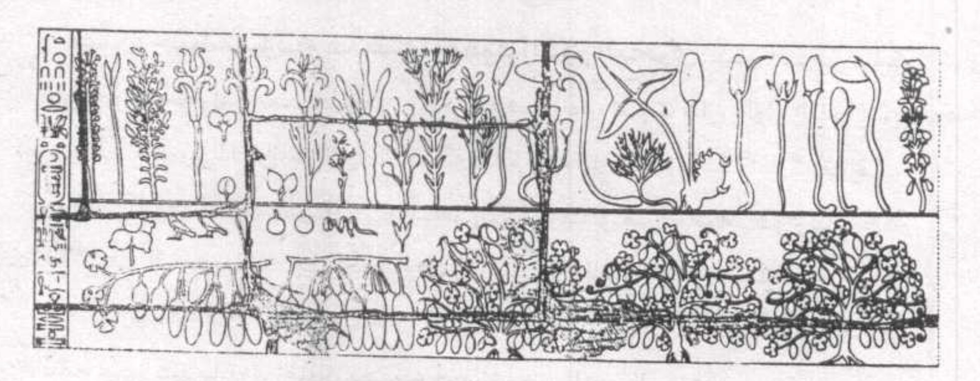


مسلتا تحتمس الأول والملكة حتشبسوت (الكرنك)





قاعة الاحتفالات لتحتمس الثالث (الكرنك)



الحديقة النباتية لتحتمس الثالث (الكرنك)

أمون حتشبسوت» وستتولى الملك فى هذه البلاد قاطبة، وستكون روحى روحها، وسيكون فضلى فضلها، وكذلك «تاجى» حتى يمكنها أن تحكم الأرضين».

وكانت حتشبسوت تقصد من نشر هذه القصة غرضين: الأول لتثبت أنها كانت ابنة تحتمس الدنيوية، والثانى أنها ابنة الإله «آمون» من جسمه. واعتلت عرش البلاد ثلاثة عشر عامًا انزوى فى خلالها «تحتمس الثالث» فلم يسمع عنه التاريخ إلا فى مناسبات قليلة. وتركت «تحتمس الثالث» يعيش فى عزلة وفى أمان.

أعمال حتشبسوت: إقامة معبدها الجنائزى المعروف باسم الدير البحرى: والواقع أن «سنموت» بعد أن أخذ فكرة المعبد عن المهندس «ارتسن» سلفه (بانى معبد منتوحتب الثانى) عمل على تفخيمها وتنسيقها حتى أخرج للناس بناء يمتاز عن سابقه. ونقشت عليه قصة الولادة المقدسة ورحلتها إلى بلاد بنت حيث استحضرت منتجات بلاد بنت مثل العاج والأبنوس والأخشاب الأخرى وجلود الفهد والذهب والبخور والقردة الحية والنسانيس.

مقبرة حتشبسوت وعلاقتها بمعبد الدير البحرى: كان غرض الملكة دفنها تحت محراب معبدها ففى مقبرتها فى وادى الملوك كان طول النفق الذى يؤدى إلى حجرة الدفن حوالى سبعمائة قدم وعمقه عموديا يبلغ ثلاثمائة قدم. كما نقلت مومياء تحتمس الأول والدها إلى قبرها ودفنته ثانيه بجوارها. وهذه المغالاة فى التعبد لوالدها يجعل والد «تحتمس» الثالث وهو «تحتمس» الثانى مغتصبًا أمام القوم. ومن هنا كان حنق «تحتمس الثالث» بسبب هذه الإهانات فانتقم منها عندما تولى الملك بتشويه صورها فى الدير البحرى.

حتشبسوت تقيم مسلات: أقامت مسلتين احتفالا بعيدها الأول الثلاثينى؛ وتذكارًا لوالدها .. «تحتمس الأول» والإله «آمون». ثم أقامت مسلتين أخريين فى معبد الكرنك.

ونحن نعلم أن حتشبسوت اختفت من مسرح الحياة قبل إتمام المعبد، وأن كل أتباعها قد انتقم منهم.. «**تحتمس الثالث**».

مريت رع حتشبسوت زوج تحتمس الثالث: وكانت الزوجة الثانية للفرعون «تحتمس الثالث»: مريت رع حتشبسوت التى لقبت بالزوجة الملكية العظيمة،ووالدة وارث عرش الملك (أمنحتب الثانى) وفضلا عن ذلك فإنه إذا كانت «نفرورع» قد واراها التراب فانتهت وصاية «سنموت» والقيام على تربيتها، فإن عهد حداثة «تحتمس الثالث» وقصر سنه أصبحت كذلك فى خبر كان.

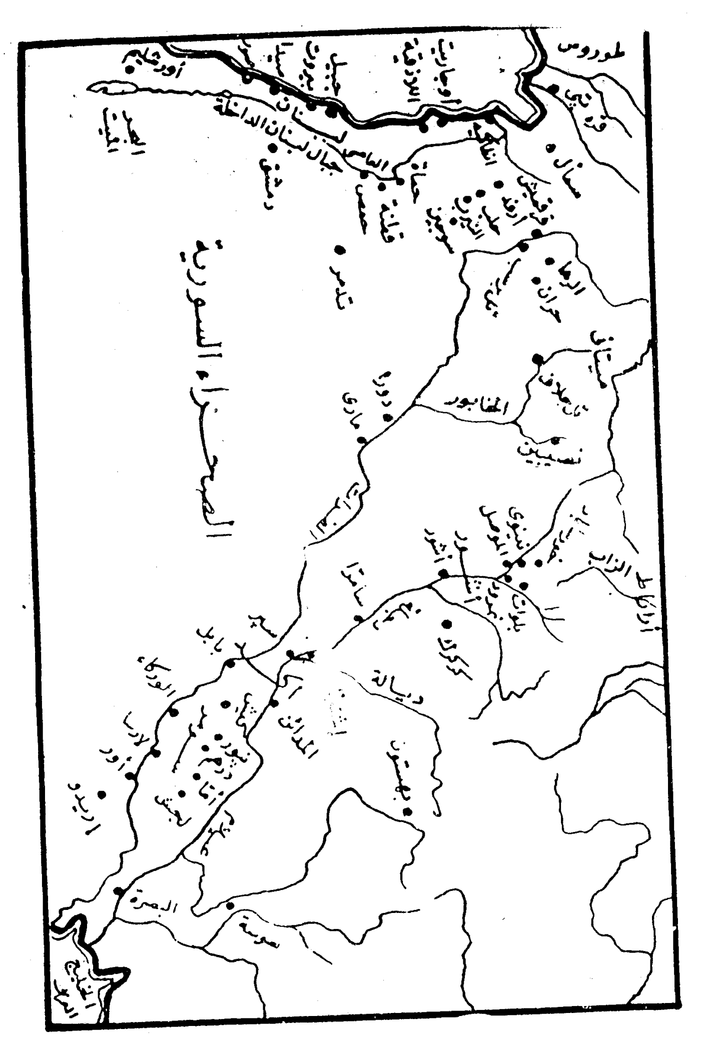
سنموت يقيم قبراً ثانياً لنفسه: حفره تحت معبد الدير البحرى ليخفيه عن أنظار اللصوص، ولكنه لم يدفن فيه، وقد نقشت فيه فصول انتخبت من كتاب «مايوجد فى العالم السفلى»، وكتاب «البوابات» و «كتاب الموتى»، وهى الكتب الدينية التى ترشد روح المتوفى فى الحياة الآخرة. وكان «سنموت» يدرك بأنه إذا ماتت حتشبسوت قبله، فلن يلقى رحمة على يد خلفها.

مكانة الملكة حتشبسوت: من الرسوم الملونة فى قبر «سنموت» نرى صور مبعوثين من «كريت» النائية يحملون للملكة هدايا. وقد تركت آثارًا فى جهات القطر وخارجه وقد أعادت فتح المناجم فى «سرابيط الخادم» فى شبه جزيرة سيناء. وفى الكرنك تركت آثارًا عدة. ،وفى مدينة الكاب عثر على نقش لها هناك، وفى «وادى حلفا» (بوهن) أقامت معبدًا عظيمًا. وتوجد لها لوحة فى «متحف اللوفر». وقد عُثر على صندوق نقش عليه طغراوات الملكة فى خبيئة الدير البحرى.

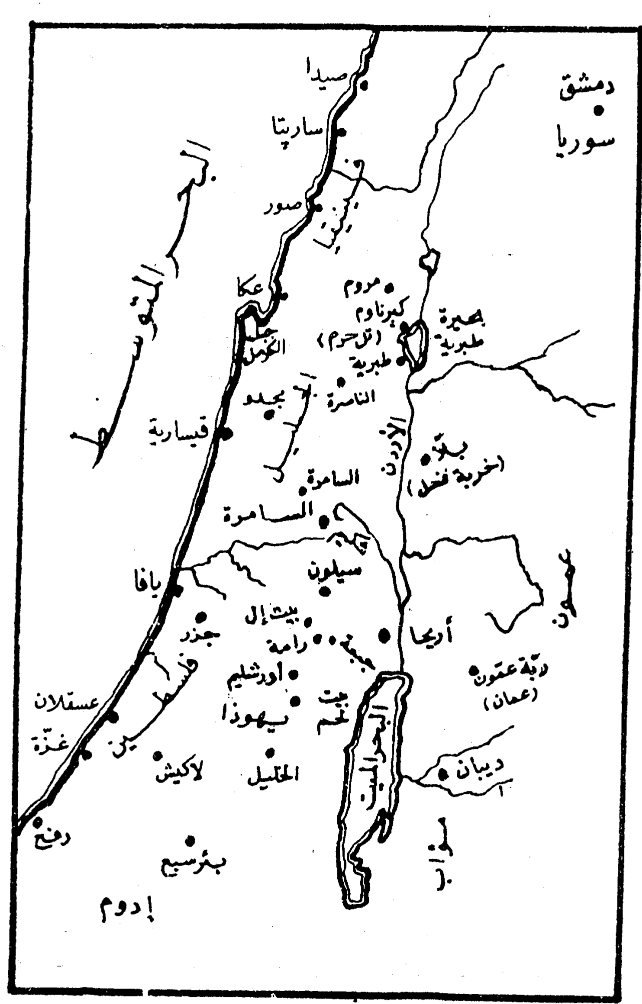
سبب تزييها بزى الرجال: يرجع إلى أن مصر كان لايحكمها الا الرجال.

مصير حتشبسوت: مما يؤسف له أننا لانعلم مصير مومياء هذه الملكة.

عهد حتشبسوت كان عهد رخاء: إن العشرين عامًا التى جنحت فيها عن **الحروب، وعملت على تنمية ثروة البلاد كانت أكبر هدية قدمتها «حتشبسوت» لتحتمس الثالث الذى قلب لها ظهر المجن بعد موتها.**



أرض الرافدين وسوريا


دمشق
سوريا
صيدا
ساربتا
صور
البحر المتوسط
عكا
مروم
كفرناحوم
(تل حوم)
بحيرة
طبرية
طبرية
الكرمل
الناصرة
مجدو
قيسارية
الأردن
بلا
(خربة فحل)
السامرة
السامرة
سيلون
يافا
بيت إل
جزر
رامة
أريحا
أورشليم
بيت
لحم
يهوذا
ربة عمون
(عمان)
عسقلان
غزة
فلسطين
لاكيش
الخليل
ديبان
رفح
بئر سبع
إدوم

فلسطين

تحتمس الثالث.انفراده بالحكم

لم يعترف «تحتمس الثالث» بحكم هذه الملكة بل جعل تواريخه التى تدون بها آثاره تبدأ بالسنة الأولى التى نُصِّب فيها فرعونا لمصر عندما، أعلنه الإله «رع» ووالده «تحتمس الثانى» ملكًا شرعيًا على عرش مصر (١٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق.م.) ونقش منظر تتويجه على جدران معبد الكرنك فى حفل رائع. والمعروف أن والده كان قد وضعه بين أيدى رجال الدين فى معبد «آمون» لتنشئته وتربيته بين أحضان العلم والدين وليحبب إليه الكهنة الذين كان فى أيديهم مقدار عظيم من السلطة والقوة؛ وتدل كل الشواهد على أنه لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره لذلك بدأ حكمه تحت وصاية «حتشبسوت».

كان الخلاف القائم فى مصر على تولية عرش البلاد والجفاء بين «تحتمس الثالث» و «حتشبسوت» معروفا فى الأقطار الأسيوية العامرة بالجمع الغفير من الهكسوس الذين شتت شملهم أسلاف «تحتمس الثالث» وطردوهم من مصر جملة والذين مازال حب الانتقام والأخذ بالثأر يأكل صدورهم وبخاصة أنهم أصبحوا هم المحكومون ويدينون لمصر بالطاعة. وقد أعلنت «سوريا كلها العصيان على مصر بعد أن ألَّفوا حِلْفًا من قبائل آسيا والولايات التى وطدت العزم على

خلع النير المصرى.. وكان الحلف بقيادة ملك «قادش» وكان على الفتى الجسور أن يواجه هذا الحلف، فصمم على الزحف بسرعة خاطفة إلى «قادش» مباشرة ليضرب ضربته الحاسمة هناك.

موقعة مجدو: تعد موقعة «مجدو» التى قابل فيها «تحتمس الثالث» جيوش الحلف السورى بإمْرة حاكم «قادش» أول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم قد بقى منها تفصيلات تذكر، ويرجع الفضل فى ذلك إلى اليوميات التى خلفها «تحتمس الثالث» على أحد جدران معبد الكرنك. فقد سار بجيشه من قلعة «سيلة» (وهى القنطرة الحالية) يوم ١٩ إبريل سنة ١٤٧٩ ق.م. مخترقًا الصحراء وعسكر فى بلدة «يحم» وعقد فيها مجلسًا حربيًا. والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع فى خلالها «تحتمس» أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكامنه.

ولما وصل الملك جنوبى «مجدو» على شاطئ مجرى نهر «قنا» فى مدة سبع سلمات بعد ميل الشمس. وأصدر الملك أمره لرجاله أن يستعدوا؛ لأنه سيخوض غمار حرب عند الصباح الباكر. وهاجم العدو وهزمه بعد أن خدعه، ذلك أنه فى الساعة الأولى من اليوم العشرين انتشر الجيش المصرى عبر نهر «قنا» إلى الشمال الغربى من «مجدو» ثم إلى الجنوب الشرقى فى تل هناك مهددين بقطع مواصلات العدو ببلدة «مجدو» بعد أن ضربوا عليهم الحصار فى وادى «قنا» ولم يكد المصريون يهاجمونهم حتى هزموا وولوا هاربين. وقد هيأت عوامل الرعب والفزع والذعر التى انتشرت بين رجال الجيش السورى فرصة سانحة للجيش المصرى للاستيلاء على المدينة بالهجوم أثناء الاضطراب الذى أحدثه فرار جيش السوريين. غير أن جنود الجيش المصرى لم يكن فى استطاعتهم أن يقاوموا حُبَّ السلب الذى دبَّ فى نفوسهم عندما رأوا أسلاب العدو أمامهم. فضاعت فرصة الاستيلاء على مجدو. وقد امتد زمن حصارها سبعة أشهر استسلمت بعدها المدينة صاغرة.

أعظم شعوب العالم القديم رحمة وإنسانية

يقول الأثرى «ويجول» عن المصريين بأنهم «كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وإنسانية من تصرفات قائدهم «تحتمس الثالث» عندما استسلم الأمراء السوريون خاضعين مسلمين متاعهم ومقدمين طاعتهم لاسم جلالته «طالبين النفس لأنوفهم بعد حصار «مجدو» الذى استمر سبعة أشهر وكان قد أصدر «تحتمس» أوامره لجنوده» لاتجعلوا واحدًا منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتيا ليسلم باب هذه الحصون (أى يلقى سلاحه). وعندما استسلموا وخرجوا.. قائلين «هيئ لنا الفرصة لنسلم لجلالتك الغرامة» تعطف الفرعون وأمر أن يوهبوا نفس الحياة وكان ضمن شروط الهدنة على مايظهر أن يرسل كل أمير وارثه إلى مصر ليتعلم طرائق الحياة المصرية..

بعد ذلك عين الأمراء من جديد، أى أنه صفح عنهم وأعادهم إلى ولاياتهم التى كانوا يحكمونها بوصفهم تابعين له. أما ملك قادش الفارّ فإن المصريين قد أخذوا أسرته رهينة عندهم، والغنائم التى استولى عليها الفرعون تكشف عن ثروة هذه البلاد وتظهر مقدار ما كانت عليه تلك الولايات من التقدم فى الصناعات والحرف وفنون الحياة، ثم استولى فيما بعد من أمير قادش على غنائم أخرى.

وبعد أن تم لتحتمس النصر وجه عنايته لتنظيم الأقاليم التى فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين له وقد تركهم مدة طويلة يحكمون كما شاءوا ماداموا يدفعون الجزية السنوية بانتظام. وصحب معه إلى مصر بِكْر ولدِ كلٍ منهم وأسكنهم فى ناحية خاصة فخمة فى «طيبة».

وأقام «تحتمس» لوحة بها انتصاراته بالقرب من وادى حلفا.. وكان يقيم الأعياد لانتصاراته، ويفرق الهدايا على صعيد آمون. وتلقى رسل من سوريا يحملون الجزية والهدايا من بينها «بنت الأمير ومعها حليها ولازورد من بلاده ومعها كذلك ثلاثون من العبيد». وأخذ الأمراء السوريون يرسلون بناتهم ليكن فى القصر فى خدمة الفرعون بين وصيفاته وهن مجهزات بحليهن وخدمهن

وحشمهن ،ويلاحظ من الآن أن كل هذه الخيرات التى كانت تجبى من سوريا ومن آشور كان للإله «آمون» نصيب وافر منها.

مبان وآثار تحتمس الثالث

أقام معبدًا خاصًا للإله آمون فى الكرنك. وأقام قاعة الأعياد فى الجهة الشرقية من المعبد. وأقام حجرة الأجداد وتقع فى الجهة الجنوبية وهى التى أمر «تحتمس الثالث» بأن تنقش فيها نخبة من أسماء أجداده ملوك مصر. لما تم بناء المعبد فيما بعد نقشت أنواع من الأشجار على جدران إحدى حجراته، ونجد عليها كل النباتات التى وجدها جلالته فى أرض «رتنو» (بلاد سوريا). وقد بقى على الجدران حتى الآن رسم ١٧٥ نباتًا أو أجزاء من نباتات (ويطلق عليها المرشدون السياحيون حديقة النباتات فى الكرنك). وأقام معبد للإله بتاح شمالى معبد الإله «آمون» فى الكرنك (غير معبده الجنائزى) وأهداه للإله «بتاح» إله منف ولزوجه «الإلهة حتحور».

وأقام لوحة من الجرانيت عند جبل «بركال» على مقربة من مدينة «نباتا» حدد بها فتوحه كما أقام لوحة عند نهر الفرات ذكر فيها انتصاراته على الأسيويين وهذه اللوحة بالقرب من مدينة «نى» التى تقع على مسافة أربعين ميلاً فى الشمال الشرقى من حماة. وهناك لوحات تركها لنا فى شبه جزيرة سيناء فى «سرابيط الخادم»، وفى «وادى مغارة» عُثر على نقوش من عهده، وفى «عين شمس» عُثر على لوحة مستديرة أعلاها رسم عليها منظر يشاهد فيه «تحتمس الثالث» يقدم قربانًا للإله «حور آختى»، وفى «البرشة» نقشت على الصخر لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والثلاثين من حكمه وفى «أخميم» نقش منظر يتعبد فيه للإله «آمون مين»، وفى العرابة المدفونة عثر على تمثال ضخم جدًا للإله «أوزير» نقش على ظهره اسم هذا الفرعون، كما وجدت آثار معبد هناك أيضا، وفى «سمهود» وجدت له جعارين وفى «دندرة» وجدت له نقوش فى إحدى الحجرات السرية، وفى «وادى الحمامات» وجد نقش عليه اسم الفرعون مما يدل على أنه كان

يرسل الحملات لقطع الأحجار من هناك أما فى «قفط» فقد بنى معبدًا خاصًا بعبادة الإلة «مين» إله هذه البلدة. وفى مدينة «هابو» أتم المعبد الذى كان قد بُدئ فى بنائه منذ عهد جده. وفى معبد «الأسرة الحادية عشرة» الملاصق لمعبد «حتشبسوت» أقام «تحتمس الثالث» مقصورة صغيرة للبقرة المقدسة التى كانت تعد صورة من صور الإلهة «حتحور» الموكلة بحماية هذه الأماكن الصحراوية، وقد وضع فى هذه المقصورة «تمثال بقرة،» وقد مثّل الفرعون نفسه يرضع اللبن المقدس من ثديها، والمقصورة والتمثال موجودان الآن بالمتحف المصرى. وهناك معبد تحتمس الثالث فى أرمنت. وفى «صفون» (إسنا) وجدت لوحة عظيمة لهذا الفرعون. وفى معبد الإله «سبك» بمدينة «الكاب» عثر على واجهة معبد نقش عليها اسم «تحتمس الثالث» وهناك آثار أخرى له فى معبد «إدفو» وفى «كوم أمبو» وفى «الفنتين» وفى النوبه هناك مبان فى «كلابشه» وفى «كوبان» وفى معبد «كورتى» وفى معبد «أماده» وفى «الزيه» وفى «أبريم» وفى «وادى حلفا».

مسلات تحتمس الثالث: أقام تحتمس الثالث مالا يقل عن سبع مسلات ضخمة مسلتان كانتا منصوبتين أمام (البوابة) السابعة فى الجهة الجنوبية من الكرنك.. ومن المحتمل إن إحداهن هى مسلة القسطنطينية وأقام فى آخر أيامه على ما يظهر مسلة واحدة أمام (البوابة الثامنة فى الجهة الجنوبية من معبد «الكرنك» وأقام مسلة جَدّه فى مكانها وأقام مسلتين فى معبد عين شمس، ونقلت أحداهن إلى لندن والأخرى إلى نيويورك.

تحتمس الثالث والسودان

قام بحملة على السودان فى السنة الخمسين من حكمه، وقد بقى هناك قرابة ثمانية أشهر وأتم إصلاح معبد «سمنة» وإصلاح محراب الفرعون «سنوسرت الثالث» الذى كان مؤله بوصفه بطل مصر الذى فتح السودان.

التماثيل: يوجد لهذا الفرعون تماثيل عدة، غير أن الكبير الحجم على وجه عام قليل ففى الكرنك عثر له على قاعدة تمثال ضخم جالس من الحجر الجيرى الأبيض الصلب، فى النهاية الغربية من واجهة البوابة الثامنة، وفى المتحف

البريطانى يوجد له رأس تمثال ضخم من الجرانيت الأسمر. وفى متحف القاهرة له تمثال أكبر من الحجم الطبيعى بقليل من الحجر الجرانيتى الأحمر عُثر عليه فى «الكرنك».

وفى متحف «تورين» يوجد تمثال جميل من حجر الديوريت الأسود والأبيض، ويوجد له تمثال آخر جالس من الجرانيت الرمادى القاتم بدون رأس عثر عليه عليه فى بلاد النوبة.. أما فى المتحف المصرى فيوجد له التمثال العظيم المصنوع من الشيست الأغبش اللون وبعض من القطع الفنية النادرة المثال، كما يوجد له تمثال آخر منحوت من المرمر الأبيض يمثله راكعًا وفى يده إناءان يحتويان خمر أو ماء وقد عُثر عليه فى دير المدينة، هذا إلى تمثالين له فى صورة «أبو الهول» نُحتا من الجرانيت الأحمر القاتم عثر عليها فى قاعة الأعياد بالكرنك، وفى العرابة المدفونه توجد بقايا جذع تمثال، وفى حجرة خلف قاعة العُمد فى معبد «تحتمس الثالث» بالكرنك وجد تمثالان من الجرانيت الأحمر فى صورة «أبو الهول» ومعهما ما ئدتا قربان، وفى متحف الفاتيكان مائدة قربان جميلة جدا عليها اسم هذا الفرعون.

الجعارين: أما الخواتم التى تتسب إلى «تحتمس الثالث» فقد صنعت من كل المواد إلا الفخار المطلى الذى لم يظهر استعماله إلا فى عهد «تحتمس الرابع».

أما الجعارين التى صنعت فى عهد هذا الفرعون فهى أكثر من أية جعارين صنعت فى عهد أى ملك آخر.

أسرة تحتمس الثالث: على الرغم من أن «مريت رع حتشبسوت» كانت تلقب «الزوجة الملكية العظيمة» أى الزوجة الشرعية، فإن «تحتمس الثالث» كانت له زوجات أخريات ثانويات ونعرف من بينهن اثنتين أولاهما تدعى «مريت آمون» وكانت تلقب «الابنة الملكية» و «الزوجة الملكية» وهذا يعنى أنها كانت بنت «تحتمس الثانى» من زوجة ثانوية، أى أنها كانت أخت «تحتمس الثالث» وزوجه فى آن واحد أما الزوجة الأخرى فتدعى «نبتو» ويعتقد أنها ابنة عم الملك.

أما أولاد هذا الفرعون، فلم يذكر فى قبره إلا اسم الأميرة «نفرتارى» هذا وقد ذكرت أسماء ثلاث أميرات على ثلاث بطاقات بوصفهن بنات «تحتمس الثالث.

وفاة تحتمس الثالث

صعد «تحتمس» العظيم إلى السماء بعد أن جلس على عرش المُلْك أربعة وخمسين حولاً كاملاً وقد دفن فى مقبرة أعدها لنفسه فى «وادى الملوك» وقد كشفت هذه المقبرة فى ربيع سنة ١٨٩٨.

أخلاق تحتمس الثالث ومكانته فى العالم القديم

تحتمس الثالث رجل حرب بطبعه وقد نشأ فى عصر كله حروب وغزوات، وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم فى ساحات القتال. أليس هو «تحتمس الثالث» الذى كان أول من قسم الجيش إلى جناحين وقلب، وأنه هو الذى بجسارته وحُبّه للمغامرة فى سبيل نيل مآربه قد اتخذ أقصر الطرق مع ما فيها من مخاطرة لمهاجمة العدو؟.

على أن «تحتمس الثالث» كانت له نواح أخرى غير الحرب والصيد والقنص فكان يسأل بكل دقه وعناية الموظفين المحليين وكان غرضه من ذلك الضرب على يد المرتشين فى الإدارة المحلية فى أثناء جمع الضرائب. ومما يلفت النظر فى أخلاق هذا الجندى الباسل الذى كان لا ينفك عامًا واحدًا عن منازلة الأعداء، والضرب على يد المنشقين عليه، إنه كان رجلا قد امتاز بشفقته وإنسانيته بل ورحمته للمغلوبين، ونلحظ أن رهائن العدو لا قوا معاملة حسنة ومع كل الصفات وهذه الأخلاق العظيمة كان «تحتمس الثالث» رجلاً صادقًا متدينًا.

الموظفون وحياتهم الاجتماعية فى عهد تحتمس الثالث

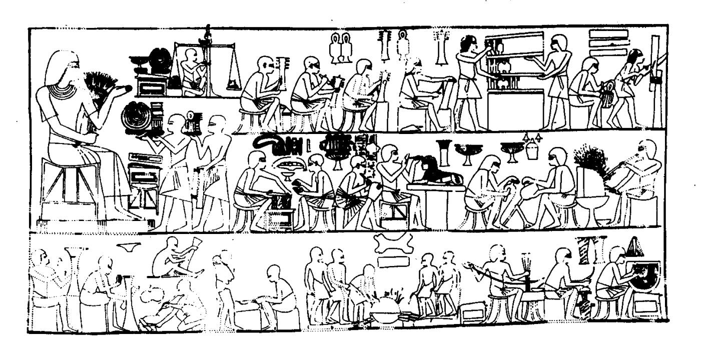
الوزير «وسر آمون» أو «وسر»: يعد الوزير «وسر» من أوائل عظماء الدولة الذين نصَّبهم «تحتمس الثالث» على إثر انفراده بالحكم وهو لا نزاع من رجالات العصر الذين تركوا أثرًا خالدًا فى نظم الحكم.

ولا غرابة إذا كان هو واضع بعض المبادئ القديمة التى سار على نهجها ابن أخيه «رخمى رع»، الذى يعّد أبرز شخصية فى نظر المؤرخ الحديث بما تركه من آثار خالدة فى نقوش قبره، والواقع أن ما بقى لنا من آثار «وسر» يحدّثنا عن عظمته، وما كان للوزير من مقام عظيم ومكانة منفردة فى نفوس الشعب.

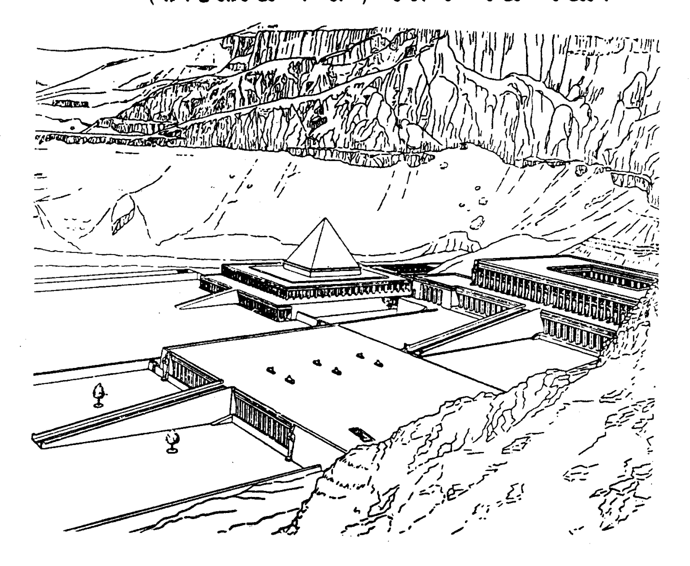
وتزين معظم جدران مقبرته مناظر تبرز أعمال الوزير ووظائفه، وما كان يجب عليه فى اتباع المثل العليا للحق والعدالة التى كانت أهم تقليد يسير على نهجه كل وزير. وفى منظر تنصيبه وزيرًا خلفًا لوالده المسن الذى طلب التقاعد عن العمل وأجيب إلى طلبه وحل ابنه محله فى حضرة الفرعون، ومن نقوش المقبرة نرى وليمة، ونرى الرجال مع نسائهم فى انسجام ملؤه الحب، مع وجود إشارات عابرة إلى نواح خاصة من الحياة القومية فى الكثير من المقابر، مثل حالة المرأة وأعمالها والدور الذى كان يلعبه المعبد والمحاكم والأسواق والخدمة والملاهى فى حياة أبناء الشعب، ومقدار الحرية التى كان يتمتع بها الفلاح والصانع والتاجر.

الوظائف العليا والكهنة:

إن الوظائف العليا التى كان يشغلها الكهنة كانت خاصة بالعمل على رفع نفوذ وزيادة ثروة الإله «آمون» وقوته فى عالم الدنيا، ونرى على مقبرة الكاهن الأول «منخبر رع سنب» منظر إحضار الهدايا أو الجزية للفرعون من البلاد الأجنبية النائية ممثله فى رئيس بلاد «كفتيو»، وأمير بلاد «الخيتا»، وأمير «تونب»، وأمير «قادش». وفى منظر من مقبرة «منخبر رع سنب» أيضا نراه يتسلم جزيه بلاد النوبه ويتسلم ذهب صحراء «قفط» ونراه يفتش مصانع معابد «آمون»، ومنظر للحصاد بوصفه المشرف على مخازن غلال «آمون»، ومناظر الجزية تكررت فى عدة مقابر.



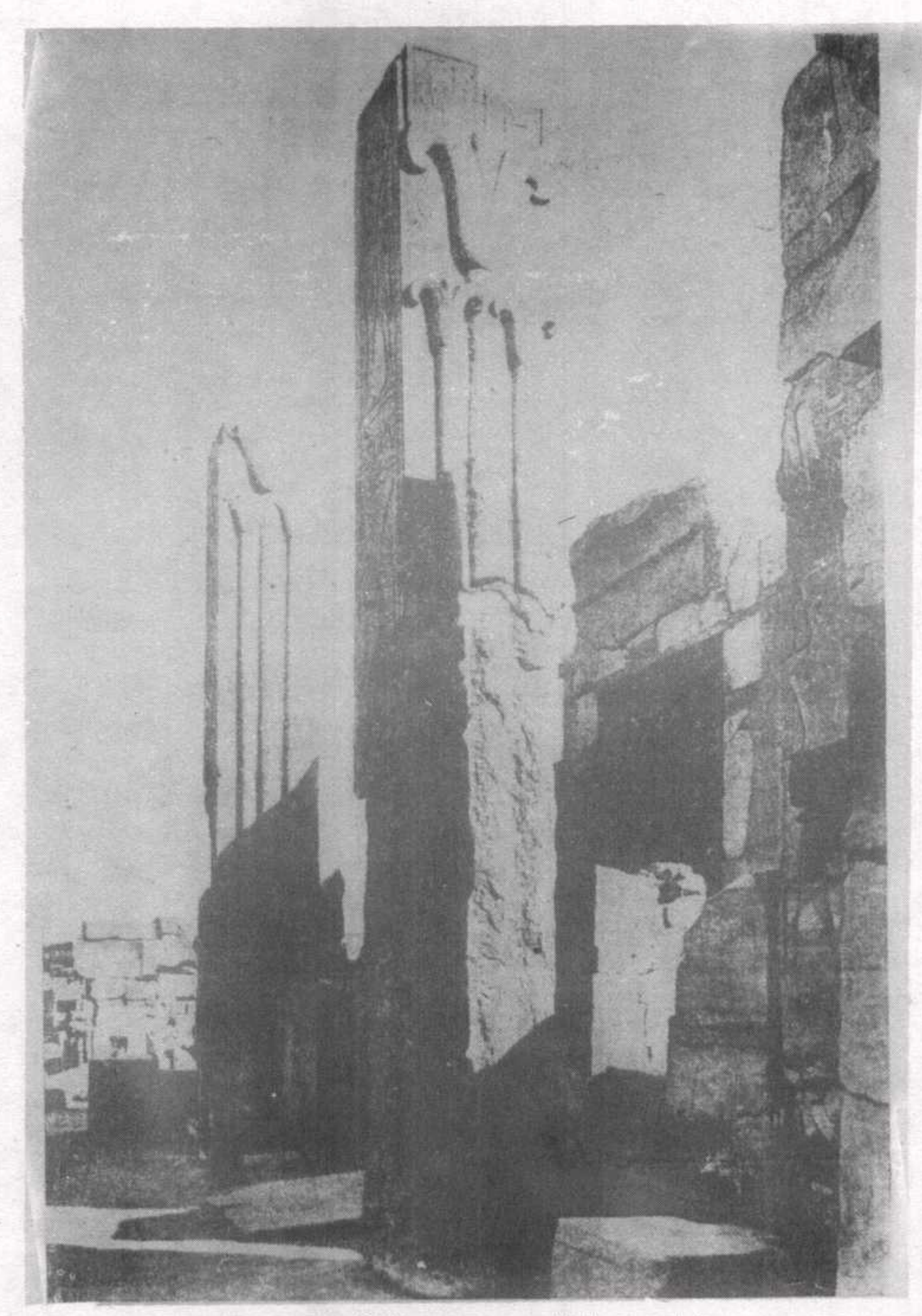
نجارون وحدادون وصائغو مجوهرات (مقبرة نب آمون وايبوكى بطيبة)



معبد «حتشبسوت» الجنائزى وبجواره معبد «منتوحتب الثانى» الجنائزى - الدير البحرى بالبر الغربى



مسلتا تحتمس الأول والملكة حتشبسوت (الكرنك)



نبات مصر العليا «يمين» ومصر السفلى «يسار» (بالكرنك)

إنه يعد سجلاً سياسيًا وأدبيًا ودينيًا وصناعيًا واجتماعيًا لهذا العهد الحافل بجسام الحوادث الخارجية والداخلية ومن أهم نعوته : «منى يقضى بالعدل فى القصر» والقاضى بالعدل بين الفقير والغنى.. ومن لا يبكى منه متظلم.. ومن يجعل المتخاصمين ينصرفان راضيين.. ومن يجعل الشاكين مطمئنين.. والحازم فى الفصل فى الأحكام» وهذا يرجع إلى شخصيته الفذة لأنه «يمتاز بنشاط يفوق نشاط البشر، وبعدالة وذكاء وحسن تدبير قلما نجد مثلها فى تاريخ العالم».

واسمه «رخ مى رع» (= أى العارف كالإلة «رع») يبدو وكأن الحظ بإرادة الله أن يحقق المستقبل هذه التسمية فى شخص هذا الطفل ونقوش المقبرة تحدثنا عما اتصف به هذا الوزير من رجولة، وما كان يحسه فى أعماق نفسه من مبادئ سامية ويقظته لكل صغيرة وكبيرة يحتمها عليه الواجب والوظيفة».

الوشاية الدنيئة: لقد محا الخلف اسم الوزير وصوره، وصور معظم أولاده من كل أرجاء القبر.. وهذا العمل العدائى وما انطوت عليه نفوس مرتكبيه من حقد وبغضاء كان بإيعاز من الفرعون «أمنحتب الثانى» .

موقع قبر «رخ مى رع»: فى منحدر الطريق الجبلى لتل «شيخ عبد القرنة».

الاعتراف بأن الله بصير بالعباد: «اسمعوا أنتم يا من فى الوجود إن الله يعلم ما فى الأنفس، وكل ما فيها من أعضاء منشورة أمامه، تأملوا أنتم، إن عيونه تبصر طبائع الناس فى أكبادهم وكل قلب ينضم إليه من تلقاء نفسه.

مهام الوزير التى وضعها الملك: «قال له جلالته انظر إلى قاعة الوزير وكن يقظًا بكل الإجراءات فيها. تأمل إن ذلك يعنى توطيد حالة البلاد قاطبة. تأمل إن منصب الوزير ليس حلوا إنه مر المذاق كالقبر. تأمل إنه البرنز الذى يحيط بنضارة بيت سيده .تأمل! إن القصد منه ألا يجعل لنفسه ولا لموظفى إدارته اعتبارًا ما وألا يتخذ من الشعب عبيدًا. تأمل! إن كل ما يعمله الإنسان فى بيت سيده هو أن يتحدث بما يرضى».

كان هذا الوزير العادل متمسكًا بالقانون وعطوفًا ويعمل على حب النظام ويقوم بواجبه على خير ما يرام.. وكان يستقبل جزية البلاد الأجنبية (أى آسيا وبلاد السودان) ووجد فى قبره البلسم (الذى يحضر من بلاد بُنت) وأبنوس وعاج وريش نعام وغيره من المنتجات. وهناك هدايا من النوبيين ومن شعب الريتنو (من بلاد آسيا الشمالية) وفى رسوم المقبرة نرى الأسرى النوبيين والأسرى السوريين.

والمناظر تشير إلى عمل الوزير وواجباته، والمراسلات وإدارة الحكومة الملكية والنظام العام ورفاهية الشعب وجمع الضرائب وطرق دفعها.

وهناك مناظر عن مصانع آمون وضياعه والمنتجات المختلفة للصناع، ومخابز المعبد والخبازين وصانعى الجعة، وحقول «آمون» وحصد القمح والكتان واستعمال الأراضى البور واستغلالها، بالإضافة إلى منظر العيد والقنص.

المناظر الدنيوية: الحبوب المقدمة للإله آمون - فطائر مصنوعة من الفول (الطعمية) - نوع من الفطائر الحلوة - لف الفطائر فى حزم لأجل القربان - تربية النحل - تحضير الشهد - محاصيل الواحات - حاصلات بلاد النوبة - محاصيل أجنبية - إدارة الغزل والنسيج وإدارة المراعى - صناع الإلة آمون - صناعة الخرز -

تفريغ الأوانى المصنوعة من الحجر - العمال وصناعة الجلود - دبغ الجلود وصناعة النعال - الحبال المصنوعة من سيور الجلد - النجارة وآلاتها - صناعة المحاريب - وزن المعادن الثمينة - صهر المعادن - صب المعادن.

المبانى والتماثيل: مناظر إشرافه على المبانى فى الكرنك - العبيد وصناعة اللبنات - تماثيل معبد «آمون» ونحتها.

وليمة أسرية : التمتع برؤية الطعام الطيب والموسيقى والرقص والغناء والتدليك بزيت البلسم والدهن بزيت الزيتون أغانى الموسيقين - رشاقة النساء - ملابس الفتيات وواجبتهن.

تولى أمنحتب الثانى عرش الملك

ترك لنا «رخ مى رع» نقشا فى رحلته إلى الشمال لمقابله مليكه بعد أن صعد تحتمس الثالث إلى السماء (أى توفى) وكان هذا المكان هو بلدة «برونفر» (ضاحية فى منف). وقد نقش الوزير هذا فى منظر وليمة رسمية فى مقبرته وإعلان موت الفرعون كان يعدّ موضوع خزى وخجل، إذ إن الفرعون كان يعتبر إلها والإله لا يموت بل يبقى حيًا مخلداً، ولذلك لا يعبر عنه قضى، بل يقال عنه إن حور (أى الملك) قد طار إلى السماء وأن حور آخر من ظهره قد حل محله على الأرض.

منظر المتظلمين المساكين: لسنا نعرف السبب الأكيد الذى حدا بالوزير «رخ مى رع» على أن يضم هذا المنظر إلى المناظر التى تركها لنا على جدران قبره اللهم إلا إذا كان الغرض منه رغبته فى أن ينال شهرة الحاكم الشفيق الذى لا يحيد عن الحق، والمتن المفسر لهذا المنظر الغريب هو ما يأتى : «إن الوزير «رخ مى رع» يخرج إلى عالم الدنيا عند مطلع الفجر؛ ليؤدى شعائره اليومية ويستمع إلى تظلمات الأهلين وشكاوى الوجه القبلى والوجه البحرى دون أن يصد صغيرًا أو كبيرًا، ومغيثًا للبائس ومخففًا عبء من أثقل كاهله ومجازيًا مقترف الشر».

ومما يلفت النظر هنا كذلك أن ذهاب الوزير لأداء فروضه الدينية قبل أن يبدأ القيام بعمله الرسمى يجعلنا نعتقد أن الصلاة فى المعابد لم تكن مجرد

تأدية فرض وحسب، بل كانت رادعًا خلقيًا يظهر أثره عند الفصل فى المظالم والشكاوى بالعدل: ويجدر الإشارة بأن الحياة الآخرة والحياة الدنيا تؤلف وحدة فى نظر المصرى.

الشعائر الدينية: يدل ما لدينا من نقوش هنا على أن الآلهة الذين كانت تقام لهم الشعائر فى مقبرة «رخ مى رع» أربعة وهم (١) إله الصقر صاحب الجبانة (٢) الإلة أوزير إله العالم السفلى (٣) الإله «أنوبيس إله الدفن» (٤) إلهة الجبانة الغربية، أما الشعائر الجنائزية الخاصة بغذاء المتوفى فعلى الجدار الشمالى حيث نشاهده يتناول وجباته الأربعة، أما التعاويذ التى كانت تتبع شعيرة فهى تعويذة لإحضار إنسان منعم متوفى وجعله يشبع بالخبز، وتعويذة لتطهير موائد القرابين ولأجل البخور، وتعويذة للدخول لنقل الطعام ونرى شعيرة فتح الفم ضمن الاحتفالات.

وتنقسم شعيرة فتح الفم فى ظاهرها قسمين، وإن كانت فى الحقيقة شعيرة واحدة وتبدأ بتمثيلية صغيرة لخلاص المتوفى ثم صورة تمثيلية لإحياء تمثال المتوفى: وقد دلت كل الأحوال عند فحص الديانة المصرية القديمة وبخاصة ديانة الشعب على أن القوم كانوا لا يرغبون فى الأشياء المعنوية، بل كانوا يتمسكون بأهداب المحسات التى تراها العين وتلمسها اليد وهذا هو السر فى تمثيل المصرى معبوداته فى صور مادية. كما يوجد منظر حديقة لمسرات المتوفى.

أمنحتب الثانى

كـان رجل رياضـة عظيم قـوى العـضـلات، فكان قـوى السـاعـد لا يكل من التجديف، يتميز برمى السهام، ويتميز كخيّال. وفى كثير من المناظر تظهر مهارته فى الرماية وفى نقوش لوحتى «أمدا» و «الفنتين» قد رسمت صورة هذا الفرعون الشجاع الجسمية والخلقية، معًا وقد قلد «امنحتب الثانى» والده فى كل أعماله.

حروب أمنحتب الثانى

أخذ أهل ولايات «آسيا» يشقون عصا الطاعة على هذا الفرعون الفتى، إذ كانوا يريدون دائمًا أن يعجموا عود الفرعون الجديد فتلك كانت أخلاقهم، لو يجدون مغمزًا أو لينًا أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون متحرّرين من نير الحكم المصرى، وبخاصة أن بقايا «الهكسوس» كانوا لا يزالون يعالجون النفس الأخير من حياتهم فى تلك الجهات، فحاربهم وخرّب مدنا مثل شماش إدوم فى زحفه على بلاد «رتنو» فى حملته الأولى، واستسلمت مدينة «فى» بدون مقاومة شديدة أو استولى على «أوجاريت» وعقدت «قادش يمين الإخلاص للملك».

أما حروبه فى السودان فيظهر أنه لم يحدث فى تلك الأقاليم الشقيقة ما يستحق الذكر، وقد ترك لنا «أمنحتب» نقشًا فى إحدى مقابر رجال عصره فى

جبانه «شيخ عبدالقرنة» ذكر فيها الأقاليم التى كان يسيطر عليها «أمنحتب الثانى وهم أهالى واحات «لوبيا» وبلاد «كوش» وبلاد «فينيقيا» و «نهرين» و «سوريا» وبلاد «مالوص».

آثاره فى الفنتين: توجد قطعة من الحجر يفهم مما جاء عليها أن الفرعون كان يقوم بأعمال التعمير والإصلاح فى معبد هذه البلدة: وقد وجد اسمه فى «سلسلة» وعلى جدران معبد الكاب وعلى مسلة صغيرة فى «أسوان» .

آثاره فى بلاد النوبة: فى «كلابشة» يقدم الفرعون القربان للإله «مين» وللإله «مرو ترو - حور - رع» إله بلاد النوبة.

وفى إبريم: يوجد محراب صغير منحوت فى الصخر وملون:

أما فى معبد «أمدا» فتدل الأحوال على أن «أمنحتب» قد أتم نقش المعبد الذى كان العمل جاريًا فيه فى عهد والده.

وفى معبد «سمنة» نجد اسمه منقوشًا فى المعبد.

وفى جزيرة «ساى» توجد بقايا معبد ينسب إلى عصر هذا الفرعون.

تماثيل أمنحتب الثانى: وجد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة وأخرى صغيرة الحجم، ومن التماثيل الضخمة وجُد له واحد أمام البوابة التاسعة فى الكرنك، وتمثال عثر عليه فى «بجه» بجوار «أسوان» نحت من الجرانيت الأحمر، وفى المتحف المصرى يوجد له تمثال فى صورة «أوزير» مصنوع من الجرانيت الرمادى، وقد عثر عليه فى «القرنة»، ووجد له تمثال محارب وهو مصنوع من «الديوريت» وعثر على لوحة فى «الأقصر» يشاهد عليها وهو يتعبد للإله «آمون».

جعارين عهد «أمنتحب الثانى» : ظهرت من جعارين هذا الفرعون وتعاويذه خواص جديدة لم تعرف فى جعارين العهود السابقة من فراعنة هذه الأسرة، إذ نجدها على شكل لوحات صغيرة بيضاوية الشكل مستوية السطح على كلا الجانبين مرسوم عليها صور، وقد كانت هذه الجعارين تستعمل فصوص خواتم لتلبس مسطحة على الأصبع.

وقد استعملت الجعارين لتدل على حوادث تاريخية بكتابة جمل عليها يقصد منها ذلك، ويرجع هذا النوع من الجعارين للملكة «حتشبسوت» التى ابتدعته.

الملكة «تاعا» ذكرت هذه الملكة على مجموعة باسمها، واسم ابنها «تحتمس الرابع» وقد لقبت بالأم الملكية، والزوجة الملكية، مما يدل على أنها كانت أم «تحتمس الرابع» وزوج «أمنحتب الثانى».

وقد دفن «أمنحتب» فى وادى الملوك فى قبر نحت فى الصخر لوّن سقفه باللون الأزرق ورصّع بالنجوم الذهبية المتلألئة.

الوزير

«آمون أم أبت» كان وزير الفرعون «أمنحتب الثانى»، ويحتمل أنه هو الذى حل محل «رخ مى رع» بعد عزله، وقبره موجود فى جبانة «شيخ عبد القرنة»، والوزير عمدة المدينة الجنوبية، ومدير بيت الفرعون «أمنحتب الأول» والمشرف على كهنة «أحمس نفرتارى»».

نهاية الجزء الرابع من موسوعة

مصر القديمة التى كتبها الدكتور/ سليم حسن

مدخل عام

طبقاً لكتاب الديانة المصرية القديمة

إن الزمن الذى يتيسر لنا من خلاله متابعة التطورات والتغيرات الدينية فى إطار حضارة واحدة متسقة، لهو عادة فى مصر زمن متطاول يمتد منذ تعرفنا على أقدم الوثائق المكتوبة التى ترجع إلى حَوالَىْ ٣٢٠٠ ق. م. وحتى إحراز المسيحية لنصرها النهائى فى القرن الثالث الميلادى. وبدءًا من بواكير هذه الفترة اكتسبت الديانة المصرية طابعًا معقدًا ومتطورًا على الرغم من أخلاط البقايا التى ظلت عالقة بها من الممارسات الروحية لعصور ما قبل التاريخ (التى لم تكن الكتابة قد اخترعت فيها بعدُ).

والديانة التى ألهمتها العواطف البشرية يمكن إدراكها بإمعان أكثر بدراسة المدونات المحررة، بينما تضن علينا الشواهد الصامتة للأنشطة الإنسانية - فى المراحل التى لم تجد وسيلة لتدوين المعطيات الفكرية لهذه الأنشطة فى حضارة مَا - بأى تفسير صحيح أو على الأقل غير ممارى فيه عن حقيقة عالم العقائد الدينية.

فمن الصعوبة البالغة أن نستخلص أو نصوغ نتائج محددة خاصة بالديانة فى العصور الحجرية القديمة، حيث لم يصلنا من هذه الدهور السحيقة لعصور ما قبل التاريخ المصرية سوى بعض أدوات صوانية خشنة عُثر عليها فى أماكنها الأصلية على الهضبة الصحراوية على جانبى النيل، أو دفعت بها السيول من هذه الهضبة فيما بعد إلى وادى النيل. ولقد كانت كلٌّ من الصحراء الليبية فى الغرب والعربية فى الشرق تزخر فى هذه الدهور بالخضرة وينتشر فى أنحائها البشر والحيوانات. ونحو نهاية العصر الحجرى القديم، بدأ عصرٌ من الجفاف تراجعت فيه الأحراش عن الهضبة الصحراوية إلى الانحدار إلى مناطق المستنقعات والحياة النباتية فى وادى النيل وعلى امتداد مجراه الطويل، حيث نجد بشرًا قد استقر بهم الحال فى مستوطنات عديدة بالمواقع التى وصلوا إليها قرب حافة النهر وواديه مستهلين المراحل الأولى للثورة «النيوليتية» عندما مارسوا الزراعة وإن يكن القنص ـ الذى كان مهنة الصيادين طوال العصور الحجرية القديمة ـ قد استمر فى أداء دوره باعتباره أسلوبًا مهمًا ـ وإن لم يعد بعد رئيسيًا ـ فى الحصول على الطعام. ويمكن أن نفسر بجلاء التنظيم المبكر لهذه المستوطنات فى ضوء الطبيعة الخاصة لوادى النهر، فهنا تربة وإن كانت غنية بخصوبتها، تحتاج إلى الرى بواسطة القنوات وإلى الحماية بدعم الجسور التى تحف بها وهى بدورها لا تنشأ إلا عَبْر الجهود المشتركة لجماعات منظمة.

ولقد عمرت كل من مصر العليا والسفلى بهذه المستوطنات أو القرى البدائية من العصر «النيوليتى» أو الثورة الزراعية، وإن كانت الأولى منها وحدها ـ وإلى حد بعيد ـ قد أميط عنها اللثام بواسطة الأثريين عن مستوطناتها، فى حين أن مثل هذه المستوطنات أصبحت حاليًا فى الدلتا راقدة ومدفونة بعمق تحت الطمى المتراكم الذى يجلبه النيل.

وهناك ثلاث مراحل حضارية يمكن تصنيفها فى مصر العليا وتدعى على التوالى: حضارات «دير تاسا والبدارى ونقادة» وهى أسماء لقرى حديثة اكتُشفت

ومُيزت فى جوارها لأول مرة البقايا المادية لهذه الحضارات. ولا تختلف هذه الأطوار الثلاثة فى الفارق الزمنى فقط، ولكنها تتمايز أيضًا فى أشكال الفخار والأدوات الأخرى، وفى الدلتا تبدو مستوطنة «مرمدة بنى سلامة» متعاصرة مع طور حضارة «دير تاسا» بالرغم من الاختلافات بينهما، ومن ناحية أخرى فإن البقايا فى موقع المعادى والمتعاصرة مع المراحل الوسيطة والمتأخرة لحضارة «نقادة» تشير إلى أن الصعيد والدلتا قد بدآ الانتماء على ذلك الوقت المتأخر من عصور ما قبل التاريخ - إلى حضارة مادية متجانسة أو مشتركة.

والوثائق التى تمدنا بالأدلة المتعلقة بالعقائد الدينية فى العصر «النيوليتى» فى مصر تأتى أساسًا من المقابر التى استخدمتها الجماعات البشرية التى عاشت الحضارات الثلاث المذكورة آنفا، فالأوانى التى تحتوى على الطعام والشراب فضلاً على الأدوات والأسلحة والحُلَى البدائية التى كانت توجد مع الموتى فى مقابرهم ووجودها المكثَّف هى كلّها تقدم دليلاً واضحًا على الاعتقاد بضرورتها للموتى، وذلك يدل على أن اعتقادًا باستمرار الحياة بعد الموت قد هيمن على هذه الثقافات، وأن إنسان هذه الأطوار تصور أن له حياة مثل حياته الأولى على الأرض وإن لم تكن هناك بعدُ أى مجهودات للحفاظ على أجساد الموتى، تُركت هذه المهمة تلقائيًا للجفاف الطبيعى الذى توفره رمال الصحراء والمناخ المصرى.

وفى حضارة «البدارى» كانت أجساد الموتى تُلَف أو توضع فى الجلود الحيوانية والتى كانت على الأرجح بمثابة ملابس للصيادين فى هذه الآونة، وعليه فإن هذه الملابس عينها كانت تُعد أيضًا ضرورية للمقبورين. ولحفظ هذه الأجساد من الحيوانات المتوحشة، كانت توضع ـ قرب نهايات عصور ما قبل التاريخ ـ فى المقبرة تحت الحصيرة أو الأوانى الضخمة وفى صناديق خشبية أو توابيت.

ولم يكن الموتى يُوسَّدون فى مدفن عام فى حضارة «مرمدة بنى سلامة» ولكن داخل نطاق القرية البدائية، وأحيانًا تحت أرضيات مساكنهم بالفعل قرب أماكن إشعال النار، الأمر الذى يحمل على الاعتقاد بأن المقصود من ذلك بث الدفء فى أوصال الموتى، بل ربما كان يُنظر إليهم على أنهم يشكلون جزءًا من الجماعة ويشاركونها حياتها. أما فى «البدارى» فلم تكن المقابر المبكرة تبعد عن القرية، ولكن بعد ذلك وُسد الموتى فى جماعات وفى مدافن منفصلة بل وبعيدة أحيانًا بشكل ملحوظ عنها، وقد يعطينا ذلك شعورًا بأن الحياة الأخرى للموتى لم تعد لها تلك الصلة الوثيقة التى كانت من قبل مع عالم الأحياء فى «مرمدة بنى سلامة».



مثال واضح لتوسيد المتوفى فى وضع القرفصاء

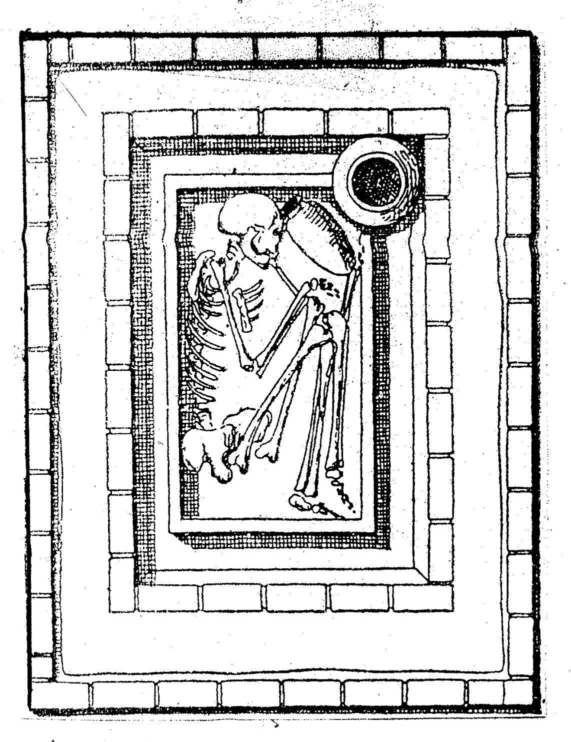
ومن الصعوبة البالغة أن نفسر العادة المتعلقة بطريقة دفن الموتى والتى لم تتغير تقريبًا طوال العصر «النيوليتى» وهى تتسم بتوسيد الموتى بشكل أو آخر

فى وضع القرفصاء، والتى كانت سائدة أيضًا فى ذلك العصر كل أوروبا وشمال إفريقيا وغرب آسيا، فالجسد كان يُثْوَّى والعمود الفقرى منحن والساقان مثنيتان إلى الدرجة التى يلامس فيها الفخذان أحيانًا الجسم ذاته، بينما توضع اليدان أمام الوجه، وقد اقترح علماء عصور ما قبل التاريخ عدة تفسيرات لإلقاء الضوء على هذه الظاهرة منها: الاقتصاد فى المكان والجهد المبذول فى إعداد المقبرة، خاصة وأن الأدوات المستخدمة فى الحفر تتسم ببدائيتها وصغرها، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن بالدرجة الأولى من الأهمية، بقدر الحرص على توسيد الجسد فى أقرب الأوضاع الطبيعية إلى النوم، فإذا صح ذلك التفسير الأخير فإن ذلك يقودنا إلى اعتقاد بأن القدامَى يرون الموت ضربًا من السبات والراحة التى كان الإنسان البدائى - نتيجة لما تفرضه ضروريات حياته الصعبة من عمل شاق طوال حياته - يتوق إليها دومًا.

ووضع القرفصاء الذى مارسه المصريون المبكرون والذى لا يمكن تنفيذه إلا بعد الموت الفعلى مازالت تقوم بأدائه بعض القبائل الإفريقية الحديثة حيث تثنى جثث موتاها فى موقف مشابه للغاية عند اقتراب الموت من إنسان. هذا ويمكن تفسير وجود بعض الدفنات بأجساد ممتدة أطرافها فى عصور ما قبل التأريخ إلى أنها اكتشفت بعد وفاة أصحابها حيث بدأت على أثره فى التصلب مما حال دون تحقيق وضع القرفصاء عمليًا.

والوضع الاعتيادى للجسد المجثَّى فى المقبرة كان الرقود على الجانب الأيسر كما هو الحال فى «البدارى» وطوال مراحل حضارة «نقادة» ثم استمر بعد ذلك فى العصور التاريخية خلال الأسر الملكية الأولى وإلى وقت متأخر فى الدولة الوسطى.

وفى نصوص الأهرامات الشهيرة يمكن استخلاص أن الملك الميت كان يُسجَّى على جانبه الأيسر حيث كان مدْعُوًا لأن ينهض ويستدير إلى جانبه الأيمن لكى يتلقى القرابين. وقبل «البدارى» كانت أجسام الموتى ترقد على أجنابها اليمنى فى حضارة «مرمدة بنى سلامة» المبكرة كما كان الوضع كذلك فى حضارة «العمرة» فى مصر العليا.



كان يوضع الجسد فى الدفنات المبكرة عادة على هيئة القرفصاء على الجانب الأيسر
والرأس إلى الشمال

ملحق رقم (١)

طبقًا لكتاب الديانة المصرية القديمة

ملوك الأسرات المصرية

عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق: ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م.

الأسرة الأولى: ٣٢٠٠ - ٢٩٨٠ ق.م.:

منا (نعرمر) - إتى الأول (عحا) - إتى الثانى (جر) - إتى الثالث (واجيت) - خاستى (دن) - مربى با (عج إب) - إرى نتر (سمر خت) - قاع سنى (قاع).

الأسرة الثانية ٢٩٨٠ - ٢٨٨٠ ق.م.:

حوتب (حتب سخموى) - نوب نفر (رع نب) - نى نتر - ونج - برى - إب - سن (خع سخم) - حتب نبوى إمف (خع سخمورى).

الدولة القديمة: (الأسرات ٣ - ٦): ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م.

الأسرة الثالثة: ٢٧٨٠ - ٢٦٨٠ ق.م.:

زوسر الأول (إرى خت نتر) (سخم خت) - زوسر الثانى (سانخت) - تتى (خع با) - نب كاوو - حونى.

الأسرة الرابعة: ٢٦٨٠ - ٢٦٥٠ ق.م.:

سنفـرو - خـوفـو - جـدف رع - خـفـرع - حـورددف - با اف رع - منكاو رع - شبسسكاف - جدف بتاح.

الأسرة الخامسة: ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق.م.:

أوسركاف - سارحورع - نفر إر كا رع - شبسسكا رع - نفرف رع - نى وسر رع - منكاو حور - جد كارع (إسيسى) - أوناس (ون إس).

الأسرة السادسة: ٢٠ ٢٤ - ٢٢٨٠ ق.م.:

تتى - أوسـر كـا رع - ببى الأول - مـرنـرع (مـرى ان رع) الأول - ببى الثـانى - مرنرع الثانى - منكاو رع - نيت إقرتى (نيتو كريس).

عصر الفترة الأولى: (الأسرات ٧ - ١٠): ٢٢٨٠ - ٢٠٥٢ ق.م.:

الأسـرة السـابعـة: ٢٢٨٠ ق.م. سبعون ملكًا حكموا سبعين يومًا حسب رواية مانيتون.

الأسرة الثامنة: ٢٢٨٠ - ٢٢٤٢ ق.م.:

نفـر كار رع (الأصغر) - نفـر كا رع نبى - جد كا رع شمـاى - نفر كا رع خندو - مرى ان حور - نفـر كا مين - نى كا رع - نفـر كار رع تررو - نفر كا حور - نفر كا رع ببى سنب - نفـر كا مين عنو - قا كا رع إبى - واج كا رع - نفـر كا حور (حـورس) نترى باوو - نفر إر كا رع (حورس) دمج إب تاوى.

الأسرة التاسعة: ٢٢٤٢ - ٢١٣٣ ق.م.:

أختوى الأول مرى إب رع - نفر كا رع - أختوى الثانى - ستوت - أختوى الثالث - مرى.

الأسرة العاشرة: ٢١٣٣ - ٢٠٥٢ ق.م.:

مرى حتحور - نفر كا رع - أختوى الرابع - مرى كا رع - أختوى الخامس.

الدولة الوسطى - (الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة): ٢١٣٤ - ١٧٧٨ ق.م.

الأسرة الحادية عشرة: ٢١٣٤ - ١٩٩١ ق.م.:

إنيوتف الأول (سهر تاوى) - إنيوتف الثانى (واح عنخ) - إنيوتف الثالث (نخت نب تبى نفر) - مونتوحوتب الأول (سعنخ إب تاوى) مونتو حوتب الثانى (نب حبت رع) مونتوحوتب الثالث (سعنخ كارع) - سنوسرت وآخرون - مونتوحوتب الرابع.

الأسرة الثانية عشرة: ١٩٩١ - ١٧٧٨ ق.م.:

أمنمحات الأول (سحتب إب رع) - سنوسرت الأول (خبر كا رع) - أمنمحات الثانى (نوب كار ع) - سنوسرت الثانى (خع خبر رع) - سنوسرت الثالث (خع كا رع) - أمنمحات الثالث (نى ماعت رع) - أمنمحات الرابع (ماعت خرو رع) - سوبك نفرو (سوبك كا رع).

عصر الفترة الثانية - (الأسرات ١٣ - ١٧) ١٧٧٨ - ١٥٧٠ ق.م.

الأسرة الثالثة عشرة: ١٧٧٨ - ١٦٢٥ ق. م. (عاصمتها طيبة) ويعرف من أسماء ملوكها ما يقرب من ستين ملكًا.

الأسرة الرابعة عشرة: (عاصمتها فى سخا) ١٧٧٨ - ١٥٩٤ ق. م. وعدد ملوكها ٧٦ ملكًا حكموا ١٨٤ سنة.

الأسرة الخامسة عشرة: (١٦٧٥ - ١٥٦٧ ق. م) - الهكسوس.

ششى (مع إب رع) - يعقوب هر (مر وسر رع) - خيان (سا أوسر ان رع) - إبيبى الأول «أبوفيس» (عا أوسر رع) - إبيبى الثانى (عا قنن رع) - خامودى (عا سح رع).

الأسرة السادسة عشرة: (١٦٧٠ - ١٥٦٧ ق. م) - الهكسوس.

عنت هر - سمقن - خع أوسر رع - عا حوتب رع - سخع ان رع - عامو - إبيبى الثالث (نب خبش رع).

رع حوتب (سخم رع واح خاعو) ـ إنيوتف الخامس (سخمرع وب ماعت) ـ إنيوتف السادس (سخم رع حرو حر ماعت) ـ سوبك أم ساف الثاني (سخم رع شد تاوى) ـ تحوتى (سخم رع سمن تاوى) ـ مونتوحوتب الخامس (سعنخ إن رع) ـ نب إرى إر أوت الأول (سواج إن رع) ـ نب إرى إر أوت الثانى (نفر كارع) ـ سمن نفر رع ـ سا أوسر إن رع ـ شدواست (سخم رع) ـ إنيوتف السابع ـ سنخت إن رع ـ سقننرع (تاعا الأول «الأكبر» ـ سقننرع (تاعا الثانى «الشجاع») ـ كامس (واج خبر رع).

الدولة الحديثة: (الأسرات ١٨ ـ ٢٠) ١٥٧٠ ـ ١٠٨٠ ق.م.

الأسرة الثامنة عشرة: (١٥٧٠ ـ ١٣٠٤ ق.م):

أحمس الأول (نب بحتى رع) ـ أمنحوتب الأول (جسر كا رع) ـ تحتمس الأول (عا خبر كا رع) ـ تحتمس الثانى (عا خبر ان رع) ـ حتشبسوت (ماعت كا رع) ـ تحتمس الثالث (من خبر رع) ـ أمنحوتب الثانى (عا خبرو رع) ـ تحتمس الرابع (من خبرو رع) ـ أمنحوتب الثالث (نب ماعت رع) ـ أمنحوتب الرابع أخناتون (نفر خبرو رع) ـ سمنخ كارع (عنخ خبرو رع) ـ توت عنخ آمون (نب خبرو رع) ـ آى (خبر خبرو رع) ـ حور محب (جسر خبرو رع).

الأسرة التاسعة عشرة: ١٣٠٤ ـ ١٣٠٣ ق. م.:

رمسيس الأول (من بحتى رع) ـ سيتى الأول (من ماعت رع) ـ رمسيس الثانى (أوسر ماعت رع) ـ مرنبتاح «مرى ان بتاح» (با ان رع) ـ آمون مس سى (من مى رع) ـ سيتى الثانى (أوسر خبرو رع) ـ تا وسرت (سيت رع، مريت آمون) ـ سى بتاح (آخ ان رع، مرى إن بتاح).

الأسرة العشرون: ١١٩٥ ـ ١٠٨٠ ق. م.:

ست نخت (أوسر خعو رع) ـ رمسيس الثالث (أوسر ماعت رع: مرى آمون) ـ رمسيس الرابع (حق ماعت رع) رمسيس الخامس (أوسر ماعت رع: سخبر ان

رع) - رمسيس السادس (نب ماعت رع) - رمسيس السابع (أوسر ماعت رع: آخ ان آمون) - رمسيس الثامن (أوسر ماعت رع: مرى آمون) - رمسيس التاسع (نفر كا رع) - رمسيس العاشر (خبر ماعت رع) - رمسيس الحادي عشر (من ماعت رع: ستب ان بتاح).

العصر المتأخر: (الأسرات ٢١ - ٣٠) - ١٠٨٥ - ٩٥٠ ق.م.

الأسرة الواحدة والعشرون: ١٠٨٥ ٩٥٠ ق.م.:

سمندس (نسو بانب جدت) فى تانيس - حريحور فى طيبة - بسوسينيس (باسبا خع ان نيوت) فى تانيس - بينزم فى طيبة - أمنمأوبت (فى تانيس) - سى آمون (فى تانيس) - بسوسينيس الثانى (فى تانيس).

الأسرة الثانية والعشرون: ٩٥٠ - ٧٣٠ ق.م.:

شاشانق الأول - أوسوركون الأول - تكلوت الأول - أوسوركون الثانى - شاشانق الثانى - شاشانق الثالث - بامو - شاشانق الخامس.

الأسرة الثالثة والعشرون: ٨١٧ - ٧٣٠ ق.م. (تل بسطة):

بدى باست - شاشانق الرابع - أوسوركون الثالث - تكلوت الثالث - آمون رود - أوسوركون الرابع.

الأسرة الرابعة والعشرون: ٧٣٠ - ٧١٥ ق.م. (صا الحجر):

تف نخت - بكوريس (باك إن رنف).

الأسرة الخامسة والعشرون: ٧١٥ - ٦٥٦ ق.م. (الأسرة الكوشية):

بعنخى - شاباكا - شبتاكا - طهرقا - تانوت أمانى.

الأسرة السادسة والعشرون: ٦٥٦ - ٥٢٥ ق.م.:

بسمتك الأول - نكاو - بسمتك الثانى - أبريس (واح إب رع) - أحمس الثانى (أمازيس) - بسمتك الثالث.

الأسرة السابعة والعشرون: ٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م.:

قمبيز - دار الأول (داريوس) - خشيارشا (كسركيس) - أرتخشاشا (ارتكسركيس) - دارا الثانى.

الأسرة الثامنة والعشرون: ٤٠٤ - ٣٩٨ ق. م.:

آمون حر (اميرتايوس).

الأسرة التاسعة والعشرون: ٣٩٨ - ٣٧٨ ق. م.:

نفريتس الأول (نايف عاو رود) - هكرا (اكوريس) - بى ساموت (بساموتيس) - نفريتس الثانى (نايف عاو رود).

الأسرة الثلاثون: ٣٧٨ - ٣٤١ ق. م.:

نختنبو الثانى (نخت حر حب).

الغزو الفارسى الثانى: ٣٤١ - ٣٣٢ ق. م.:

ارتخشاشا (ارتكسركسيس) الثالث «أوخوس» - أرسيس - دارا الثالث فى مصر.

غزو الإسكندر لمصر عام ٣٣٢ ق. م.

ملحق رقم (٢)
فكرة الوحدانية

(أ) ما ذكره المؤرخون والكُتاب والأدباء عن اعتقاد المصريين القدماء بالوحدانية ففى المجمل فى تاريخ القانون المصرى ص ١٠٩ يقول الدكتو ناصر الأنصارى: «كان المصريون يؤمنون بوجود إله واحد أزلى أبدى، هو الذى أوجد جميع الكائنات»... «وكان المصرى القديم يؤمن أن الإله الواحد الذى يؤمن به، له قدرات عديدة، فتعددت أسماؤه لكثرة صفاته، ولكن مع الوقت وقع فى الشرك... أما الطبقة المثقفة فقد ظلت على الاعتقاد بأن هذا التعدد فى أسماء الآلهة ليست إلا رموزًا لشىء واحد، قد يكون هو إله العالمين أو الخالق أو منظم الكون والفرعون ليس إلا تجسيده الحى»

وفى كتاب الديانة المصرية القديمة ص ٧٠ يقول مستر إرمان:

(ومما يبعث على الدهشة أن المصريين كثيرًا ما تحدثوا علاوة على آلهتهم عن «إله عام»)

وفى كتاب أسرار الهرم الأكبر ص ١٣٧ يقول الأستاذ محمد العزب موسى: «إن الفكرة الأساسية التى يعتنقها المصريون عمومًا هى أن هناك خالقًا أول لهذا الكون، وإنه أوجد الآلهة الأخرى كامتداد له ومساعدين، وهكذا إذا كانت الديانة المصرية القديمة تقوم على فكرة التعدد أصلاً فإن العين المدققة لا تعجز أن تستشف فى أغوارها فكرة التوحيد».

وفى حديثه عن كتاب الموتى قال الأستاذ محمد العزب موسى فى كتاب «أسرار الهرم الأكبر ص ١١٧»:

«ومما يلفت النظر بصفة خاصة فى هذا الكتاب أنه يدل على أن الاعتقاد بإله واحد خفى متفرد وينجو من هرطقات تعدد الآلهة».

وفى «نصوص الأهرام» نجد أن الشمس خرجت إلى الوجود من ذاتها ص ٣٨ ويقول رندل كلارك: إن المصريين أدركوا أنه لا يوجد فى الواقع إلا إله واحد والعالم «سيث» يقول: «إن فكرة التوحيد كانت موجودة منذ الأسرة الأولى راجع كتاب الشخصية المصرية فى مصر القديمة تأليف كاتب المختصر صفحة ١٠٠ وما بعدها»

(ب) قوائم الملوك:

(١) **حجر بالرمو** (من الأسرة الأولى وحتى نهاية الأسرة الخامسة أو بداية الأسرة السادسة).

(٢) **قائمة الكرنك:** وهى قائمة الملوك التى أمر بنقشها فى المكان المعروف بقاعة الأجداد، ولاتشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم حتى هذا الفرعون. وقد تجاهلت هذه القائمة أسماء ملوك الهكسوس.

(٣) **قائمة أبيدوس:** وهى موجودة الآن على أحد جدران معبد الملك سيتى الأول (١٣١٨ - ١٣٠٤) فى أبيدوس. وهى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة وتحتوى على ٧٦ ملكًا يبدءون باسم الملك مينا من ملوك الأسرة الأولى.

(٤) **قائمة سقارة:** موجودة الآن بالمتحف المصرى بدأت باسم سادس ملوك الأسرة الأولى؛ لتنتهى باسم الملك رمسيس الثانى وكانت تحوى ٥٧ اسمًا لملوك مصر.

(٥) **بردية تورين:** وقد كُتبت على ورق البردى. وتبدأ بأسماء الآلهة وأسماء ملوك الأسرة الأولى حتى الهكسوس.

اللغة المصرية القديمة

هناك أربعة خطوط لهذة اللغة: الهيروغليفية - الهيراطيقية - الديموطيقية - القبطية.

(١) **فالهيروغليفية:** هى الكتابة المقدسة إشارة إلى أنها كانت تكتب على جدران الأماكن المقدسة كالمعابد والمقابر. و«الكتابة المنقوشة» كانت تنفذ بأسلوب النقش البارز أو الغائر على جدران الآثار الثابتة (المبانى) وعلى الآثار المنقولة (التماثيل، اللوحات... إلخ).

وآخر مثال موجود للهيروغليفية المصرية هى كتابة وجدت على جزيرة «فيلة» وراء الجندل الأول ترجع إلى عام ٣٩٤م حيث لجأ كهنة إيزيس الذين طردوا من نواح أخرى من مصر، وقد وجدت فى المكان نفسه كتابة ديموطيقية ترجع إلى عام ٤٧٠م.

(٢) **الخط الهيراطيقى:** وكتب معظمه الكهنة. وكان يكتب بقلم البوص والحبر على البردى والأوستراكا (الشقافة).

(٣) **الخط الديموطيقى:** وهو خط المعاملات اليومية، ويمكن أن يقارن بخط الرقعة بالنسبة للغة العربية. وقد ظهر منذ القرن الثامن قبل الميلاد واستمر حتى القرن الخامس الميلادى. وكتب هذا الخط على مادتين رئيسيتين وهما البردى والأوستراكا (الشقافة).

(٤) **الخط القبطى:** والقبطية هى الصدى الأخير للغة المصرية القديمة فهى تمثل أهمية لغوية خاصة. وتكتب بحروف يونانية مع إضافة سبع علامات مأخوذة من الديموطيقية.

(ولمعرفة المزيد عن هذه اللغة راجع كتاب اللغة المصرية القديمة تأليف الدكتور عبد الحليم نور الدين).

بعض الأمثال والحكم

- إنك تفوز بالحياة بمساعدة الحق والصدق.
- كن أمينًا فى تبليغ الرسائل.
- إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدًا أو أخًا أو صاحبًا فاحذر القرب من النساء.
- إذا كنت رجلاً ذا مكانة، فأسس لنفسك بيتًا، وأحب زوجتك فى البيت كما يجب وعليك أن تملأ بطنها وتستر ظهرها، والعطور هى دواء أعضائها واشرح قلبها طالما عاشت فإنها حقل مثمر لزوجها.

ملحق رقم (٣)
الديانة المصرية القديمة

قال ياردسلاف تشرنى فى كتابه «الديانة المصرية القديمة ص ٤٧» والحق أنه من المحال رسم صورة لديانة متسقة ومنطقية فى كل تفاصيلها أو صلاحيتها العامة للإقليم المصرى بأسره، لأن مثل هذه العقيدة الموحدة والمتناسقة لم تتواجد قط. فالديانة المصرية ليست من خلق مفكر واحد، ولكنها النتاج العام للعديد من مختلف التيارات اللاهوتية والسياسية»... ومن غير الإنصاف للمصريين أن نحكم - نزولاً على وجود الأعداد الكبيرة من المعبودات التى ظهرت أولاً مرتبطة برموز حيوانية أو نباتية أو بأشياء غير حية - بأنهم قد اعتبروا هذه الحيوانات أو الأشياء آلهة فى حد ذاتها... ومن الجلى أنه لا يوجد عقل حتى لو كان بدائيًا يمكن أن يعتقد أن الأشياء المادية أو الحيوانات أو حتى البشر - هم أكثر من مجرد مظهر مرئى أو مستقر لقوى مقدسة مجردة. والمصريون مثلهم فى ذلك مثل غيرهم البشر التمسوا عمومًا - الاتصالات بالقوى الطبيعية وارتأوا أن أفضل السبل إلى ذلك هو اختيار إطار أو محور محدد ومرئى يمكن أن تتجمع فيه الصفات والنعوت التى تغير من هذه القوى»... «فالمعتقدات والمفاهيم التى

يتبناها العامة من الناس تمثل وضع الأفكار المجردة للمفكرين والمتعلمين فى قالب مادى... وكان التجسيد المادى لبعض المعبودات أمر لا غنى عنه»... وقد أبدى المصريون دومًا تسامحًا دينيًا فيما بينهم فى داخل مصر نفسها، كما أبدوا مثل ذلك التسامح مع آلهة البلدان المقهورة... ومجمل الأمر أنه لم يظهر طوال الديانة المصرية أى مظهر من مظاهر الاضطهاد الدينى».

الآلهة الكونية

تصور الإنسان المصرى حوله قوى إلهية تقطن العناصر الكونية وعلى رأسها الأرض والسماء والأثير وفيضان النيل فضلاً عن الشمس والقمر. فهذه القوى التى تجسدت فى هيئات بشرية بلورت العديد من الآلهة الكونية ذات الأهميةالعامة للجميع.

نظريات الخلق فى الأشمونين وأون ومنف

طبقًا لفلسفة الأشمونين اللاهوتية لم يكن ثمة شىء ما فى البداية سوى اللاوجود أو الفوضى ذاتها، والتى تخيلها المصريون إما كعنصر عبارة عن «المياه الأزلية» أو قوى تتجسد فى الإله «نون» الذى أطلق عليه اسم «الواحد القديم» فهو «المبدأ الأول» أو «الأصل الأول» وقوام هذا الأزل خواص أربع يمثل كل منها زوجين ذكر وأنثى من المعبودات فالخاصية الأولى هى «العمق العظيم» ويجسدها «نون ونونت» ثم «اللانهاية» ويجسدها «حوح وحوحت» ثم «الظلام المخيم» ويجسده «كوك وكاوكت» فاللارؤية «آمون وآمنت» وقد أطلق على المكان اسم «خمون Khmun بالمصرية القديمة (أو الأشمونين الحديثة) والتى تقع بالقرب من ملوى بمحافظة المنيا وتعنى «مدينة الثمانية» نسبة إلى الثامون المقدس لهذه الآلهة الأزلية.

وطبقًا لهليوبوليس (أون) أو «عين شمس» قدمت مفهومًا أكثر تقدمًا فى تفسير بدء الخليقة. فالإله «أتوم Atum»معبود هليوبوليس أو عين شمس قد بدأ وجوده الذاتى من فوق قمة تل أزلى انبثق بدوره من المياه أو اللا نظام الأزلى ثم نفخ الإله فى يده وبزق من فمه الإله «شو Show» وقرينه «تفنوت Tfenet»

واللذين نسلا ومن خلال ولادة طبيعية بقية المعبودات الأخرى ويعزى إلى أتوم الذى يعنى اسمه فى اللغة المصرية «الكامل» أو المطلق «ثلاث صفات رئيسية فهو «الموجود بذاته» «الذى أتى إلى الوجود بنفسه» وهو «الأقدم» أو «الأزلى» كما أنه «الأوحد» المتفرد بذاته، وعلى ذلك فهو الحاكم على كل الآلهة الأخرى «سيد الجميع» ولقد كان «شو» طبقًا للرأى السائد الآن يجسد الهواء أو الأثير، بينما «تفنوت» تمثل الرطوبة، وبهما بدا العالم المنظم «شو» كأثير كان معطى الحياة أو القوة الخالقة.... ومع «شو وتفنوت» كوّن «أتوم» ثالوثًا من مادة أو جوهر واحد. وقد حلل اللاهوت المصرى الخلق الميتافيزيقى للإله «شو» بأنه قد تم وجوده من خلال أنسام الحياة.. ومنذ أن بشر اللاهوت الهليوبوليسى بأن «أتوم» ما هو إلا مظهر آخر لإله واحد هو «رع.. أتوم» الذى بانبثاقه من دياجير الظلمة المطبقة للأوقيانوس الأزلى غمر ضياؤه كل شىء. وقد شخّص المصريون الكون طبقًا لهذا المفهوم بتخيل الإله «شو» رافعًا بذراعيه الممتدين إلى أعلى ابنته «نوت» ربة السماء بينما «جب» رب الأرض يقع قابعًا عند قدميه.

لاهوت منف

فى فترة عصرى الأسرتين الثالثة والخامسة، عندما كانت مدينة منف العاصمة السياسية لكل البلاد، كانت هناك ثمة ضرورية عقائدية وسياسية معًا لإجراء ضرب من المصالحة بين لاهوت هليوبوليس الذى احتل فيه الإله «أتوم» دور الإله الخالق، وبين لاهوت منف الذى يتمتع فيه الإله «بتاح» بهذا الدور.... وقصة بدء العالم الذى خلقه «بتاح» معروضة فى أسلوب فكرى رفيع ففكرة الخلق تبدأ فى العقل والقلب ثم يتحقق خلال الكلمة المنطوقة للسان أو الأمر وما الآلهة الأخرى إلا اللسان والقلب والأسنان والشفاه للإله «بتاح».

ملحوظة: وحرصًا منى على عدم تداخل الأسماء والمعلومات فإننى أرجئ الملحق الخاص بالأساطير إلى الجزء الثانى من المختصر. ولكنى أود الإشارة إلى طبيعة وصور الآلهة: فالآلهة سارة بالحياة، هم عظماء أقوياء طيبون رحماء ونبلاء عادلون شامخون يشعون جمالاً.

التعاوين وفوائدها

(١) الحماية ضد الجوع والعطش فى العالم الآخر.

(٢) التقمص فى مختلف الأشكال الحيوانية.

(٣) القدرة على الخروج إلى النهار (لتناول التقدمات الجنائزية).

(٤) وسيلة إحراز القوة والسعادة بعد الموت.

(٥) تجنب الميت الخدمة فى حقول العالم الآخر. وهناك تعويذة لدعوة (الشوابتى) أن يؤدى العمل عن شخص ما فى العالم الآخر. (..)

العقلية العلمية

والمصريون ذوو العقلية العلمية لم يشغلوا أنفسهم بتأملات نظرية عن الخير المطلق الذى يمكن تطبيقه واتباعه تحت كل الظروف وبأى ثمن، ووجهة نظرهم فى هذا الصدد كانت نفعية محضة، فقد كان من المرغوب فيه عمل الخير.. وإتيان الخير والحق يتوافق إلى حد كبير مع السلوك الطيب ونلاحظ وجود أدب التعاليم فى الحكم والأمثال.

مكونات الإنسان فى عقيدة المصرى

اعتقد المصريون بأن الإنسان يتكون من سبعة عناصر مادية ومعنوية وهى الجسد (خت)، والروح (با)، القرين (كا)، القلب (أيب)، الظل (شو)، الاسم (رن)، المعنويات (آخ).

يعتمد كل عنصر منها على الآخر، وإن كان لكل منها وجود مستقل.

الديانة الشعبية (أوزوريس).

الديانة الرسمية (رع).

ملحق رقم (٤)

أهم الآلهة المصرية القديمة

(١) اتوم Atum: اسمه يعنى «التام أو الكامل» اعتقد المصريون أنه خلق نفسه من نفسه على قمة التل الأزلى، ومن ثم فهو خالق العالم. اندمج مع الإله «رع» وعرف باسم «اتوم رع».

(٢) آتون Aten : «قرص الشمس» الذى لم يعبد قبل الدولة الحديثة، ارتفع فى عهد الملك «إخناتون» إلى أن يكون الإله الأوحد.

(٣) آمون Amon: الإله «الخفى» أول ما ظهرت عبادته كانت فى إقليم طيبة. ولقب «بملك الآلهة» واندمج مع كبار الآلهة فاصبح «آمون رع».

(٤) انوبيس Anupis: يُعد حاميًا وحارسًا للجبانة، واتخذ كذلك صفة المحنط.

(٥) أوزيريس Osiris: الإله الذى قاس من الشرور حتى الموت يمثل على هيئة رجل بدون تحديد لأعضاء جسمه. أصبح حاكم لعالم الموتى.

(٦) إيزيس Isis: أخت وزوجة الإله أوزيريس وأم الإله «حورس» والتى حمته من أخطار كثيرة حيث لعبت دورًا مهمًا كإلهة ساحرة.

(٧) **باستت** Bastet: **عبدت على هيئة القطة، اندمجت مع الآلهة «سخمت» فى الدولة الحديثة. كانت مدينة بوباستيس (تل بسطة) مركز عبادتها.**

(٨) **بتاح** Ptah: يتخذ شكل إنسان بدون تحديد واضح لأعضائه. عُبد على أنه إله خالق ورب كل الصناعات والفنون.

(٩) **تحــــوت** Thot: إله القـمـر، رسـول الآلهـة/ ورب فـن الكتـابة ووسـيـط فـى الصراع بين «حورس وست» رُمز إليه بالطائر «أبيس» وأحيانًا بالقرد.

كان مركز عبادته مدينة «الأشمونين».

(١٠) **تـفـنـوت** Tefnut: كانت هى وأخيهـا وزوجهـا «شـو» أولى المخلوقات التى خلقها «أقوع» من ذاته وحيدًا.

(١١) **جب** Geb: مُثِّل على هيئة رجل تزوج من أخته «نوت» إلهة السماء وأنجبا «أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس».

(١٢) **حـابى (حـعـبى)** Hapy: الإله الذى يدفع بمياه النيل وفيـضانه تخيله المصريون على هيئة بشرية تجمع بين جسم الأنثى والذكر ذى ثدى وبطن مترهل.

(١٣) **حـتـحور** Hathor: ويعنى اسـمهـا «منزل حورس» مـركز عبـادتها الرئيسى فى دندرة حيث كونت ثالوثا هى وزوجها «حورس» رب ادفو وابنها «ايحى».

(١٤) **حـورس** Hours: «البعيد» ومنذ بداية العصور التاريخية كان حورس رمز للملك حيًا أو ميتًا. له دور كبير فى الصـراع مـع البشـر ممثلاً فـى عمـة «ست» المغتصب للعرش من أبيه أوزيريس «والذى انتهى بانتصاره».

(١٥) **خـبـرى** Khepry: الذى أتى للوجود بذاته، ومظهر للشمس فى الصبـاح يمثل غالبًا على هيئة الجعران نشأت عبادته فى مدينة هليوبوليس أُدمج مع الإله «رع» تحت اسم «خبير رع».

(١٦) **خنوم** Khnum: **من ألقابه «خالق البشر» و «أبو الآلهة منذ البداية».**

(١٧) **رع** Ra: **أهم الآلهة المصرية وأشهرها وعُبد كخالق للعالم.**

(١٨) ســبـك Sabk: عُبد على هيئة تمساح. أهم مراكز عبادته الفيوم وكوم أمبو.

(١٩) ست Seth: صوره المصريون على هيئة إنسان برأس حيوان غريب يشبه رأس الكلب. ويرمز للشر فى أسطورة أوزيريس.

(٢٠) سخمت Sekhmet: اسمها يعنى «القوية». هى إلهة للحرب المصاحبة للملك فى غزواته.

(٢١) ماعت Maat: تجسيد للحق والعدالة والنظام وهى الأساس الذى خلق عليه العالم.

(٢٢) نوت Nut: إلهة السماء. تصور داخل التوابيت لتحمى المتوفى بجناحيها.

(٢٣) نون Nun: الخصم الأول الذى انبثق منه كل شىء ومن ثم فهو «أبو الآلهة» منه تخرج الشمس يوميًا.

(٢٤) نيت Neith: «المرعبة» إلهة رمزها المقدس قوسًا وسهمين صورت على هيئة امرأة تلبس تاج الدلتا الأحمر. حامية للملك مركز عبادتها الرئيسى فى مدينة «سايس» بغرب الدلتا وإسنا بالصعيد.

(٢٥) مين Min: أهم مراكز عبادته كانت أخميم وقفط. كانت له أعياد فى موسم الحصاد.

أنواع الكهنة

١ - كاهن الخدمة.
٢ - الكاهن المرتل.
٣ - كاهن الكا (القرين).
٤ - الكهنة المعينون للعقيدة الجنائزية.
٥ - الكهنة خدم الإله.
٦ - الكهنة المطهرون.
٧ - الأعظم بين الرائين.
٨ - أب الإله.

ملحق رقم (٥) الأهرامات (المعابد)
فكرة الخلود والحياة الآخرة

فى صفحة ٢٧ كتاب العمارة فى مصر القديمة نجد الآتى:

«ولاحظ سكان مصر أن الحياة فى تجدد دائم، فالشمس تغيب لتشرق من جديد، ومياه النيل تغيض لتفيض فى ميعاد موقوت، ونبات الأرض يجف ليزدهر تارة أخرى، وتجلت لهم معانى الاستقرار والدوام فى الصحراء أقوى ما تكون، وكانت رمالها الجافة تحفظ من البلى ما يودع فيها.. فيساعد ذلك فى الإيمان بحياة أخرى خالدة بعد الموت، وتصوروها على شاكلة الحياة الدنيا يحتاج الميت فيها إلى مسكن وطعام وشراب».

وكان الدكتور محيى الدين عبد اللطيف ـ رحمه الله ـ يشرح لنا فى دورة إيجوث عام ٩٨ للمرشدين السياحيين فكرة الاستمرارية فى الحياة التى نلاحظها فى صورة التتالى الدائم لليل والنهار وفى تتالى الفصول الأربعة.. والتحاريق وتشقق الأرض يتبعهما الفيضان الذى يهب الحياة مرة أخرى للأرض الجافة وتخضر الأرض بالبراعم وينشط الفلاح ويجهز الأرض ويزرعها ويرويها

ويجمع الحصاد. لقد لاحظ المصرى دورات الحياة متمثلة فى نور الصباح بعد ظلمة المساء ونمو الزرع واخضراره بعد الجدب وسقوط الأوراق الذابلة. وكان يتطرق إلى وجود الأمل دائمًا ولهذا كان المصرى القديم متفائلاً. وعند تناول سيادته نظريات الخلق كان يشير إلى أن خبّر - الجعران - والذى يعنى أيضًا الشمس فى الصباح قد خلق نفسه بذاته ثم خلق كل شىء. وحتى فى بداية الخليقة قد انبثق الجعران من المحيط الأزلى.

الهرم وما يعنى؟

وفى صفحة ٢٨٧ من كتاب العمارة فى مصر القديمة «يقول الدكتور محمد أنور شكرى»:

«كان يُعتقد أن الملك المتوفى نجم لا يفنى، وإنه يصعد إلى السماء. وأن السماء تفتح له أبوابها، والأرض تغدو احدورا يصعد عليه، وإنه يرتقى السلم الذى صنعه له أبوه «رع» لذلك يبدو أن المصريين تمثلوا الهرم سلمًا عظيمًا، وأنه اقترن فى أذهانهم بالمرتقى الذى يصعد عليه الملك إلى السماء فى مملكة إله الشمس رع. خاصة وأن ديانة الشمس أخذت تجدد سبيلها إلى الأسرة المالكة منذ الأسرة الثانية على الأقل. وأن زوسر أقام معبدًا فى عين شمس مقر عبادة الشمس وأن أمحوتب الذى أشرف على مبانى زوسر كان رئيس كهنة عين شمس»

المعابد

وفى صفحة ١٦٢ من كتاب العمارة فى مصر القديمة نجد شرحًا لدور المعابد:

«وكانت المعابد لتمجيد الآلهة والملوك الذين أقاموها، فقد كان يعتقد أن الملك صورة الإله على الأرض، وان أعماله من وحيها وتأييدها، وفى تخليد أعماله تمجيد للآلهة؛ لذلك كان الملك يسجل أخبار حملاته وما فتحه من بلاد وأحرزه من غنائم وأسلاب على جدران المعابد تمجيدًا لشأنه واعترافًا بما أولاه الإله من نصر، علاوة على هذا كان الملوك يتوّجون فى المعابد ويحتفلون فيها بأعيادهم اليوبيلية.... ولم تكن المعابد لعبادة الآلهة فحسب، وإنما منها ما كان أيضًا لعبادة

إله من الملوك السابقين أو لعبادة من شيدوها ومن أقدم من عبد من الملوك فى بلاد النوبة الملك سنوسرت الثالث»

وحتى عبادة الملكة نفرتارى فقد «حفر رمسيس الثانى معبدًا فى أبى سنبل تعبر فيه الملكة نفرتارى مع الإلهة حتحور».

وكان الهيكل أو المعبد يسمى «بيت الإله»... ويلاحظ أن الذى كان سائدًا فى الدولة الحديثة فى معابد الآلهة كان يتألف من صرح وفناء وبهو أساطين ومقصورة أو قدس الأقداس فى نهاية المعبد (صفحة ١٩٢ من المرجع نفسه).

أما المعابد الجنائزية والتى يطلق عليها الدكتور سيد توفيق معابد تخليد الذكرى فلدينا منها الرمسيوم بالأقصر وهى الخاصة بالملك رمسيس الثانى، ومدينة هابو بالأقصر أيضًا الخاصة برمسيس الثالث.

الأعلام

(١) «حرخوف»: أول كاشف لمجاهل إفريقيا وهو من عظماء حكام الفنتين. وقام بثلاث رحلات فى عهد الملك «مرن رع» (الأسرة السادسة).

(٢) «ماسبيرو»: العالم الفرنسى الذى فتح الأهرامات التى فيها المتون الدينية «متون الأهرام» عام ١٨٨١ فى سقارة وهم «وناس» و«تيتى» و«ببى الأول» و«ببى الثانى» «مرن رع».

(٣) زيتة: عالم ألمانى ترجم معظم متون الأهرام.

حواشى الجزء الأول من المختصر

(١) ما أهمية الموسوعة؟

حيث إنها النتاج العلمى لشيخ المؤرخين الدكتور سليم حسن المؤرخ المصرى الذى عاش بكل أحاسيسه وفكره وعقله فى أرض الوطن الذى قدم للعالم أول حضارة أخلاقية والذى أراد به الملك فاروق شرًا بحرمانه من وظيفته الحكومية فكان ذلك خيرًا له ولوطنه الذى وجد عالمًا تفرغ إجباريًا للبحث العلمى والتاريخى. وهو الذى سبق له أن قام باكتشاف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد الأثرية.. وهو الحاصل على الدكتوراه فى مجال دراسته الأثرية من الجامعات الأوروبية مما أهله للتعيين أستاذ كرسى الآثار.

وكأستاذ مصرى يتقن اللغة العربية الفصحى والعامية ودرس اللغة المصرية القديمة وكإنسان يحس بوجدان الشعب المتدين بالفطرة، فهو العالم المناسب الذى ادخرته الأقدار ليغوص فى بحور التاريخ القديم؛ لكى يقدم لنا مرجعًا شاملاً فى حدود المعلومات المتاحة فى الأربعينيات من القرن العشرين لقد كان يكتب عن أبناء بلدته المحكومين بالعنف والذين عانوا من تسلط الحكام الأجانب وهو نفسه تعرض للظلم والقسوة؛ لأنه أدى وظيفته على خير ما يكون فطالب

الملك فؤاد بالآثار التى كانت فى معيته وفيما بعد رفض طلب الملك فاروق بردها إليه على أنها تخص والده ولم يأب للعقاب الذى أنزله به الملك المغرور.

(٢) نبذة عن بعض علماء الآثار المهتمين بعلم المصريات والخاص بعصر ما قبل الأسرات.

العالم الفرنسى «أرسلان Arcalin» كان أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصر. وقد حضر إلى مصر فى عام ١٨٦٨.

العالم «دى مرجان» وضع عام ١٨٩٧ نتائج أبحاثه أمام العالم ومنذ ذلك العهد اعترف فعلاً بوجود عصر ما قبل التاريخ فى مصر ومهدت أبحاث الأستاذ «فلندرز بترى» و«دى مرجان» السبيل لإيجاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ وعصر الدولة القديمة وقد أطلق على هذه الفترة عصر ما قبل الأسرات. وقد جاءت الصدف بوجود الآت مرتبة حسب قدمها فى طبقات چيولوچية بعضها فوق بعض.

● يعد العالم «بوفييه لابير Boviei Lapiere» من أكبر علماء ما قبل التاريخ فى مصر.

● قام الأستاذ «هرمان جنكر Herman Junker» الألمانى لأول مرة بحفائر منظمة فى الوجه البحرى فى منطقة مرمدة بنى سلامة الغربية من وردان للبحث عن عصر ما قبل التاريخ.

● بحث الأستاذ «فلندز بترى Flirders Petrie» عن مدنية ما قبل الأسرات فى مصر.

● ناقش «كوبيل Quibell» كل الآثار التى عثر عليها فى منطقة (الكاب الحديثة والكوم الأحمر) ومعظمها يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات الحديثة.

(٣) التماثيل

يلاحظ فى مصاطب الدولة القديمة أن النسب كانت تقاس برسم خط عمودى فى محور الصورة الآدمية المنحوتة على الجدار وذلك بنقط وخطوط

متقاطعة، أما المقاييس الجانبية فكانت تُعلم بنقط على خطوط متقاطعة حمراء. وهذه الخطوط الحمراء تدل على أن ارتفاع الشكل البشرى الواقف من أخمص القدم إلى منبت الشعر أو الشعر المستعار الذى كان على الجبهة كان مقسمًا إلى ست وحدات، وكان طول القدم الأيسر الذى كان يرسم وهو يخطو دائمًا إلى الأمام فى التماثيل والصور يقدر بأكثر من وحدة بقليل أما طول القدم الأيمن فكان يقدر بوحدة فقط، أما ارتفاع الجسم إلى الركبة فيقدر بوحدتين، وإلى منبت الرقبة بخمس وحدات. أما التمثال الجالس فكان طوله خمس وحدات من أخمص القدمين إلى منبت شعر الرأس.

ملحوظة: تماثيل الدُّمَى المختصرة الصنع هى طلائع التماثيل الجنائزية فى العهد التاريخى.

(٤)

أول عمل قام به «شمبليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢) بخصوص حل رموز اللغة المصرية القديمة أنه بحث موضوع اختلاف الكتابات المصرية القديمة وبرهن أن الكتابة الهيروطيقية هى اختصار للكتابة الهيروغليفية، وعلى ذلك تكون الكتابة المصرية القديمة واحدة غير أنها تكتب بثلاثة أشكال كاللغة العربية مثلاً فهى تكتب بالرقعة والنسخ والثلث، وعلى ذلك لابد أن يوجد فى الكتابة الهيروغليفية كما فى الديموطيقية إشارات لها قيمة صوتية وأبجدية واللغة المصرية القديمة هى عبارة عن أربعة خطوط «الخط الهيروغليفى - الخط الهيراطيقى - الخط الديموطيقى - الخط القبطى» وعناصر الهيروغليفية هى (١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل «رع» و«تحوت» (٢) وإشارات صوتية قد تكون أحيانًا مركبة من مقطع مثل «مى» وأحيانًا من حروف أبجدية مثل حرف «س».

(انظر صورة الصفحة ١٤٤ من كتاب الدكتور عبد المحسن بكير المرفقة بهذه الحواشى)

أما اللغة القبطية فهى الخط الرابع وفيها اتخذوا الحروف اليونانية بدلاً من الحروف الديموطيقية وأضافوا سبعة حروف تماثل سبعة أصوات غير موجودة

فى اللغة اليونانية القديمة، واستمر المصريون يستخدمون اللغة القبطية بأربعة قرون ولكن الكنيسة القبطية لاتزال تستخدم اللغة القبطية فى القداس وفى الكتب الدينية.

(٥)
أصل المصريين

إن صورة «نعرمر» وهو يوحد البلاد تظهر مينا (نعرمر) ذا الشكل الحامى من الجنوب وهو يخضع ملك الشمال ذا الشكل السامى المستدير الوجه وهذه الصورة خير مثال للمصريين وهم خليط من الجنس الحامى والجنس السامى.

(٦)
مكونات الإنسان

اعتقد المصريون بأن الإنسان يتكون من سبعة عناصر مادية ومعنوية وهى: الجسد (غت)، الروح(با)، القرين(كا)، والقلب(إيب)، الظل (شو)، الاسم (رن)، المعنويات (آخ) يعتمد كل عنصر منها على الآخر، وإن لكل منها وجود مستقل (ص ٨٨ من آثار وحضارة مصر القديمة ـ الجزء الأول للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم نور الدين.

(٧)
الديانه الرسمية والديانة الشعبية

عبادة الشمس (رع) هى الديانة الرسمية وعبادة أوزير هى الديانة الشعبية ونلاحظ فى متون الأهرام الاهتمام بمصير الملك وبعد الثورة الشعبية عقب الدولة القديمة (الأسرة السادسة) زاد الاهتمام بالديانة الشعبية ووضح دور أوزير فى متون التوابيت. وفى الأسرة الحديثة أصبح الأمير والغفير يقفون فى المحاكمة أمام أوزير وتحقق للجميع العدالة السماوية.

(٨)

تقسيم ما نيتون

قسّم مانيتون الأسرات القديمة إلى ثلاث دول أساسية الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة (راجع ملحق رقم «١» وقسم الأسرات الحاكمة إلى ثلاثين أسرة).

وقد تعرضت البلاد إلى ثورة شعبية عقب الأسرة السادسة تبعتها فترة الاضمحلال الأولى ثم ظهرت الدولة الوسطى كقوة مركزية رمز قوة البلاد وهى الأسرة الحادية عشر والثانية عشرة تلتها فترة الاضمحلال الثانى وفيها احتل عدو قادم من شرق البلاد وحكمها لمدة ١٥٠ عامًا وقامت حرب التحرير على يد ثلاثة أبطال وطنيين «سقنن رع» الذى لاقى حتفه فى ساحة الوغى وابنيه «كامس» و «أحمس».

(٩)

المعابد

معبد الوادى: (صفحة ٢٩ من كتاب الأهرامات المصرية للدكتور/ أحمد فخرى ويقع عند النهاية السفلى للطريق الصاعد، وكان هذا المعبد فى الوقت ذاته مدخلاً للمجموعة الهرمية كلها، وكانوا يضعون فيه الكثير من التماثيل واللوحات وإذا مات الملك كانوا يأتون بجسمه إلى معبد الوادى لغسله وتطهيره ثم تحنيطه. وقد أثبت بعض العلماء أنه فى أيام الأسرة الرابعة كانوا يقومون بعمل ثلاثة طقوس مهمة فى معبد الوادى وكان أول هذه الطقوس هو غسل وتطهير الجسم، وكان هذا الأمر لا يستغرق إلا وقتًا قصيرًا. وثانى تلك الطقوس تحنيط الجثة. وثالث الطقوس هو الطقس المسمى «فتح الفم» وكانوا لا يقومون بعمله إلا بعد التحنيط، وفى يوم الدفن وبعد أن يضعوا المومياء فى حجرة الدفن كانوا يغلقون مدخل الهرم إغلاقًا أبديًا ويخفونه تمامًا وراء أحجار الكساء الخارجى، ثم يبدأ الكهنة فى القيام بأعمالهم التى كان من شأنها استمرار روح الميت فى الاستمتاع بالحياة الأخرى إلى الأبد.

فى كتاب آثار وحضارة مصر القديمة ص ٢٥ «الحديث عن أول مجموعة هرمية تقليدية (هرم - معبد جنائزى - معبد الوادى) يرتبط بعهد الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة صاحب المصطبة المدرجة التى تُعرف بالهرم الناقص.. ومنذ الأسرة الرابعة أصبح التحنيط المهم للمعبد الجنائزى أكثر وضوحًا وإن اختلفت بعض التفاصيل من ملك إلى آخر ومن أسرة إلى أخرى.

وسوف نتناول المعبد الجنائزى للملك خفرع كنموذج لمعابد الدولة القديمة:

يقع إلى الشرق من الهرم وقد شيد بالحجر الجيرى الذى جرى كساؤه بحجر الجرانيت، أما جدرانه الداخلية فقد شيدت فى أغلبها من حجر الجرانيت جاء تخطيط المعبد مستطيلاً ويقع المدخل ناحية الجنوب ويؤدى إلى ممر بعرض المعبد يضم فى جنوبه قاعتين وفى شماله أربع قاعات وتتوسط الممر ردهة ذات عمودين، يخرج منها ممر ضيق على محور المعبد يؤدى إلى صالة أعمدة مشيدة من الجرانيت تؤدى هذه الصالة إلى فناء واسع يمتد محوره من الشمال إلى الجنوب ويحيط به ممر يؤدى إلى ١٦ مدخلاً ويلى الفناء خمسة تجويفات كان يضم كل منها تمثالاً.

وفى أقصى الجنوب الممر الذى تطل عليه التجويفات الخمسة يوجد مدخل يؤدى إلى دهليز طويل يمتد من الشرق إلى الغرب ثم من الجنوب إلى الشمال ليخرج منه دهليز آخر يؤدى إلى قدس الأقداس فى نهاية المعبد.

ويطلق الدكتور/ سيد توفيق عليها «معابد تخليد الذكرى».

(١٠)

متون الأهرام

فى صفحة (٦١) من الجزء الثامن عشر من موسوعة مصر القديمة نجد الآتى:

ويمكن القول بأن «متون الأهرام» تحتوى بوجه خاص على ستة موضوعات: (١) شعائر جنائزية (٢) شعائر خاصة بالمسائل المأتمية عند القبور وتعاويذ سحرية (٣) شعائر قديمة خاصة بالعبادة (٤) وأناشيد دينية قديمة (٥) أجزاء من أساطير قديمة (٦) صلوات وتضرعات لفائدة الملك.

وفى صفحة (٦٣) «وإن متون الأهرام لا تعرف شيئًا تقريبًا عن الحياة الأخروية المظلمة التى توجد فى العالم السفلى. ولذلك فإن عالم الأموات عندهم لا يراد به إلا «العالم السماوى» بهذه الصيغة. وقد اختلط فى تلك الآخرة السماوية المذكورة فى متون الأهرام مذهبان قديمان أولهما: يمثل المتوفى بصورة نجمية، والثانى يصور المتوفى حالاً فى إله الشمس أو بعبارة أخرى يصور ذات المتوفى بأنه نفس إله الشمس. وبديهى أن هذين المذهبين اللذين يمكن تسميتهما بآخرة نجمية، وآخرة شمسية، على التوالى كانا فى وقت ما مستقلين ثم دخل كل منهما فى شكل آخرة سماوية هى التى نجدها فى متون الأهرام. وهو أن روح الملك عندما تخرج من ذلك الممر يحملها هذا الاتجاه على الصعود فورًا إلى النجوم القطبية لذلك فمداخل الأهرمات تواجه الشمال دائمًا. وهذه المتون كانت خاصة بالملوك دون سواهم».

(١١)
متون التوابيت

فى كتاب الديانة المصرية القديمة ص (٢٧١) نجد الآتى:

«ظهرت نصوص التوابيت من أواخر الأسرة السادسة وانتشرت على جدران التوابيت انتشارًا كبيرًا أثناء عصر الانتقال الأول. وفى حين أن نصوص الأهرام كانت خاصة بالملوك فإن نصوص التوابيت كانت تشمل أيضًا أفراد الشعب، وذلك نتيجة للديمقراطية الدينية التى حصل عليها. وهى فى مجموعها تتألف من فصول لحماية المتوفى فى العالم الآخر. حيث أصبح كل متوفى يتخذ لنفسه لقب «أوزوريس».

(١٢)

معبد الشمس

فى كتاب العمارة فى مصر القديمة صفحة (١٧١) ذكر المؤلف عن معبد الشمس «شيد أغلب الأسرة الخامسة المعابد للإله الشمس «رع».. وهو من طراز خاص يختلف عن طراز سائر الهياكل الأخرى بما يتفق وعبادة الشمس التى كانت تؤدى فى وضع النهار، إذ كان ينبغى أن تغمر الشمس بضوئها المعبد الذى تعبد فيه. كما توجد به مسلة. وفى صفحة (١٧٧) ولاتزال مسلة المطرية تشهد بما كان للملوك الأسرة الثانية عشرة من منشآت فى معبد الشمس فى عين شمس».

المسلات

وفى نفس الكتاب صفحة (٢١٢) قال المؤلف «المسلة كتلة واحدة من الجرانيت بجوانب تميل قليلاً إلى الداخل. حيث تنتهى ذروتها بهريم مدبب كانت تكسوه صفائح من برنز مدبب أو من خليط الذهب والفضة.. وكانت مسلة تحوتمس الأول ١٩,٦٠ من المتر طولاً وتزن نحو ١٤٣ طنًا وترتفع مسلة حاتشبسوت فى الفضاء ٢٩,٥٠ من المتر وتزن ٣٢٣ طنًا تقريبًا وتفوقها كثيرًا مسلة تحوتمس الثالث فى روما إذ يبلغ ارتفاعها ٣٢,١٥ من المتر وتزن نحو ٤٥٥ طنًا».

(١٣)

محاكمة الملكة

فى الجزء الثانى من الموسوعة صفحة (٤٧) كلفّ الملك بيبى الأول النبيل «ونى» بصفته رئيس الأسرار الذى يجلس وحده فى محكمة الستة أن يساعد الوزير وهو القاضى الأعلى فى التحقيق فى محضر مع زوجته الملكة العظيمة «إمتس» وهناك محاكمة أخرى فى الأسرة العشرين مع زوجة رمسيس الثالث لاشتراكها فى مؤامرة ضد الفرعون من أجل تنصيب ابنها بدلاً من رمسيس الثالث».

(١٤)
الثورة الشعبية

صفحة (٣٩٩) الجزء الأول للموسوعة سادت الفوضى أثناء الثورة الشعبية كان موقف الحكومة فى حالة يرثى لها حتى أن الشعب انتهز هذه الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة امتد أمرها أكثر من قرنين من الزمان كانت البلاد ترزح خلالها تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب إن كان سلطان فرعون قد زال وأملاكه قد اختفت، والحقوق المدنية والدينية قد تولاها كائن من كان فى قدرته... وكان من جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط وعم الانحلال الخلقى وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة»

(١٥)
الوزير

لخص الدكتور ناصر الأنصارى فى كتاب المجمل فى تاريخ القانون المصرى (صفحة ٥٢) اختصاصات الوزير منذ الأسرة الرابعة قائلاً: «ومنذ الأسرة الرابعة أصبح الوزير هو أكبر موظف رسمى فى الدولة وله سلطات واسعة وله رئاسة الجهاز الإدارى للدولة كما أنه يقلد أعلى لقب شرفى فى البلاد. وغالبًا ما كان شاغل منصب الوزير أحد الأبناء الملكيين بالإضافة إلى كونه كبير كهنة «توت» إله القانون وكبير كهنة «ماعت» آلهة العدالة وكبير كهنة «سشات» آلهة الإدارة.. أما فى الأسرة الخامسة فلم يعد يشغل المنصب أحد الأبناء الملكيين، بل يسمح لأى مصرى من كبار الموظفين والشخصيات المهمة أن يكون وزيرًا. والوزير موظف مدنى.

ومن خلال دراسة الألقاب المراسمية التى يحملها الوزير يمكن أن نحدد اختصاصاته المهمة والواسعة بعيدًا عن الألقاب الدينية... فالوزير يحمل الخاتم الملكى. وكان الوزير على رأس الإدارة المركزية ويشرف فى المحفوظات الملكية حيث تحفظ المراسيم الملكية والعقود والوصايا والمستندات المهمة... ويشرف على إدارة الرسائل الملكية ورئيس جميع الأعمال الملكية ويشرف على الخزينة العامة

وعلى الضرائب وعلى أعمال الزراعة وعلى بعثات التعدين واستثمار المناجم والبعثات الخارجية والأسطول.. وكان للوزراء في الأسرة الخامسة ألقابًا أخرى مثل رئيس البيت الأبيض ورئيس خزائن الغلال ورئيس الضرائب ورئيس إدارة الجيش. وخلال الأسرة الخامسة أيضًا أضيف للوزير اختصاص قضائى حيث أصبح القاضى الأعلى ورئيس المحكمة العليا أو محكمة القضاة الست.. ومع الأسرة السادسة زادت مسئوليات الوزير واختصاصاته حيث انتقلت إليه سلطات مجلس العشرة الكبار من الجنوب.. وأصبح له أن يكون قاضيًا وحيدًا فى بعض حالات الاستئناف.

(١٦)

الفن . فن الرسم

مصانع الأهرام كانت مدرسة عملية لكل الصناعات والحرف، وهى التى وضعت الأساس لإنماء فن النحت والعمارة فى العصور التى تلت وهناك النحت البارز والنحت الغائر. وازدهر فن صناعة المجوهرات فى عهد «خوفو» ووصل لأرقى درجة فى عهد الدولة الوسطى.

وفى صفحة (٢٩) من كتاب فن الرسم عند قدماء المصريين يقول المؤلف لم يكن فن الرسم Drawingيعتبر فنًا مستقلاً بذاته لدى قدماء المصريين طبقًا لمفهوم فن الرسم المستقل الذى نعرفه فى عالم اليوم، بل كان يعتبر فى الغالب عملاً تحضيريًا لفنون أخرى هى التصوير والنحت والعمارة.. ومن المعروف أن المصريين القدماء قد رسموا الاسكتشات على الأسطح الصخرية وعلى الأسطح الخارجية للأوانى. وفى صفحة (٢) قال «كان الإحساس المصرى بالطبيعة يعتبر نموذجًا فلسفيًا لعملية بزوغ الكون عند خلقه... وكان تطور فن الرسم المصرى الثنائى الأبعاد ملازمًا خطوة بخطوة لتطور الكتابة الهيروغليفية...

إن قدرة الفنان على الإبداع كانت ممتزجة تمامًا فى قدرته على التعبير عن الأوضاع الطبيعية لمظاهر الجزئيات والكليات، وغالبًا ما يكون ذلك بتصوير المظهر الجانبى «البروفيلProfile» وهى القاعدة المتبعة دائمًا عند تصوير

الحيوانات والطيور.

وفى صفحة (٤) يقول «غير أن تصوير «البروفيل» أو المظهر الجانبى لم يكن قاعدة مطلقة فقد تقتضى ضرورة الإيضاح أن يقوم الفنان بتصوير المظهر الأمامىFrontal، وهو يلجأ إلى هذه الطريقة عادة حين يكون المظهر الأمامى أكثر ملاءمة وأكثر قدرة على التعبير عن الحقيقة... أما بالنسبة لرسم التكوين الفنى للجسم البشرى، فإن الفنان يستعمل الطريقتين معًا، فهو يرسم الرأس بطريقة «البروفيل» ويرسم الأكتاف حسب مظهرها الأمامى، ويرسم الأرداف والسيقان من زاوية جانبية».

(١٧)
فترة الشك والحيرة

فى الجزء الثانى من موسوعة مصر القديمة صفحة (٤٢٥) نجد الحيرة والشك سائدين فى أغانى وكلام الناس فى هذه الفترة.. تأمل نبرة اليأس وعدم الثقة فى مصير الموتى فى هذه الفترة: «ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا ويخبرنا عما يحتاجون إليه لتطمئن قلوبنا (؟) قبل أن نذهب نحن كذلك إلى المكان الذى ذهبوا فيه... (هنا يظهر الخوف من العالم السفلى)..
ورغم النصائح مثل «ولا تجعلن قلبك يكتئب» و.. «افعل ما تميل إليه على الأرض ولا تغضبن قلبك حتى يأتى يوم نعيك» لكن نبرة اليأس هى السائدة فى هاتين الجملتين فإن صاحب «القلب الساكن» لايسمع عويلهم وأن الصياح لا يفى إنسان من العالم السفلى «ومع ذلك العالم السفلى» و.. «اقض اليوم فى سعادة ولاتجهدن نفسك اصغ لا يمكن أحدًا أن يأخذ متاعه معه. اصغ، وليس فى قدرة إنسان قد ولى أن يعود ثانية. إن فترات الشك واليأس يمر بها الإنسان فى أوقات مختلفة وفى أزمنة مختلفة وفى أماكن مختلفة... وهنا نجد هذه المقطوعة تسبق ما قاله هاملت فى مسرحية هاملت التى كتبها شكسبير بعد هذه المقطوعة بحوالى ثلاثة آلاف وستمائة عام وأقصد مقطوعة «أكائن أنا أم غير كائن» هذا

هو لُب الموضوع»

To be or not to be, that's the question.

وحيرة هاملت كان سببها عدم قدرته على اتخاذ خطوة الانتحار، ليتخلص من آلامه التى يعيشها وهو يعرف أن أمه قتلت والده بالاشتراك مع عمه.. وكان صراعه عنيفًا وهو يقف عاجزًا أمام قرارين: الانتقام من أمه التى خانت أباه مع عمه أم الانتقام من عمه فقط حتى لا يصبح الصراع داخليًا بين العاطفة نحو أمه وبين الواجب نحو أبيه ويفكر أحيانًا فى الهروب من هذا الموقف بالانتحار.. ولكن ما يوقفه عن الإتيان بهذا الفعل هو جهله بما سيجده فى العالم الآخر.. لذلك يتحمل آلامه ولايضع حدًا لمتاعبه بالإقدام على خطوة لا يعرف نتائجها.

الكهنة

كان الكهنة الذين يقومون بخدمة الآلهة أو الملوك أو الملكات يسمون كهنة الـ «حم - نتر» ومعناها خادم الإله. أما الكهنة المكلفون بالإشراف على الطقوس والقرابين الخاصة بغير الآلهة والملوك فكانوا يسمون كهنة «حم - كا» أى خدم الكا. وكانت الخدمة الدينية الخاصة بكل من الملوك والأشخاص العاديين يسمون كهنة الـ «وعب» أى المطهرين. وكان الكثيرون من كهنة الـ «وعب» يقومون على خدمة الملك أثناء حياته. وكان هذا اللقب من الألقاب التى كثيرًا ما نجدها بين ألقاب الأطباء وكان من حق النساء شغل وظائف معينة فى الكهنوت الخاص بالعقيدة الدينية المتعلقة بالأهرامات. الكهنة المرتلين «خرحب» - «حنك نيسوت» يقدمون القربان للملك.

المراجـــع

(١) **الأهرامات المصرية:** تأليف وترجمة الدكتور/ أحمد فخرى . مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٨٨.

(٢) **آثار وحضارة مصر القديمة:** الجزء الأول . تأليف الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم نور الدين . الخليج العربى للطباعة والنشر ٢٠٠٣.

(٣) **العمارة فى مصر القديمة:** تأليف الدكتور/ محمد أنور شكرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

(٤) **أهم آثار الأقصر الفرعونية:** تأليف دكتور/ سيد توفيق دار النهضة المصرية ١٩٨٢.

(٥) **الديانة المصرية القديمة:** تأليف: ياروسلاف تشرنى . ترجمة الدكتور/ أحمد قدرى . ١٩٨٧.

(٦) **المجمل فى تاريخ القانون المصرى:** تأليف الدكتور/ ناصر الأنصارى . الهيئة العامة للكتاب المصرى . ١٩٩٨.

(٧) **فن الرسم عند قدماء المصريين:** تأليف وليم هـ. بيك . ترجمة مختار السويفى ١٩٨٧.

السيرة الذاتية لكاتب المختصر

الاسم : عريان لبيب حنا . **تاريخ الميلاد :** ٧ مارس ١٩٣٦ .

المؤهلات : ليسانس إنجليزى آداب القاهرة ١٩٥٧ .

دبلوم مهنى من مركز تطوير اللغة الإنجليزية جامعة عين شمس ١٩٨٠

العمل : ١ ـ التربية والتعليم مع التدرج فى الوظائف حتى وكيل ثانوى ١٩٨٢، ثم مدرسًا للغة الإنجليزية بشركة أرامكوا بالسعودية ثم الهيئة الملكية حتى ١٩٨٧ .

٢ ـ مرشد سياحى منذ ١٩٩٠ وحتى الآن.

النشاط الثقافى : عضو اتحاد الكتاب المصرى .

مؤلف إذاعى منذ ١٩٦٣ .

الجوائز فى المسابقات الأدبية : ١ ـ الجائزة الثالثة عام ١٩٦٢ مسابقة مسرحيات عيد الثورة العاشر .

٢ ـ الجائزة الثالثة عام ١٩٨٩ من المجلس الأعلى للثقافة .

المؤلفات المنشورة : ١ ـ مسرحيتان باللغة الإنجليزية نشرتا بنيويورك عام ١٩٨٤ (the lost Eguililsium -- uncle visa) .

٢ ـ رواية " شروخ فى المعبد" عام ٢٠٠١ .

٣ ـ كتاب "الشخصية المصرية فى مصر القديمة" (هيئة الكتاب ٢٠٠٣) .

٤ ـ سلسلة مقالات متصلة منذ عام ٢٠٠٣ باللغة الإنجليزية عن تاريخ الشعب المصرى منشورة بجريدة وطنى.

٥ ـ مقالات متعددة باللغة العربية نشرت بجريدة الوفد وجريدة وطنى.

فهرس

الجزء الأول من المختصر

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org

E - mail : info @egyptianbook.org